النوادر

في حكايات الصالحين وعجائب المتقدمين الزهاد

تصنيف الشيخ العلامة

شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة

القليوبي

« المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ »

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

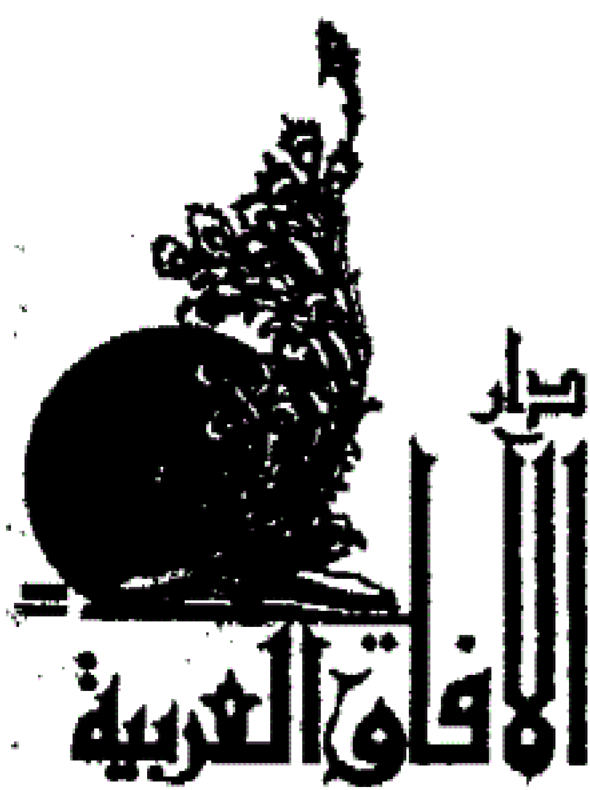


النّوادر

في حكايات الصالحين وعجائب المتقدمين الزهاد

تصنيف الشيخ العلامة
شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة
القليوبي
« المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ »

تحقيق وتعليق
الشيخ أحمد فريد المزيدي



القليوبي ، أحمد بن أحمد بن سلامة ابو العباس
1659 مـ
النوادر في حكايات الصالحين و عجائب المتقدمين الزواهر
تصنيف : شهاب الدين احمد بن احمد بن سلامة القليوبي
تحقيق و تخريج و تعليق : الشيخ أحمد فريد المزيدي
ط1 – القاهرة : دار الآفاق العربية 2010
290 ص ، 24 سم
تدمك : 5 - 144 – 344 – 977 – 978
1- النوادر العربية
أ- المزيدي ، أحمد فريد
ب- العنوان
ديوى :718
رقم الإيداع :2009/14825

الطبعة الأولى
1431 هـ – 2010

دار الآفـــاق العربيـــة
نشر – توزيع – طباعة
55 ش محمود طلعت من ش الطيران
مدينة نصر – القاهرة
تليفون : 22617339 تليفاكس : 22610164
EMIL: daralafk@yahoo . com
EMIL:selimafak@live.com



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

اللهُمّ إنّا نحمَدُك على ما علّمْتَ من البَيانِ. وألْهَمْتَ من التِّبْيان. كما نحْمَدُك على ما أسْبغْتَ منَ العَطاء. وأسبَلْت من الغِطاء. ونَعوذُ بكَ منْ شِرّةِ اللّسَنِ. وفضولِ الهذَرِ. كما نَعوذُ بكَ منْ معرّةِ اللّكَنِ. وفُضوحِ الحصَرِ. ونَستكْفي بكَ الافتِتانَ بإطْراء المادِحِ. وإغضاءِ المُسامِحِ. كما نَستكْفي بكَ الانتِصابَ لإزْراء القادِحِ. وهتْكِ الفاضِحِ. ونسْتغْفِرُك منْ سَوْقِ الشَّهواتِ. إلى سوقِ الشُّبُهاتِ. كما نستغْفِرُكَ منْ نقْلِ الخطَواتِ. إلى خِططِ الخطيئَاتِ. ونسْتَوْهِبُ منْكَ توفيقاً قائِداً إلى الرُّشْدِ. وقَلْباً متقلّباً معَ الحقّ. ولِساناً متحلّياً بالصّدْقِ. ونُطْقاً مؤيَّداً بالحُجّةِ. وإصابةً ذائِدَةً عنِ الزّيْغِ. وعَزيمةً قاهِرةً هَوى النّفْسِ. وبصيرةً نُدْرِكُ بها عِرْفانَ القَدْرِ. وأنْ تُسعِدَنا بالهِدايَةِ. إلى الدِّرايةِ. وتَعْضُدَنا بالإعانَةِ. على الإبانَةِ. وتعْصِمَنا منَ الغَوايَةِ. في الرّوايَةِ. وتصرِفَنا عنِ السّفاهَةِ. في الفُكاهَةِ. حتى تأمَنَ حصائِدَ الألْسِنَةِ. ونُكْفَى غَوائِلَ الزّخْرفَةِ. فلا نَرِدَ مَوْرِدَ مأثَمةٍ. ولا نقِفَ موْقِفَ مَنْدمَةٍ. ولا نُرْهَقَ بتَبِعةٍ ولا مَعتبَةٍ. ولا نُلْجأَ إلى معْذِرَةٍ عنْ بادِرَةٍ. اللهُمّ فحقِّقْ لَنا هذِهِ المُنْيَةَ. وأنِلْنا هذِه البُغْيَةَ. ولا تُضْحِنا عنْ ظِلّكَ السّابِغِ. ولا تجْعلْنا مُضْغَةً للماضِغِ. فقدْ مدَدْنا إليْكَ يدَ المسْألَةِ. وبخَعْنا بالاسْتِكانَةِ لكَ والمَسْكَنةِ. واستَنْزَلْنا كرَمَكَ الجَمّ. وفضْلَكَ الذي عمّ. بضَراعَةِ الطّلَبِ. وبِضاعَةِ الأمَلِ. بالتّوسّلِ بمحَمّدٍ سيّدِ البشَرِ. والشّفيعِ المُشفَّعِ في المحْشَرِ. الذي ختَمْتَ بِهِ النّبيّينَ. وأعليتَ درجتَهُ في عِلّيّينَ. ووَصَفْتَه في كِتابِكَ المُبينِ. فقُلْتَ وأنتَ أصدَقُ القائلين: وما أرسَلْناكَ إلاّ رحمةً للعالَمينَ. اللهُمّ فصَلِّ عليه وعلى آلِه الهادِينَ وأصحابِه الذين شادوا الدّين. واجْعَلْنا لهَدْيِه وهَديهِمْ متّبِعينَ. وانْفَعْنا بمحبّتِه ومحبّتِهِمْ أجْمَعينَ. إنّك على كُلّ شيءٍ قديرٌ. وبالإجابةِ جَديرٌ.أما بعد .. فإني جمعت في هذا الكتاب من طرف الأخبار ورائق الأشعار، ومستحسن الجواب ومضحكات المولدين والأعراب، ونوادر الحكم والأمثال والآداب، ما يستحسن ويستطرف ويستملح ويتظرف من كل نادرة غريبة، أو نكتة عجيبة، أو حكاية بارعة، أو حكمة نافعة، أو قطعة شعر رائقة، أو مخاطبة فائقة، مع ما يستفاد في ذلك من الوقوف على مناقب الملوك ومآثرها ومحامدها ومفاخرها، ومكارم أخلاقها وشيمها، وشرف أنفسها وهممها وجميل أفعالها، وكريم حملها واحتمالها، وعدلها ووفائها، وبأسها وسخائها، وخوفها ورجائها، وحزمها واتقائها، وعزمها وإمضائها، وصفحها وإغضائها، وجدها واعتنائها، وسطوتها وحنانها،

واستقباحها واستحسانها، وسيرها وعوائدها، وجوائزها وفوائدها، إلى غير ذلك من معرفة سنن من تقدم من الولاة والأمراء، والكتَّاب والشعراء، والأئمة والخطباء، والمؤذنين والفقهاء والوعاظ والحكماء، والأعراب والغرباء، والمجَّان والظرفاء، والمجنونين والعقلاء، والطفيليين والبخلاء، وحذَّاق الجواري والنساء، وأهل التصنع والرياء، والزهاد والأولياء.

وبعد.. فهذا كتاب يشرح النفس بلذيذ فكاهاته، ويسر الخاطر بنوادر حكاياته، فهو جدير بأن يعكف على اقتباس أنواره من سئمت نفسه من الحادثات، ويسرح النظر في لجين صحيفاته؛ ليعتبر بما فيه من المستغربات.

جمع فيه الأستاذ القليوبي من طرف الأخبار ورائق الأشعار، ونوادر الحكم والأمثال والآداب ما يستحسن ويستطرف ويستملح ويتظرف من كل نادرة غريبة، أو نكتة عجيبة، أو حكاية بارعة، أو حكمة نافعة، أو قطعة شعر رائقة، أو مخاطبة فائقة، مع ما يستفاد في ذلك من الوقوف على مناقب الملوك ومآثرها ومحامدها ومفاخرها، ومكارم أخلاقها وشيمها، وشرف أنفسها وهممها وجميل أفعالها، وكريم حملها واحتمالها، وعدلها ووفائها، وبأسها وسخائها، وخوفها ورجائها، وحزمها واتقائها، وعزمها وإمضائها، وصفحها وإغضائها، وجدها واعتنائها، وسطوتها وحنانها، واستقباحها واستحسانها، وسيرها وعوائدها، وجوائزها وفوائدها، إلى غير ذلك من معرفة سنن من تقدم من الولاة والأمراء، والكتَّاب والشعراء، والأئمة والخطباء، والمؤذنين والفقهاء، والوعاظ والحكماء، والأعراب والغرباء، والمجَّان والظرفاء، والمجنونين والعقلاء، والطفيليين والبخلاء وحذَّاق الجواري والنساء، وأهل التصنع والرياء، والزهاد والأولياء.

هذا.. وقد قمت بالتدقيق والتحقيق، والتخريج والعزو والتعليق.

والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمدٍ وعلى آله المباركين وصحبه المقربين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه/ أبو الحسن والحسين: أحمد فريد المزيدي (٠١٠١٤٦٣٠٢٧) القاهرة.

ترجمة المصنف

هو الشيخ العلامة شهاب الدين أبو العباس: أحمد بن أحمد بن سلامة المصري القليوبي الشافعي الإمام العالم العامل الفقيه المحدث.

أحد رؤساء العلماء المجمع على نباهته وعلو شأنه، وكان كثير الفائدة نبيه القدر.

والقليوبي: بفتح القاف وسكون اللام وضم الياء المثناة من تحتها وسكون الواو بعدها باء موحدة نسبة إلى بليدة صغيرة بينها وبين القاهرة مقدار فرسخين أو ثلاث فراسخ ذات بساتين كثيرة والله أعلم.

وكانت وفاته في أواخر شوال سنة ١٠٦٩ هـ.

أخذ الفقه والحديث عن:

- الشمس الرملي ولازمه ثلاث سنين وهو منقطع ببيته.
- ولازم النور الزيادي.
- وسالم الشبشيري.
- وعلي الحلبي.
- وعلي السبكي .. وغيرهم من مشاهير الشيوخ.

وأخذ عنه:

- منصور الطوخي.
- وإبراهيم البرماوي.
- وشعبان الفيومي وغيرهم من أكابر الشيوخ.

وكان مهابًا لا يستطيع أحد أنْ يتكلم بين يديه إلا وهو مطرق رأسه وجلاً منه وخوفًا ولا يتردد إلى أحد من الكبراء.

ويحب الفقراء ولا يقبل من أحد صدقة مطلقًا بل كان في غالب أوقاته يُرى متصدقًا وليس له وظائف ولا معاليم ومع ذلك كان في أرغد عيش وأطيب نعيم.

وكان متقشفًا ملازما للطاعات ولا يترك الدرس جامعا للعلوم الشرعية متضلعًا من العلوم العقلية.

وأما معرفته بالحساب والميقات والرمل فأشهر من أن تذكر.

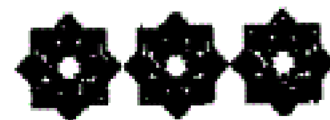
وإمامته في العلوم الحرفية وتصرفه في الأوفاق والزايرجات وغير ذلك من الفنون فذلك أمر مشهور.

وكان في الطب ماهرًا خبيرًا.

وكان حسن التقرير ويبالغ في تفهيم الطلبة ويكرر لهم تصوير المسائل والناس في درسه كأن على رؤوسهم الطير وألف مؤلفات كثيرة عم نفعها منها:

- حاشية على شرح المنهاج للجلال المحلى.
- حاشية على شرح التحرير لشيخ الإسلام.
- حاشية على شرح أبي شجاع لابن قاسم الغزي.
- حاشية على شرح الأزهرية في النحو.
- حاشية على شرح الشيخ خالد على الأجرومية.
- حاشية على شرح إيساغوجي في المنطق لشيخ الإسلام.
- رسالة في معرفة القبلة بغير آلة.
- التذكرة في الطب. (بتحقيقنا)
- مناسك الحج وغير ذلك من الرسائل والتحريرات المفيدة.

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (١/ ١١١).



النوادر

في حكايات الصالحين

وعجائب المتقدمين الزواهر



تصنيف

الشيخ العلامة شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي

المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

نوادر مولانا الإمام العالم العلامة الحبر البحر القدوة الفهامة

الأستاذ الشيخ أحمد شهاب الدين القليوبي

رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأمدنا من

أمداداته الباطنة والمسلمين

أجمعين

آمين

(حكى) أنه كان لهرون الرشيد جارية سوداء قبيحة المنظر فنثر يوما دنانير بين الجوارى فصار الجوارى يلتقطن الدنانير وتلك الجارية واقفة تنظر الى وجه الرشيد فقيل لها ألا تلتقطين الدنانير فقالت ان مطلوبى من الدنانير ومطلوبى صاحب الدنانير فاعجبه قولها فقربها وأثنى عليها خبرا فانتهى الخبر الى الملوك بان هرون الرشيد يعشق جارية سوداء فلما بلغه ذلك أرسل خلف جميع الملوك وجمعهم عنده وأمر باحضار الجوارى وأعطى كل واحدة منهن قدحا من الياقوت وأمر بالقائه فامتنعن جميعا فانتهى الامر الى الجارية القبيحة فالقت القدح وكسرته فقال انظروا الى هذه الجارية وجهها قبيح وفعلها مليح فقال لها الخليفة لماذا كسرتيه فقالت قد أمرتنى بكسره فرأيت ان فى كسره نقصا فى خزينة الخليفة وفى عدم كسره نقصا فى أمره والنقص فى الاول أولى ببقاء حرمة أمر الخليفة ورأيت أن فى كسره وصفى بالجنونية وفى ابقائه وصفى بالعاصية والاول أحب الى من الثانى فاستحسن الملوك منها ذلك وعذروا الخليفة فى محبتها والله أعلم بما هنالك

(الحكاية السابعة فى الكرم)

(حكى) أن رجلا كان نائما فى المسجد ومعه هميان فانتبه فلم يجد هميانه ورأى جعفرا الصادق يصلى فتعلق به فقال له ما شأنك فقال قد سرق هميانى وليس عندى غيرك فقال له كم كان فى هميانك فقال ألف دينار فمضى جعفر الى بيته وأتاه بالف دينار ودفعها اليه فذهب الرجل الى أصحابه فقالوا له هميانك عندنا وقد مازحناك فعاد الرجل بالدنانير وسأل عن الذى أعطاها له فقالوا له هو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب اليه ودفعها له فلم يقبلها وقال انا اذا أخرجنا شيئا من ملكنا لا يعود الينا رضى الله عنهم

(الحكاية الثامنة فى فضل الطاعة)

(حكى) أن شابا من بنى اسرائيل مرض مرضا شديدا فنذرت أمه ان عافاه الله من مرضه لتخرجن من الدنيا سبعة أيام فعافاه الله تعالى منه ولم تف بنذرها فنامت ليلة فاتاها آت وقال لها أوفى بنذرك لئلا يصيبك من الله بلاء شديد فلما أصبحت دعت ولدها وأخبرته بالقصة وأمرته أن يحفر لها قبرا فى المقابر ويدفنها فيه ففعل ذلك فلما نزلت فى القبر قالت الهى وسيدى ومولاى قد فعلت جهدى وطاقتى وأوفيت بنذرى فاحفظنى فى هذا القبر من الآفات فناولها ولدها التراب وانصرف فرأت من جهة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل لمن وفق من عباده واعظًا من نفسه، وأذاقه من كئوس شرابه حلاوة أنسه، والصلاة والسلام على قطب دائرة الأسماء والصفات سيدنا ومولانا محمد المنعوت بأنواع الكمالات، وعلى آله وأصحابه، وأشياعه، وأصهاره، وأنصاره، وأتباعه الذين أبرزوا باتباعه مخدرات المعارف والفرائد، وأحرزوا نوادر اللطائف والفوائد، وعلى التابعين لهم بإحسان في كل وقت وأوان.

أمَّا بعد... فهذا كتاب صغر حجمه، وغزر علمه، وسهل فهمه، وبزغت في سماء محاسنه طروسه[1]، وأشرقت من عرائس مطالعه شموسه، قد اشتمل على حكايات لطيفة فائقة، وعبارات بارعة منيفة عابقة، ونوادر عجيبة وفوائد، ونكات غريبة وفرائد للأستاذ العالم العامل العلامة، والملاذ الحبر البحر الكامل الفهامة، الجامع لأشتات الفضائل، والبارع في حل مشكلات المسائل، مولانا الشيخ: أحمد شهاب الدين بن سلامة بن أحمد شهاب الدين الحوفي ثم القليوبي، قد بلغ من الفضائل ما لا يحصى، ومن التحقيق والنفع ما لا يستقصى، أدام الله بفضله عليه جزيل حسناته، وأسكنه فسيح جناته، وأسبل علينا ببركاته ذيل ستره الجميل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وإليه المرجع والمآب، وهو أعلم بالصواب.

(١) الطِّرْسُ: الصحيفة، ويقال: هي التي محيت ثم كتبت، والجمع: أَطْرَاسٌ، وطُرُوسٌ مثل: حِمْل وأَحْمَال وحُمولٍ. المصباح المنير (٢ / ٣٧١).

الحكاية الأولى

في فضل البسملة(١)

«حُكي» أن امرأة كان لها زوج منافق، وكانت تقول على كل شيء من قول أو فعل: بسم الله، فقال زوجها: لأفعلن ما أخجلها به، فدفع إليها صرة وقال لها: احفظيها، فوضعتها في محل وغطتها، فغافلها وأخذ الصرة، وأخذ ما فيها، ورماه في بئر في داره، ثم طلبها منها فجاءت إلى محلها وقالت: بسم الله، فأمر الله تعالى جبريل أن ينزل سريعًا ويعيد

---

(١) قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ [النمل:١٥] قال الجنيدي: أي: علمناهم بسم الله الرحمن الرحيم، وقال في قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ [الفتح:٢٦] هي: بسم الله الرحمن الرحيم، قال الشقيري: إذا قرع هذا اللفظ أسماع أهل المعرفة لم تذهب فهومهم ولا معنى غير وجوده سبحانه، فإذا قال بلسانه: الله أو سمع بإذنه الله أو شهد بقلبه الله، فكما لا تحل هذه الكلمة على معنى إلا الله لا يكون شهوة قائلها إلا إلى الله، فيقول بلسانه: الله يعرف بقلبه الله بفؤاده ويحب بروحه الله ويشهد بسره الله ويتعلق بظاهره بين يدي الله.

ويقال: البسملة ربيع الأحباب وأزهارها لطائف الوصلة وأنهرها زوائد القربة، فمن أسمعه بسم الله الرحمن الرحيم أدهشه في كشف جلاله، ومن أسمعه الرحمن الرحيم عيشه بلطف أفضاله، وقال في كتاب عظة الألباب: الباء من بسم الله بهاؤه والسين سناؤه والميم مجده وعلاه، وقيل: الباء بابه والسين سلامه والميم أنعامه، وقيل: الباء بركته والسين سره والميم معرفته في غير علام الغيوب الرحمن، كاف الكروب الرحيم غفار الذنوب، الله مجيب الدعوات الرحمن منزل البركات الرحيم يعفو عن السيئات، وقال النبي ﷺ: «أول ما نزل بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم من الشرق إلى الغرب، وسكنت الريح وأصغت البهائم بآذانها، ورجمت الشياطين بالشهب، وأقسم الله بعزته لا يسمى باسمه على مريض إلا شفاه الله» وفي رواية ابن عباس ﷺ: «ولا شيء إلا بارك عليه» وقال علي ﷺ: لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم ضجت الجبال حتى كنا نسمع دويها، فقال الكفار: سحر محمد الجبال، وقال ﷺ: «ما من مؤمن يقرأها إلا سبحت الجبال معه لكنه لا يسمع»، وقال ﷺ: «لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم»، وسيأتي في آخر الكتاب ـ إن شاء الله تعالى ـ أن بينها وبين اسم الله الأعظم كما بين بياض العين وسوادها.

قال النسفي: لما قتل قابيل هابيل اشتد على آدم فأوحى الله إليه قد جعلت الأرض طوعاً لك، فقال: يا أرض خذيه فلما همت به قال قابيل: يا أرض بحق بسم الله الرحمن الرحيم لا تأخذني، فقال الله تعالى: يا أرض خلي عنه. لطيفة: افتتح الله كتابه بثلاثة أسماء، والخلق ثلاثة أقسام ظالم ومقتصد وسابق، فالله للسابقين والرحمن للمقتصدين والرحيم للظالمين. نزهة المجالس ومنتخب النفائس (١/ ٢٤).

الصرة إلى مكانها، فوضعت يدها لتأخذها، فوجدتها كما وضعتها، فتعجب زوجها وتاب إلى الله تعالى.

الحكاية الثانية

في فضل القيام بالصلاة ليلاً

«حُكي» أن رجلاً اشترى غلامًا فقال له: يا مولاي، أريد منك ثلاثة شروط:

أحدها: ألَّا تمنعني عن الصلاة إذا دخل وقتها.

والثاني: أن تستخدمني بالنهار ولا تشغلني بالليل.

والثالث: أن تجعل لي بيتًا لا يدخله أحد غيري، فقال له: لك ذلك، فانظر إلى هذه البيوت فطاف بها حتى رأى بيتًا خربًا فاختاره، فقال له مولاه: لم اخترت الخراب، فقال: يا مولاي، أما علمت أن الخراب يكون مع الله عمارًا وبستانًا، فصار الغلام يأوي إليه بالليل، ففي بعض الليالي اتخذ مولاه مجمعًا للشراب واللهو، فلما انتصف الليل وتطرق أصحابه قام يطوف في الدار، فوقع بصره على حجرة الغلام فإذا فيها قنديل من نور معلق من السماء، والغلام في السجود يناجي ربه وهو يقول: إلهي، أوجبت علي خدمة مولاي نهارًا، ولولاه ما اشتغلت إلا بخدمتك ليلي ونهاري، فاعذرني ربي، فلم يزل مولاه ينظر إليه حتى طلع الفجر، فارتفع القنديل، والتأم السقف، فجاء الرجل وأخبر امرأته بذلك، فلما كانت الليلة القابلة أقام الرجل وامرأته على الحجرة والقنديل معلق، والغلام في السجود والمناجاة إلى طلوع الفجر، ثم دعوا الغلام وقالا له: أنت حر لوجه الله تعالى حتى تتفرغ لخدمة من كنت تعتذر إليه، وأخبراه بما رأيا من كراماته على الله تعالى، فلما سمع ذلك رفع يديه وقال: إلهي، كنت أسألك ألَّا تكشف ستري، وألَّا تظهر حالي، فإذا كشفته فاقبضني إليك، فخر ميتًا، رحمه الله تعالى.

الحكاية الثالثة

في أداء حق العبادة

«حُكي» أن عابدًا دخل في الصلاة فلما وصل إلى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥]، خطر بباله أنه عابد حقيقة، فنودي في سره: كذبت إنما تعبد الخلق، فتاب واعتزل عن الناس، ثم شرع في الصلاة، فلما وصل إلى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، نودي: كذبت، إنما تعبد زوجتك، فطلق امرأته، ثم شرع في الصلاة، فلما انتهى إلى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ نودي: كذبت، إنما تعبد مالك، فتصدق بجميعه، ثم شرع في الصلاة، فلما وصل إلى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ نودي: كذبت، إنما تعبد ثيابك، فتصدق بها إلا ما لابد منه، ثم شرع في الصلاة، فلما وصل إلى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ نودي: أن صدقت، فأنت من العابدين حقيقة.

الحكاية الرابعة

في عبادة الصالحين

«حُكي» أن عصام بن يوسف أتى إلى مجلس حاتم الأصم[1]، فأراد الاعتراض عليه، فقال له: يا أبا عبد الرحمن، كيف تصلي؟ فحول حاتم وجهه إلى عصام وقال له: إذا جاء وقت الصلاة، قمت فأتوضأ وضوءًا ظاهرًا، ووضوءًا باطنًا، فقال عصام: كيف الوضوء الباطن؟ فقال: أمَّا الوضوء الظاهر: فاغسل الأعضاء بالماء، وأمَّا الوضوء الباطن: فاغسلها بسبعة أشياء: بالتوبة، والندامة، وترك حب الدنيا، وثناء الخلق، والرئاسة، والغل، والحسد، ثم أذهب إلى المسجد، فأبسط الأعضاء، فأرى الكعبة، فأقوم بين حاجتي وحذري والله ناظري، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت خلف ظهري، وكأني واضع قدمي على الصراط، وأظن أن هذه الصلاة آخر صلاة أصليها، ثم أنوى

(١) هو حاتم بن عنوان، أبو عبد الرحمن، المعروف بالأصم، (٢٣٧ هـ) زاهد، اشتهر بالورع والتقشف، له كلام مدون في الزهد والحكم، من أهل بلخ، زار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل، وشهد بعض معارك الفتوح، ومما حدث به عن نفسه قال: لقينا الترك، ورماني أحدهم بوهق فأقلبني عن فرسي، ونزل عن دابته فقعد على صدري، وأخذ بلحيتي هذه الوافرة، وأخرج من خفه سكينًا لذبحني بها، فرماه بعض المسلين بسهم فما أخطأ حلقه، فسقط عني، فقمت إليه، فأخذت السكين من يده فذبحته، مات بواشجرد، وكان يقال: حاتم الأصم لقمان هذه الأمة. الأعلام للزركلي (٢ / ١٥٢).

وأكبر بالإحسان، وأقرأ بالتفكر، وأركع بالتواضع، وأسجد بالتضرع، وأتشهد بالرجاء، وأسلم بالإخلاص، فهذه صلاتي منذ ثلاثين سنة، فقال له عصام: هذا شيء لا يقدر عليه غيرك، وبكى بكاء شديدًا.

الحكاية الخامسة

في حسن الاستقامة

«حُكي» أن ملكًا شابًا تولى الملك، فلم يجد له لذة، فقال لجلسائه: هل الناس مثلي في هذا أو لا؟ فقالوا له: إن الناس مستقيمون، فقال لهم: فماذا يقيمه لي؟ قالوا: يقيمه لك العلماء، فدعا بعلماء بلده وصلحائها، وقال لهم: اجلسوا عندي فما رأيتم مني من طاعة فأمروني بها، وما رأيتم مني من معصية فازجروني عنها، ففعلوا ذلك، فاستقام له الملك أربعمائة سنة، ثم أتاه إبليس ـ لعنه الله ـ فقال الملك له: من أنت؟ قال: أنا إبليس، ولكن أخبرني من أنت؟ قال: أنا رجل من بني آدم، فقال له: لو كنت من بني آدم لمت كما يموت بنو آدم، وإنما أنت إله، فادع الناس إلى عبادتك، فدخل في نفسه شيء من ذلك، فصعد المنبر ثم قال: أيها الناس، إني أخفيت عليكم أمرًا وقد حان وقت إظهاره، تعلمون أني ملككم أربعمائة سنة، ولو كنت من بني آدم لمت كما يموت بنو آدم، وإنما أنا إله فاعبدوني، فأوحى الله إلى نبي زمانه أن أخبره أني استقمت له ما استقام، فلما تحول إلى معصيتي فوعزتي وجلالي لأسلطن عليه بختنصر، فسلطه عليه، فضرب عنقه، وأوقر من خزائنه سبعين سفينة من الذهب، والله أعلم.

الحكاية السادسة

في حُسن الرأي

«حُكي» أنه كان لهارون الرشيد جارية سوداء قبيحة المنظر، فنثر يومًا دنانير بين الجواري فصار الجواري يلتقطن الدنانير، وتلك الجارية واقفة تنظر إلى وجه الرشيد، فقيل لها: ألا تلتقطين الدنانير؟ فقالت: إن مطلوبهن الدنانير، ومطلوبي صاحب الدنانير، فأعجبه قولها، فقربها وأثنى عليها خيرًا، فانتهى الخبر إلى الملوك بأن هارون الرشيد يعشق جارية سوداء، فلما بلغه ذلك أرسل خلف جميع الملوك وجمعهم عنده، وأمر بإحضار الجواري، وأعطى كل واحدة منهن قدحًا من الياقوت، وأمر بإلقائه، فامتنعن جميعًا، فانتهى الأمر إلى الجارية القبيحة فألقت القدح وكسرته، فقال: انظروا إلى هذه الجارية، وجهها قبيح، وفعلها مليح، فقال لها الخليفة: لماذا كسرتيه؟ فقالت: قد أمرتني بكسره،

فرأيت أن في كسره نقصًا في خزينة الخليفة، وفي عدم كسره نقصًا في أمره، والنقص في الأول أولى بقاء لحرمة أمر الخليفة، ورأيت أن في كسره وصفي بالمجنونة، وفي إبقائه وصفي بالعاصية، والأول أحب إلي من الثاني، فاستحسن الملوك منها ذلك، وعذروا الخليفة في محبتها، والله أعلم بها هنالك.

الحكاية السابعة

في الكرم

«حُكي» أن رجلاً كان نائمًا في المسجد ومعه هميان(١)، فانتبه فلم يجد هميانه، ورأى جعفرًا الصادق(٢) يصلي فتعلق به، فقال له: ما شأنك؟ فقال: قد سرق همياني وليس عندي غيرك، فقال له: كم كان في هميانك؟ فقال: ألف دينار، فمضى جعفر إلى بيته وأتاه بألف دينار ودفعها إليه، فذهب الرجل إلى أصحابه فقالوا له: هميانك عندنا، وقد مازحناك فعاد الرجل بالدنانير وسأل عن الذي أعطاها له، فقالوا له: هو ابن عم رسول الله ﷺ، فذهب إليه ودفعها له فلم يقبلها، وقال: إنا إذا أخرجنا شيئًا من ملكنا لا يعود إلينا ﷺ.

الحكاية الثامنة

في فضل الطاعة

«حُكي» أن شابًا من بني إسرائيل مرض مرضًا شديدًا، فنذرت أمه إن عافاه الله من مرضه لتخرجن من الدنيا سبعة أيام، فعافاه الله تعالى منه ولم تف بنذرها، فنامت ليلة فأتاها آت وقال لها: أوفي بنذرك؛ لئلا يصيبك من الله بلاء شديد، فلما أصبحت دعت ولدها وأخبرته بالقصة وأمرته أن يحفر لها قبرًا في المقابر ويدفنها فيه، ففعل ذلك، فلما

---

(١) الهميان بالكسر: ذكره هنا وأعاده في همي إشارة إلى القولين، إن النون زائدة أو أصلية، واختلف فيه فقيل هو: التكة للسراويل، وأيضًا المنطقة، وأيضًا كيس للنفقة يشد في الوسط، قال الأزهري: والهميان دخيل معرب، والعرب قد تكلموا به قديمًا فأعربوه. تاج العروس (١ / ٨١٩٨).

(٢) هو سيدي جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، أبو عبد الله، الملقب بالصادق (٨٠ - ١٤٨ هـ) سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، كان من أجلاء التابعين، وله منزلة رفيعة في العلم، أخذ عنه جماعة، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك، ولقب بالصادق؛ لأنه لم يعرف عنه الكذب قط، له أخبار مع الخلفاء من بني العباس، وكان جريئًا عليهم صداعًا بالحق، له رسائل مجموعة في كتاب، ورد ذكرها في كشف الظنون، يقال إن جابر بن حيان قام بجمعها، مولده ووفاته بالمدينة. الأعلام للزركلي (٢ / ١٢٦).

نزلت في القبر قالت: إلهي وسيدي ومولاي، قد فعلت جهدي وطاقتي، وأوفيت بنذري، فاحفظني في هذا القبر من الآفات، فحثا ولدها عليها التراب وانصرف، فرأت من جهة رأسها نورًا ساطعًا، وجحرًا كالكوة(١) فنظرت فيه فرأته بستانًا وفيه امرأتان، فنادياها: أيتها المرأة، اخرجي إلينا، فاتسع الجحر وخرجت إليهما، فإذا في البستان حوض نظيف وهما جالستان فيه، فجلست عندهما، وسلمت عليهما، فلم يردا عليها السلام، فقالت لهما: ما منعكما أن تردا علي السلام وأنتما قادرتان على الكلام؟ فقالتا لها: إن السلام طاعة، وقد منعنا منها، فبينما هي جالسة عندهما وإذا بطائر على رأس إحدى المرأتين يروح عليها بجناحيه، وإذا بطائر على رأس الأخرى ينقر رأسها بمنقاره، فقالت للأولى: بماذا نلت هذه الكرامة؟ فقالت: كان لي في دار الدنيا زوج، وكنت مطيعة له، وقد خرجت من الدنيا وهو عني راض، فأكرمني الله بهذه الكرامة، وقالت للأخرى: بماذا أصابتك هذه العقوبة؟ فقالت: إني كنت امرأة صالحة، وكان لي في الدنيا زوج، وكنت عاصية له، وقد خرجت من الدنيا وهو ساخط عليَّ، فجعل الله قبري روضة لصلاحي، وعاقبني هذه العقوبة بسخط زوجي، فأسألك إذا رجعت إلى الدنيا فاشفعي لي عند زوجي لعله يرضى عني، فلما مضى عليها سبعة أيام قالت لها: قومي وادخلي إلى قبرك؛ لأن ولدك جاء في طلبك، فلما دخلت قبرها فإذا ولدها يحفر عليها فأخرجها من القبر، وذهب بها إلى المنزل، فشاع الخبر أنها وفت بنذرها، فجاء الناس لزيارتها، وجاء زوج المرأة التي سألتها الشفاعة عنده فأخبرته بخبرها، فعفا عنها، فرأت في نومها تلك المرأة فقالت لها: قد نجوت من العقوبة بسببك، فجزاك الله خيرًا، وعفا عنك.

---

(١) الكَوَّةُ ـ ويُضَمّ ـ والكَوُّ: الخَرْقُ في الحائِطِ، والتَّذْكِيرُ للكبيرِ، والتَّأنيثُ للصغيرِ، جمعه: كُوًى وكُواءٌ، وتَكَوَّى: دَخَلَ مكانًا ضَيِّقًا فَتَقَبَّضَ فيه. القاموس المحيط (١ / ١٧١٣).

الحكاية التاسعة

في الكرامات

«حُكي» عن عبد الله بن المبارك[١] قال: كنت بمكة فوقع فيها قحط كبير، وكان الناس يستسقون بعرفات فلم يزدادوا إلا شدة، فمكثوا على ذلك جمعة، ثم بعد الجمعة خرجوا إلى عرفات فرأيت فيهم رجلاً أسود ضعيف البدن، فصلى ركعتين ثم دعا ربه بعدهما، ثم سجد وقال: «وعزتك لا أرفع رأسي من السجود حتى تسقي عبادك»، فرأيت قطعة من السحاب ظهرت ثم انضم إليها قطع أخر، ثم أمطرت السماء كأفواه القرب، فحمد الله وانصرف، فاتبعت أثره حتى رأيته دخل مكانًا فيه نخاس[٢] العبيد فانصرفت، ثم أصبحت فحملت معي من الدراهم والدنانير ثم جئت إلى دار النخاس وقلت له: إني محتاج إلى غلام أشتريه، فعرض علي نحو ثلاثين غلامًا.

فقلت: هل بقي غير هؤلاء؟ قال: بقي غلام ميشوم[٣] لا يكلم أحدًا، فقلت: أرنيه، فأخرج الغلام الذي رأيته بعينه، فقلت: بكم اشتريته؟ فقال: بعشرين دينارًا، وهو لك به عشرة دنانير، فقلت: لا، بل أزيدك سبعة وعشرين دينارًا، وأخذت بيد الغلام ورجعت، فقال لي: يا مولاي، لم اشتريتني وأنا لا أطيق خدمتك.

فقلت: إنما اشتريتك لتكون أنت مولاي، وأنا خادمك، فقال لي: لماذا تفعل ذلك؟! فقلت: رأيتك بالأمس قد دعوت الله تعالى فأجابك، فعرفت كرامتك عليه، فقال لي: قد رأيت ذلك! قلت: نعم، قال: فهل تعتقني؟.

---

(١) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، المروزي أبو عبد الرحمن (١١٨ - ١٨١ هـ) الحافظ شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات، أفنى عمره في الأسفار، حاجًا ومجاهدًا وتاجرًا، وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء، كان من سكان خراسان، ومات بهيت - على الفرات - منصرفًا من غزو الروم، له كتاب في «الجهاد» وهو أول من صنف فيه، و«الرقائق». الأعلام للزركلي (٤ / ١١٥).

(٢) نخس: قال الليث: النَّخْسُ تَغْرِيزُك مؤخر الدَّابة أو جنبها بعُودٍ أو غيره، وقيل للنَّخَّاس: نخَّاسٌ لنَخْسه الدَّوابَّ حتَّى تنبسط، وفِعْلَهُ النِّخَاسَةُ، ويقال: نَخَسوا بفلان، إذا هَيَّجُوهُ وأَزْعَجُوه، وكذلك إذا نَخَسُوا دابَّته وطردوه. تهذيب اللغة (٢ / ٤٤٤).

(٣) يقولون: مَيْشوم، والصواب: مَشْئوم. تصحيح التصحيف وتحرير التحريف (١/ ١٠٢).

فقلت: أنت حر لوجه الله تعالى، فسمعت هاتفًا لا أرى شخصه يقول: يا ابن المبارك، أبشر فقد غفر الله لك، ثم أسبغ الوضوء وصلى ركعتين، ثم قال: الحمد لله هذا عتق مولاي الأصغر، فكيف يكون عتق مولاي الأكبر، ثم توضأ أيضًا وصلى ركعتين، ثم رفع يده إلى السماء وقال: إلهي، أنت تعلم أني عبدتك ثلاثين سنة، وأن العهد بيني وبينك ألَّا تكشف ستري، فحينئذ كشفته، فاقبضني إليك، فخر مغشيًا عليه فإذا هو ميت فكفنته ولم أحسن كفنه، وصليت عليه ودفنته، فلما نمت رأيت رجلاً حسنًا في ثياب حسنة ومعه رجل كبير كذلك، وكل منهما واضع يده على كتف الآخر، فقال لي: يا ابن المبارك، أما تستحيي من الله، ثم مشى.

فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا محمد رسول الله، وهذا أبي إبراهيم، فقلت: وكيف لا أستحيي وأنا أكثر الصلاة؟ فقال: يموت ولي من أولياء الله تعالى فلا تحسن كفنه، فلما أصبحت أخرجته من القبر وكفنته في كفن نقي، وصليت عليه، ودفنته، رحمه الله تعالى.

«وسئل» أبو القاسم الحكيم: أيهما أفضل عاص يتوب من عصيانه أم كافر يرجع إلى الإيمان؟ فقال: بل العاصي الذي يتوب من عصيانه أفضل؛ لأن الكافر في حال كفره أجنبي، والعاصي في حال عصيانه عارف بربه، وإن الكافر إذا أسلم ينتقل من درجة الأجانب إلى درجة العارف، والعاصي ينتقل من درجة العارف إلى درجة الأحباب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الله يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢] والله أعلم.

الحكاية العاشرة

في الكرامات أيضًا

«حُكي» عن رجل قال: كنا في سفينة مع تجار، فهاجت علينا أرياح وأمواج من البحر فاضطربت السفينة، فخفنا خوفًا شديدًا، وكان في زاوية من السفينة رجل عليه كساء من وبر، فلم تزل الأمواج تضرب السفينة حتى سقط فيها الماء فثقلت، وأيسنا من أنفسنا وأموالنا، فخرج ذلك الرجل من السفينة ووقف يصلي على الماء، فقلنا له: يا ولي الله أدركنا، فلم يلتفت إلينا، فقلنا له: بحق من قواك لعبادته، أغثنا وأدركنا، فالتفت إلينا وقال: ما شأنكم وهو غائب عن جميع ما أصابنا، فقلنا له: ألا ترى إلى السفينة وما أصابها من الأمواج والرياح، فقال لنا: تقربوا إلى الله، فقلنا له: بماذا تتقرب؟ فقال: بترك الدنيا،

فقلنا له: قد فعلنا، فقال لنا: اخرجوا بسم الله، فما زلنا نخرج واحدًا بعد واحد نمشي على الماء حتى اجتمعنا حوله، ونحن قيام على الماء ـ وكنا مائتي نفس أو أكثر ـ فغرقت السفينة بما فيها من الأموال، فقال لنا: أما من هول الدنيا فقد سلمتم، فأخرجوا، فقلنا له: نسألك بالله من أنت يرحمك الله؟ فقال: أنا أويس القرني[1]، فقلنا له: إن في السفينة أموالاً لفقراء المدينة بعثها إليهم رجل من مصر، فقال: إن رد الله عليكم أموالكم تقتسموها مع فقراء المدينة، فقلنا له: نعم، فصلى على وجه الماء ركعتين ثم دعا بدعاء خفي، فطلعت السفينة بجميع ما فيها على وجه الماء، فركبناها، وفقدنا أويسًا، فسرنا إلى المدينة واقتسمنا أموالنا بيننا وبين أهلها، فلم يبق في المدينة فقير أبدًا.

الحكاية الحادية عشرة

في فضل التسليم للقضاء

«حُكي» أن طارقًا الصادق إنما سمي صادقًا لما وقع في بئر معطلة، فمر عليها نفر من الحاج، فقالوا: نسد رأسها؛ لئلا يقع فيها أحد، فقلت في نفسي: إن كنت صادقًا فاسكت، فسكت، فسدوها وانصرفوا، فأظلمت ظلامًا شديدًا وإذا بسراجين عندي، فصرت أنظر بنورهما، وإذا ثعلب عظيم مقبل إلي، فقلت في نفسي: إذا يظهر الصادق من الكاذب، فلما وصل إلي ظننت أنه يأكلني، فصعد نحو فم البئر، ثم جعل ذنبه في عنقي، وتحت رجلي، وحملني كالولد، ورفع كل ما على رأس البئر وجذبني إلى الأرض، ثم جذب ذنبه عني، فسمعت هاتفًا لا أراه يقول: هذا من لطف ربك إذ نجاك من عدوك بعدوك، فسمي صادقًا.

---

(١) هو أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني، من بني قرن بن ردمان بن ناجية ابن مراد (٠٠٠ - ٣٧ هـ) أحد النساك العباد المقدمين، من سادات التابعين، أصله من اليمن، يسكن القفار والرمال، وأدرك حياة النبي ﷺ ولم يره، فوفد على عمر بن الخطاب ثم سكن الكوفة، وشهد وقعة صفين مع علي، ويرجح الكثيرون أنه قتل فيها. الأعلام للزركلي (٢ / ٣٢).

الحكاية الثانية عشرة

في فضل الثبات

«حُكي» أن مبارزًا من الروم أسر جماعة من المسلمين في زمن عمر بن الخطاب ﷺ، فوصف لكلب الروم رجل فيهم قوي هيوب، فدعا به ليراه، وكان بين يدي كلب الروم سلسلة ممدودة حتى لا يدخل عليه أحد إلا على هيئة الراكع، فلما رآها الرجل أبى أن يدخل على كلب الروم كهيئة الراكع، وقال: إني لأستحيي من محمد ﷺ أن أدخل على الكافر كهيئة الراكع، فأمر كلب الروم برفعها حتى يدخل، فلما دخل عليه تكلم معه وأطال معه الكلام، فقال له كلب الروم: ادخل في ديننا حتى أضع خاتمي في يدك، وأعطيك ولاية الروم فتعمل فيها ما تشاء، فقال الرجل لكلب الروم: كم للروم من الدنيا؟ فقال: ثلثها أو ربعها، فقال الرجل: لو كانت الدنيا كلها لهم مملوءة ذهبًا وجوهرًا وأعطوها لي بدلاً عن سماع أذان يوم ما قبلتها، فقال له كلب الروم: وما الأذان؟ فقال: هو: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، فقال كلب الروم: إنه قد ثبت حب محمد في قلبه، فلا يمكنه أن يرجع في هذه الساعة.

ثم أمر بأن يوضع قدر على النار ويوضع فيه ماء، وقال: إذا اشتد غليانه فألقوه فيه، ففعلوا ذلك، فلما ألقوه فيه قال: بسم الله الرحمن الرحيم، فدخل من جانب وخرج من جانب آخر بقدرة الله تعالى، فتعجبوا من أمره، فأمر به كلب الروم أن يجلس في بيت مظلم، ويمنع عنه الطعام والشراب، ويلقى له لحم الخنزير والخمر أربعين يومًا، ففعلوا، فلما تم الأربعون فتحوا عليه فرأوا جميع ما ألقوه له بين يديه لم يأكل منه شيئًا، فقالوا: كيف لا تأكل منه وأكله جائز في دين محمد عند الضرورة؟ فقال لهم: لو أكلت منه لفرحتم، وإنما أردت إغاظتكم، فقال له كلب الروم: حيث لم تأكل من ذلك فاسجد لي حتى أخلي سبيلك، وسبيل من معك من الأسارى، فقال له: إن السجود في دين محمد لا يجوز إلا لله تعالى، فقال له كلب الروم: قبل يدي حتى أخلي عنك وعمن معك من الأسارى، فقال له: إن هذا لا يجوز إلا للأب، أو للسلطان العادل، أو للأستاذ، فقال له: فقبل جبهتي، فقال له: أفعل هذا بشرط واحد، فقال له: افعل كما تريد فوضع كمه على جبهته وقبلها ناويًا تقبيل كمه، فخلى سبيله ومن معه من الأسارى، وأعطاه مالاً كثيرًا، وكتب إلى عمر ﷺ لو

كان هذا الرجل في بلادنا على ديننا لكنا نعتقد عبادته، فلما جاء إلى عمر ﷺ قال له: لا تختص بالمال وحدك، بل شارك فيه أهل مدينة رسول الله ﷺ، ففعل ذلك.

الحكاية الثالثة عشرة

في فضل ليلة نصف شعبان(١)

«حكي» أن عيسى ﷺ كان في سياحته فنظر إلى جبل عال فقصده، فإذا بصخرة في ذروته أشد بياضًا من اللبن، فصار يمشي حولها ويتعجب من حسنها، فأوحى الله إليه: يا عيسى، أتحب أن أبين لك أعجب مما ترى، قال: نعم يا رب، فانفلقت الصخرة عن شيخ عليه مدرعة من الشعر، وبيده عكاز أخضر، وبين عينيه عنب، وهو قائم يصلي، فتعجب عيسى ﷺ من ذلك، فقال: يا شيخ ما هذا الذي أرى؟ فقال: هذا رزقي في كل يوم، فقال له: كم تعبد الله في هذا الحجر؟ فقال: أربعمائة سنة، فقال عيسى ﷺ: إلهي وسيدي، ما أقول أنك خلقت خلقًا أفضل من هذا، فأوحى الله إليه: إن رجلاً من أمة محمد ﷺ أدرك شهر شعبان وصلى ليلة النصف منه أفضل عندي من عبادة هذا الأربعمائة سنة، فقال عيسى ﷺ: يا ليتني كنت من أمة محمد ﷺ.

(١) الصَّلَاةُ الْأَلْفِيَّةُ لَيْلَةَ نِصْفِ شَعْبَانَ بِدْعَةٌ لَا أَصْلَ لَهَا قَالَهُ الشَّيْخُ، وَقَالَ: وَأَمَّا لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَفِيهَا فَضْلٌ، وَكَانَ فِي السَّلَفِ مَنْ يُصَلِّي فِيهَا، لَكِنَّ الِاجْتِمَاعَ لَهَا لِإِحْيَائِهَا فِي الْمَسَاجِدِ بِدْعَةٌ. انتهى.
وَفِي اسْتِحْبَابِ قِيَامِهَا - أَيْ: لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ - مَا فِي إحْيَاءِ لَيْلَةِ الْعِيدِ هَذَا مَعْنَى كَلَامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ رَجَبٍ الْبَغْدَادِيِّ ثُمَّ الدِّمَشْقِيِّ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى: «اللَّطَائِفَ فِي الْوَظَائِفِ».
وَيُعَضِّدُهُ حَدِيثُ: «مَنْ أَحْيَا لَيْلَتَيْ الْعِيدَيْنِ وَلَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، أَحْيَا اللهُ قَلْبَهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ» رَوَاهُ الْمُنْذِرِيُّ فِي تَارِيخِهِ بِسَنَدِهِ عَنْ ابْنِ كُرْدُوسٍ عَنْ أَبِيهِ. قَالَ جَمَاعَةٌ: وَلَيْلَةُ عَاشُورَاءَ وَلَيْلَةُ أَوَّلِ رَجَبٍ وَلَيْلَةُ نِصْفِ شَعْبَانَ. كشاف القناع عن متن الإقناع (٣/ ٣٢٩).

الحكاية الرابعة عشرة

في أنواع الحُكم

«حُكي» أنه كان الحكم في زمن إبراهيم الخليل عليه السلام للنار، فالمحق يدخل يده فيها فلا تحرقه، والمبطل إذا أدخل يده فيها أحرقته.

وكان الحكم في زمن موسى عليه السلام للعصا فتسكن للمحق، وتضطرب للمبطل.

وكان الحكم في زمن سليمان عليه السلام للريح تسكن للمحق، وترفع المبطل ثم تسقطه على الأرض.

وكان الحكم في زمن ذي القرنين للماء إذا جلس عليه المحق جمد أو المبطل ذاب.
وكان الحكم في زمن داود عليه السلام للسلسلة المعلقة، فالمحق تصل يده إليها بخلاف المبطل.
وأما في زمن محمد ﷺ فالحكم له باليمين أو إقامة البينة، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

وروي عن الترمذي أن «اليسر»: اسم للجنة؛ لأن جميع اليسر فيها، و«العسر»: اسم للنار؛ لأن جميع العسر فيها، وقيل غير ذلك.

الحكاية الخامسة عشرة

في فضل الصيام

«حُكي» عن سفيان الثوري رضي الله عنه قال: أقمت بمكة ثلاث سنين، وكان رجل من أهلها يأتي كل يوم عند الظهيرة إلى المسجد فيطوف، ويصلي ركعتين، ثم يسلم علي، ثم يرجع إلى بيته، فحصل لي به ألفة ومحبة وصرت أتردد إليه، فحصل له مرض فدعاني، وقال لي: إذا مت فغسلني بنفسك، وصل علي، وادفني، ولا تتركني تلك الليلة وحيدًا في قبري، ولقني التوحيد عند سؤال منكر ونكير، فضمنت له ذلك، فلما مات فعلت ما أمرني به، وبت عند قبره، فبينما أنا بين النائم واليقظان سمعت هاتفًا من فوقي ينادي: يا سفيان، لا حاجة لنا إلى حفظك، ولا إلى تلقينك، ولا إلى أنسك، لأنا آنسناه، ولقناه، فقلت: بماذا؟ فقيل: بصيامه شهر رمضان، وإتباعه بستة من شوال، فاستيقظت فلم أر أحدًا، فتوضأت وصليت حتى نمت، فرأيت مثل الأول، وهكذا ثلاث مرات، فعرفت أنه من الرحمن لا من الشيطان، فانصرفت عن قبره وقلت: اللهم وفقني لصيام ذلك بمنك وكرمك، آمين.

الحكاية السادسة عشرة

في فضل التفرغ للعبادة

«حكي» أن عابدًا عَبَدَ الله مائة سنة في صومعته فوسوس له الشيطان فنزل من صومعته، ودخل البلد لزيارة أقاربه وأصدقائه في الله تعالى، فتعلق به صديق له، وأدخله إلى بيته، وحلفه بالله أن يساعده على ما هو عليه، فساعده في ذلك سبعة أشهر، فنام ليلة من الليالي، فلما كان عند السحر صاح صيحة مزعجة، فقام صاحب المنزل منزعجًا فقال له: ما لك؟ فقال: أوقد لي سراجًا، فأوقد له، فقال له: كنت نائمًا فرأيت شابًا حسن الوجه نظيف الثياب، فقال لي: أنا رسول الله، فأي عيب رأيت من الله ورسوله حتى تركت عبادته، ارجع إلى صومعتك قبل أن تموت، فخرج العابد في الليل فلم يزل يطوف في المفاوز، ويشرب من ماء المطر، ويأكل من ورق الشجر، وينادي: إلهي، بدني معيوب، وقلب مكروب، ولساني مقر بالذنوب، فاغفر لي يا غفار الذنوب، ويا ستار العيوب، ويا علام الغيوب، فلما دنا من صومعته وهم بدخولها، فأدخل رجلاً واحدة رأى شيئًا مكتوبًا، فتأمل فيه، فرأى أربعة أسطر: توكلت علينا فكفيناك، وآثرت علينا فتركناك، وأقبلت علينا فقبلناك، وفارقت الذنوب فغفرناها لك ورحمناك، وطمعت فيما عندنا فأعطيناك.

الحكاية السابعة عشرة

في فضل الإخلاص

«حكي» أن الشبلي ﷺ قال يومًا في مجلس وعظه: الله ـ بالهيبة ـ فسمعه شاب فصرخ صرخة، فمات، فخاصمه أولياؤه إلى السلطان، وادعوا عليه بأنه قتل ولدهم، فقال له السلطان: ما تقول؟ فقال: يا أمير المؤمنين، روح حنت، فرنت، فدعيت، فأجابت، فما ذنبي، فبكى أمير المؤمنين ثم قال لأوليائه: خلوا سبيله، فلا ذنب له، والله أعلم.

الحكاية الثامنة عشرة

في فضل التوكل على الله تعالى

«حكي» أن ذا النون المصري(١) كان يصطاد في البحر ومعه بنت له صغيرة، فطرح شبكته، فوقع فيها سمكة، فأراد أخذها من الشبكة، فرأتها تحرك شفتيها فطرحتها في البحر، فقال لها: لماذا ضيعت كسبنا؟ فقالت له: إني لا أرضى بأكل خلق يذكر الله تعالى، فقال لها أبوها: فماذا نفعل؟ فقالت: نتوكل على الله، ويرزقنا رزقًا مما لا يذكر الله تعالى، فتركا الصيد ومكثا يتوكلان على الله تعالى إلى المساء، فلم يأتهما شيء، فلما صار وقت العشاء أنزل الله تعالى عليهما مائدة من السماء عليها ألوان الطعام، وصارت كل ليلة تنزل إلى نحو اثنتي عشرة سنة، فظن ذو النون أن نزولها بسبب صلاته، وصيامه، وعبادته، وطاعته، فماتت بنته فلم تنزل المائدة بعدها، فعلم أبوها أن نزول المائدة كان بسببها لا بسببه، فرجع عن ظنه المذكور.



(١) أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصري الإخميمي النوبي كان أصله من النوبة، وكان من قرية إخميم فنزل مصر، وكان حكيمًا فصيحًا زاهدًا، وجه إليه جعفر المتوكل على الله فحمل إلى حضرته بسر من رأى حتى رآه، وسمع كلامه ثم انحدر إلى بغداد فأقام بها مديدة وعاد إلى مصر، وقيل: إن اسمه ثوبان وذو النون لقب له، وقد أسند عنه أحاديث غير ثابتة والحمل فيها على من دونه، وحكى عنه من البغداديين: سعيد بن عثمان بن عياش الخياط، وأبو العباس بن مسروق الطوسي. قال أبو الحسن الدارقطني: ذو النون المصري روى عنه عن مالك أحاديث في أسانيدها نظر فكان واعظًا، وقال في موضع آخر: إذا صح السند إليه فأحاديثه مستقيمة وهو ثقة، وقال ابن الجلاء: لقيت ستمائة شيخ ما لقيت فيهم مثل أربعة أحدهم ذو النون، ومات ذو النون في سنة خمس وأربعين ومائتين بالجيزة، وحمل في مركب حتى عدي به إلى الفسطاط خوفًا عليه من زحمة الناس على الجسر، ودفن في مقابر أهل المعافر، وذلك في يوم الإثنين لليلتين خلتا من ذي القعدة من سنة ست وأربعين ومائتين. الأنساب للسمعاني (١/ ٩٧).

الحكاية التاسعة عشرة

في الشفقة

«حكي» أن النبي ﷺ خرج لصلاة العيد والصبيان يلعبون وفيهم صبي جالس في ناحية يبكي، وعليه ثياب خلقة، فقال له النبي ﷺ: أيها الصبي، ما لك تبكي ولا تلعب مع الصبيان؟ فقال له الصبي ـ وهو لم يعرف أنه النبي ﷺ ـ: خل عني أيها الرجل، فإن أبي مات في غزوة كذا مع النبي ﷺ، فتزوجت أمي بزوج غيره، فأكل مالي، وأخرجني زوجها من بيته، وليس لي طعام، ولا شراب، ولا ثياب، ولا بيت آوى إليه، فلما رأيت الصبيان ذوي الآباء يلعبون وعليهم الثياب تجدد حزني ومصيبتي، فلذلك بكيت، فأخذ النبي ﷺ بيده وقال له: أما ترضى أن أكون لك أبًا، وعائشة أمًّا، وفاطمة أختًا، وعلي عمًّا، والحسن والحسين أخوة، فقال: كيف لا أرضى يا رسول الله، فحمله إلى منزله وألبسه أحسن الثياب، وزينه، وأطعمه، وأرضاه، فخرج ضاحكًا مسرورًا يعدوا إلى الصبيان، فلما رأوه قالوا له: أنت الآن كنت تبكي فما لك صرت مسرورًا؟ فقال: كنت جائعًا فشبعت، وعاريًا فاكتسيت، ويتيمًا فصار رسول الله ﷺ أبي، وعائشة أمي، وفاطمة أختي، وعلي عمي، فقال الصبيات: ليت آباءنا كلهم ماتوا في تلك الغزوة، واستمر الصبي عند النبي ﷺ حتى قبض، فخرج يبكي ويحثوا التراب على رأسه ويقول: الآن صرت يتيمًا، الآن صرت غريبًا، فضمه أبو بكر ﷺ إلى نفسه.

الحكاية العشرون

في فضل الرجوع إلى الله تعالى[1]

«حكي» أنه كان ملك من ملوك الكفار جائرًا في زمن داود عليه السلام فاستعدى الناس عليه داود عليه السلام وقالوا له: يا نبي الله، أنصفنا منه فإنه قتل وسبى، فأمر داود بصلبه، فصلب فوق الجبل عشيًا، وتفرق الناس عنه إلى منازلهم، وصار على الخشبة وحده، فتضرع إلى آلهته فلم يغنوا عنه شيئًا، فتضرع إلى الشمس والقمر وقال: عبدتكما لتنفعاني إذا أصابتني بلية فانفعاني، فلم يغنيا عنه شيئًا، فرجع إلى الله تعالى وذكره بأسمائه وابتهل إليه وقال: يا رب،

---

(١) المقصود بالرجوع إلى الله: التوبة والإنابة.

عصيتك وعبدت غيرك، فلم أنتفع به، وأتيت إليك أنت الحق لتغنني فأغنني برحمتك، فقال الله تعالى: هذا عبد آلهته طويلاً فلم ينتفع بهم، وقد فزع إلي ودعاني فاستجبت له، وإني أجيب دعوة المضطر إذا دعاني، فاهبط يا جبريل إلى عبدي هذا وضعه على الأرض في سلامة وعافية، ففعل جبريل، فلما أصبحوا ذهبوا إلى داود وقالوا له: ائذن لنا في إلقائه عن الخشبة، فأذن لهم، فلما وصلوا إليه وجدوه حيًّا سالـمًا على الأرض، فأخبروا داود بذلك، فذهب إليه، فوافاه كما قالوا، فصلى داود ركعتين وقال: يا رب، أخبرني بما أرى من العجائب، فأوحى الله تعالى إليه: يا داود، إن هذا العبد تضرع إلي فاستجبت له، وإني لو لم أستجب له كما لم تستجب له آلهته فأي فرق بيني وبينها، وكذلك أفعل بمن أناب إلي، يا داود، اعرض عليه الإيمان فإنه يؤمن، ويحسن إيمانه، وأنا أقول الحق وأهدي السبيل.

الحكاية الحادية والعشرون

في الزهد[1]

«حكي» عن بعض الزهاد قال: خرجت حاجًّا، فرأيت امرأة تمشي بلا زاد، ولا راحلة، وهي تذكر الله تعالى وتثني عليه، فدنوت منها فقلت: يا أمة الله إلى أين؟ فقالت: إلى بيت الله الحرام، فقلت: ما أرى معك زادًا ولا راحلة؟ فقالت: لو اتخذ أحدكم ضيافة ودعا الناس إليها، هل يحسن لأضيافه أو يجيء كل واحد بطعامه؟ قلت: لا، فقالت: فضيافة الله أحق بهذا، فجاءت معنا حتى نزلنا بالأبطح وهي تقول: أين بيت ربي؟ أين بيت ربي؟ فقيل: تنظرينه الآن، فجاءت حتى دخلت المسجد فقيل لها: هذا بيت ربك، فجاءت ووضعت رأسها على عتبة الكعبة وصارت تقول: هذا بيت ربي، وتكرر ذلك حتى خفي صوتها، فنظرنا إليها فإذا هي قد ماتت، رحمها الله تعالى.

---

(١) الزهد: في اللغة: ترك الميل إلى الشيء، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: هو بغض الدنيا والإعراض عنها، وقيل: هو ترك راحة الدنيا طلبًا لراحة الآخرة، وقيل: هو أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك. التعريفات (١/ ٣٧).

الحكاية الثانية والعشرون

في فضل إخلاص المحبة

«حكي» أن امرأة جاءت إلى مسجد رسول الله ﷺ لسماع كلامه فلقيها شاب، فتكلم معها، ثم قال لها: أين أنت ذاهبة؟ فقالت: إلى رسول الله ﷺ، فقال لها: أنت تحبينه؟ فقالت: نعم، فقال لها: بحقه عليك أن ترفعي نقابك، فرفعته حرمة له ﷺ، فأخذ الشاب بطرف ذقنها وقال لها: صدقت، فندمت المرأة على ذلك، وأخبرت زوجها بذلك، فدخل زوجها على النبي ﷺ وأخبره بالقصة، فقال له النبي ﷺ: أوقد النار في التنور[1] ثم مرها بحق النبي أن تدخل النار، ففعل، ثم أمرها بالدخول فكرهته، فقال لها: بحق النبي ﷺ، فقالت: مرحبًا وكرامة، فدخلتها، فغطى رأس التنور عليها بغطاء، ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره بذلك، فقال له النبي ﷺ: ارجع وانظر إلى حالها، فرجع إليها، فوجدها جالسة في وسط التنور وقد عرقت، فأخرجها سالمة لم يصبها ألم النار بإذن الله تعالى.

الحكاية الثالثة والعشرون

في التلاهي عن ذكر الله تعالى

«حكي» أن رجلاً مكث ثلاثين سنة لم يذكر الله تعالى أبدًا، فقالت الملائكة: يا ربنا، إن عبدك فلانًا لم يذكرك منذ كذا، فقال لهم الله تعالى: عدم ذكره لي؛ لأنه في نعمتي، ولو أصابته بلوى لذكرني، فأمر جبريل أن يسكن عرقًا من عروقه الضاربة، ففعل، فقام الرجل يقول: يا رب يا رب، فقال الله تعالى: لبيك لبيك عبدي، أين كنت في تلك المدة؟.

---

(١) التَّنُّورُ: نوع من الكوانين. الجوهري: التَّنُّورُ الذي يخبز فيه، وفي الحديث: قال لرجل عليه ثوب مُعَصْفَرٌ: «لو أن ثَوْبَك في تَنُّورِ أَهْلِكَ أو تَحْتَ قَ دِرِهم كان خيرًا» فذهب فأحرقه. قال ابن الأثير: وإنما أراد أنك لو صرفت ثمنه إلى دقيق تخبزه أو حطب تطبخ به كان خيرًا لك كأنه كره الثوب المعصفر، والتَّنُّور: الذي يخبز فيه يقال هو في جميع اللغات كذلك، وفي التنزيل العزيز: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ [هود: ٤٠] قال علي ـ كرم الله وجهه ـ: هو وجه الأرض، وكل مَفْجَرِ ماءٍ تَنُّورٌ، قال أبو إسحق: أعلم الله ﷻ أن وقت هلاكهم فَوْرُ التَّنُّورِ، وقيل في التنور أقوال: قيل: التنور وجه الأرض، ويقال: أراد أن الماء إذا فار من ناحية مسجد الكوفة، وقيل: إن الماء فار من تنور الخابزة، وقيل أيضًا: إن التَّنُّور تَنْوِيرُ الصُّبْحِ، وروي عن ابن عباس: التَّنُّورُ الذي بالجزيرة وهي عَيْنُ الوَرْدِ، والله أعلم بما أراد. لسان العرب (٤/ ٩٥).

الحكاية الرابعة والعشرون

في فضل الالتجاء إلى الله تعالى

«حكي» أن جماعة من أتباع هارون الرشيد أخبروه بأنهم قبضوا على عشرة أشخاص من قطاع الطريق، فانظر بماذا تأمرنا فيهم؟ فأرسل لهم أن يبعثوهم إليه، فأخذهم جماعة ومضوا بهم إلى الخليفة، فهرب واحد منهم في بعض الطريق، فحصل لهم تعب شديد وقالوا: إن ذهبنا بالتسعة إلى الخليفة يقول: إنكم أخذتم الأموال من واحد وخليتم سبيله فيعاقبنا، ولكن دعونا نأخذ واحدًا من الطريق مكانه، فبينما هم كذلك إذ مرَّ واحد من الحجاج فأخذوه، وجعلوه مع التسعة، فلما وصلوا إلى الخليفة أمر بحبسهم في السجن، فحبسوهم مدة، ثم قال لهم السجان: هل لكم أحد من الأقارب أو المعارف يشفع لكم عند الخليفة؟ قالوا: نعم، فأرسلوا إلى معارفهم، فبذلوا للخليفة عن كل واحد عشرة آلاف درهم، وأطلقوا محابيسهم، فانطلقوا جميعًا ولم يبق إلا الحاج، فقال له السجان: ألك شفيع؟ قال: لا، ولكن إذا كتبت مكتوبًا هل توصله إلى الخليفة؟ قال: نعم، قال: فأحضر لي دواة وقرطاسًا، فأحضرهما له، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، من العبد الذليل إلى الرب الجليل، أما بعد... فإن المخلوقين لهم شفعاء منهم في الجرم والجناية وقد شفعوا لهم عند الخليفة، وأطلقهم، وأنا بقيت في السجن منفردًا، وأنت يا رب شاهدي وشفيعي، وأنا عبد لم أذنب، فقال له السجان: إني لا أقدر على إيصال هذه إلى الخليفة، فانظر في أي موضع أضعها، فقال له: ضعها على سطح السجن، فلما وضعها طارت في الهواء إلى السماء أحد من رمية السهم عن القوس القوي، فرأى هارون تلك الليلة في نومه أن ملائكة نزلوا من السماء فأخذوه ورفعوه في الهواء وقالوا: يا هارون، إن المخلوقين قد شفعوا عندك في تسعة وأطلقتهم من السجن، وإن الخالق رب العزة يشفع عندك في واحد فأطلقه، وإلا فتهلك، فاستيقظ الخليفة من منامه مرعوبًا ودعا بالسجان وقال له: من في السجن عندك؟ فذكر له القصة، فقال له: أحضره عندي، فلما أحضره بين يديه قدم له الخليفة شيئًا من الحلوى، وصار يلقمه في فمه حتى شبع، وأمر بأن يحمل إلى الحمام، وأمر له بخلقة سنية، وأعطاه سبعين مركوبًا، وسبعين غلامًا وجارية، وأمر مناديًا ينادي من استشفع بالمخلوقين يعطي عشرة آلا وينجو، ومن استشفع بالخالق فهذا جزاؤه من هارون الرشيد.

الحكاية الخامسة والعشرون

في حُسن الاعتقاد

«حكي» أن جماعة من اللصوص خرجوا من الليل إلى قطع الطريق على قافلة، فلما جن عليهم الليل جاءوا إلى رباط بالمفازة فقرعوا الباب وقالوا لأهل الرباط: إنا جماعة من الغزاة، ونريد أن نبيت الليلة في رباطكم، ففتحوا لهم الباب فدخلوا، وقام صاحب الرباط يخدمهم، وكان يتقرب إلى الله تعالى بذلك، ويتبرك بهم، وكان له ابن مقعد لا يقدر على القيام، فأخذ صاحب الرباط سؤرهم، وفضل مياههم، وقال لزوجته: امسحي لولدنا بهذا أعضاءه فلعله يشفى ببركة هؤلاء الغزاة، ففعلت ذلك، فلما أصبحوا خرج اللصوص وتوجهوا إلى ناحية وأخذوا أموالاً، وجاءوا إلى الرباط عند المساء، فرأوا الولد يمشي مستويًا، فقالوا لصاحب الرباط: هذا الولد الذي رأيناه مقعدًا بالأمس، قال: نعم، أخذت سؤركم، وفضل مائكم، ومسحته به، فشفاه الله ببركتكم، فأخذوا يبكون وقالوا له: اعلم أيها الرجل إننا لسنا بغزاة، وإنما نحن لصوص خرجنا إلى قطع الطريق غير أن الله تعالى عافى ولدك بحسن نيتك، وقد تبنا إلى الله تعالى، فتابوا جميعًا، وصاروا من جملة الغزاة والمجاهدين في سبيل الله حتى ماتوا.

الحكاية السادسة والعشرون

في مَكر إبليس- لعنه الله

«حكي» أن إبليس ـ لعنه الله ـ دخل على الضحاك بن علوان في صورة آدمي وقال له: أيها الملك، إني رجل أجيد طبخ الأطعمة الطيبة، فاجعلني على طعامك، فضمه إلى نفسه ووكله على طعامه، وكان الناس قبل ذلك لا يأكلون اللحوم، فكان أول ما أخذه من الطعام البيض فأكله فاستطابه، فقال له إبليس: لو اتخذت لك طعامًا مما يخرج منه هذا البيض فلما كان من الغد ذبح له الدجاج، واتخذ له منه طعامًا فاستطابه، ثم في اليوم الثالث ذبح له الغنم، ثم في اليوم الرابع ذبح له الإبل والبقر، ومراده من ذلك التوصل إلى قتل الآدميين، فمضى على ذلك مدة، فتمرن الملك على أكل اللحوم، ثم قال إبليس للملك: إنك قد شرفتني فأكرمتني، فأذن لي أن أقبل كتفيك، فأذن له، فدنا منه وقبَّل منكبيه، فخرج

من موضع قبلته فيهما سلعتان[1] فتيتان كهيئة الحيتين لهما أفواه وأعين، فلما رآهما الضحاك علم أنه إبليس، فقال: قد قتلتنا، ثم قال: ما دواؤهما يا لعين؟ فقال له: أدمغة الناس، ثم ولى عنه فلم يره، فصار الضحاك كل يوم يأمر وزيره بذبح أربعة رجال سمان حسان ويأخذ أدمغتهم فيغذي بها الحيتين، فمكث على ذلك ثلاثمائة عام، فمات وزيره وولى وزيرًا آخر، فصار يحضر أربعة من الرجال فيذبح منهما اثنين ويأخذ أدمغتهما ويخلطهما بأدمغة كبشين، ويغذي بهما الحيتين، ويأمر الرجلين الآخرين بأن يذهبا إلى الجبل ويقيما فيه، واستمر على ذلك إلى سبعمائة سنة حتى كثروا وتوالدوا، وصاروا رجلاً ونساء، واقتنوا الغنم والبقر وغيرهما، وهم الأكراد.

الحكاية السابعة والعشرون

في فضل البسملة

«حكي» أن يهوديًا عشق امرأة يهودية فصار كالمجنون فيها، ولا يهنأ بطعام، ولا شراب، فذهب إلى عطاء الأكبر وسأله عن حاله، فكتب له عطاء البسملة في كاغد وقال له: ابتلع هذه، فلعل الله تعالى يسليك عنها، أو يرزقك بها، فلما ابتلعها قال: يا عطاء، قد وجدت حلاوة الإيمان، وظهر في قلبي النور، ونسيت تلك المرأة، فاعرض علي الإسلام، فعرض عليه، فأسلم ببركة البسملة، فسمعت تلك المرأة بإسلامه فجاءت إلى عطاء وقالت له: يا إمام المسلمين، أنا المرأة التي ذكرها لك اليهودي الذي أسلم، وإني رأيت البارحة في منامي أنه أتاني آت وقال لي: إن أردت أن تنظري موضعك من الجنة فاذهبي إلى عطاء فإنه يريك إياه، وإني قد أتيت إليك، فقل لي: أين الجنة؟ فقال لها عطاء: إن أردت الجنة فعليك أولاً أن تفتحي بابها، ثم تدخلين إليها، فقالت له: كيف أفتح بابها؟ قال: قولي: «بسم الله الرحمن الرحيم» فقالتها، ثم قالت: يا عطاء، قد وجدت في قلبي نورًا، ورأيت ملكوت الله، فاعرض علي الإسلام، فعرضه عليها، فأسلمت ببركة البسملة، ثم عادت إلى بيتها فنامت تلك الليلة فرأت في منامها أنها دخلت الجنة، ورأت قصورها، وقبابها، وفيها قبة مكتوب عليها: «بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله محمد رسول الله» فقرأت ذلك، وإذا بمناد

(١) السِّلْعَةُ بِلَفْظِ سِلْعَةِ الْمَتَاعِ: لَحْمَةٌ زَائِدَةٌ تَحْدُثُ فِي الْجَسَدِ كَالْغُدَّةِ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ، وَالسَّلْعَةُ بِالْفَتْحِ: الشَّجَّةُ. المغرب (٣/ ٧٧).

يقول: يا أيتها القارئة، كذلك قد أعطاك الله جميع ما قرأتيه، فانتبهت المرأة وقالت: إلهي، كنت دخلت الجنة، فأخرجتني منها، اللهم أخرجني من هم الدنيا بقدرتك، فلما فرغت من دعائها سقطت دارها عليها فماتت شهيدة، فرحمها الله تعالى ببركة «بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين».

الحكاية الثامنة والعشرون

في التجلد في الطاعة

«حكي» عن بعض الصالحين قال كنت طائفًا بالبيت وإذا رجل ساجد وهو يقول: ماذا فعلت يا سيدي في أمر عبدك المحروم؟ وكلما مررت عليه أسمعه يقول ذلك، فلما فرغت من الطواف وفرغ من سجوده سألته عن ذلك، فقال لي: اعلم أنا كنا في بلاد الروم نغير عليهم في قلاعهم، فجمع صاحب جيشنا جمعًا كثيرًا وخرج إلى بلادهم، فاختار صاحب الجيش منا عشرة فرسان وأنا منهم، وبعثنا طليعة، فأتينا مفازة فرأينا نحو الستين كافرًا، ثم نظرنا إلى مفازة أخرى، فإذا نحو ستمائة أيضًا، فرجعنا إلى صاحب جيشنا فأخبرناه، فبعث إليهم جيشًا من المسلمين فأخذوهم جميعًا، فقال لنا صاحبنا: إنكم مباركون، فاخرجوا طليعة في الليل على العادة، فخرجنا، فوقعنا في ألف فارس فأخذونا جميعًا أسرى، ثم قدموا بنا إلى ملك الروم فأمر بحبسنا، ثم بلغه أن المسلمين قتلوا أسراهم وفيهم ابن عم الملك، فاغتم بذلك غمًّا عظيمًا ثم أمر بقتلنا، فعصبوا أعيننا، فقال الواقف على رأس الملك: إن في عصب أعينهم تخفيفًا عليهم، فاكشف عن أعينهم؛ لينظروا عذاب بعضهم، فهو أشد عليهم، فكشفوا عن أعيننا، فنظرت إلى الواقف علي وهو لابس الديباج، مكالاً بالذهب، كان رجلاً مسلمًا عندنا فارتد ولحق بدار الكفر، فلم أقدر أن أكلمه.

ثم نظرنا إلى جهة السماء فرأينا عشر جوارٍ مع كل واحدة منديل وطبق وفوقهم عشرة أبواب مفتحة من السماء، فبدأ السياف في قتلنا واحدًا بعد واحد، فصار كلما قتل واحدًا منا تنزل إليه جاريته، فتأخذ روحه، وتلفها في المنديل، وتضعها على الطبق، وتصعد بها من باب من تلك الأبواب، وكنت أنا في آخرهم، فلما انتهى الأمر إلي تقدمت جاريتي إلي لتفعل بروحي كما فعل أصحابها، فلما أراد السياف قتلي قال الواقف على رأس الملك: أيها الملك، إذا قتلتهم جميعًا فمن يخبر المسلمين بقتلهم، فاترك هذا ليخبر المسلمين، فتركني

من القتل، فولت الجارية عني وهي تقول: محروم، محروم، فلذلك أتضرع هاهنا وأقول: يا رب، ماذا صنعت في أمر المحروم، فقال لي: لا تيأس، فضل الله تعالى كبير.

الحكاية التاسعة والعشرون

في عدم الرضا

«حكي» أن رجلاً كان له كروم(١) وأشجار، فأخبر أنه أهلكها البرد، فوسوس إليه الشيطان: إنك تعبد الله وتطيعه، وقد أهلك كرومك وأشجارك، فغضب غضبًا شديدًا، وخرج ورمى بالمفتاح إلى جهة السماء، وقال: قد أهلكت ثماري، فخذ المفتاح، فطار المفتاح في الهواء ساعة ثم عاد إليه، وتعلق بعنقه حية سوداء، واستمرت معلقة بعنقه أربعين يومًا حتى مات، فلما أرادوا غسله ذهبت عن عنقه، فلما دفنوه عادت إليه.

الحكاية الثلاثون

في عِفّة النفس

«حكي» أن يزيد بن معاوية رأى امرأة جميلة على حائط فهويها، وكانت امرأة عدي بن حاتم، كانت ذات جمال وكمال، وكان اسمها: أم خالد، فمرض بسببها ولازم الفراش، فصار الناس يدخلون عليه ليعودوه، ولا يعرفون ما به من العلة، ولم يفش سره إلى أحد، فقال عمرو بن العاص: هذا الأمر لا يوقف عليه إلا من جهة والدته، فتخلو به، وتسأله عن شأنه، فأرسلوا لها لتفعل ذلك، فخلت به وسألته عن شأنه، ولم تزل به حتى أفشى سره إليها، فأخبرت والدته أباه معاوية، فقال لعمرو بن العاص: ما الحيلة في ذلك؟ فقال له: بذل الأموال والخلع حتى يرد علينا زوجها من المدينة، ففعلوا! ذلك حتى قصد زوجها عدي بن حاتم من المدينة إلى دمشق، فلما دخل على معاوية وهب له أموالاً كثيرة وخلع عليه، فلما خرج قال معاوية لعمرو: ما الحيلة بعد هذا؟ فقال له: إذا دخل عليك غدًا فقل له هل لك زوجة؟ فإذا قال لك: نعم، فاضرب يدك على وجهك ولا تجبه، فلما دخل على معاوية سأله وفعل ما تقدم، فخرج عدي فإذا عمرو على الباب فسأله عدي عما فعل الخليفة، فأظهر من نفسه أنه اغتم بذلك، وقال له: يا عدي، إن الخليفة أراد أن يزوجك بنته

(١) الكَرْمُ: شجرة العنب واحدتها كَرْمة، قال: إذا مُتُّ فادْفِنِّي إلى جَنْبِ كَرْمةٍ تُرَوِّي عِظامي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقُها، وجمعها كُرُوم. لسان العرب (١٢/ ٥١٠).

ويعطيك مالاً كثيرًا، وتعرف أن بنات الملوك لا تدخل على ضرائر، فقال لعمرو: فكيف الحيلة، فقال له: إذا دخلت عليه غدًا فقل له: يا أمير المؤمنين، ليس لي زوجة، فلما دخل عدي على معاوية سأله: هل لك زوجة؟ فقال: لا، فقال له معاوية: قل إن كان لي زوجة فهي طالق بائن، فقال ذلك، فقال معاوية لكتابه: اكتبوا ما قال عدي، فكتبوه.

ثم بعد انقضاء عدتها بعث معاوية إلى أبي هريرة وأعطاه أموالاً كثيرة وبعثه إلى المدينة لخطبة أم خالد، فلما دخل المدينة لقيه عبد الله بن عمر فسأله عن حاله، وعن مجيئه، فقص عليه خبره، فقال: هل تذكرني لها؟ قال: نعم، ثم لقيه عبد الله بن الزبير فسأله فأخبره، فقال له: هل تذكرني لها؟ قال: نعم، ثم مر بالحسين فقال مثل ذلك، فلما دخل أبو هريرة على أم خالد أخبرها أن زوجها عديًا بت طلاقها، وأن معاوية أرسله إلى خطبتها لابنه يزيد، ثم قال لها: وقد خطبك عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، والحسين بن علي، فقالت له: أخبرني عن أحوالهم، فقال لها: أحدهم له دنيا، وليس له دين، وهو: يزيد، وآخران لهما دين ودنيا وهما: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وآخر له دين وليس له دنيا، وهو: الحسين، فقالت له: زوجني ممن شئت منهم، فقال لها: الأمر إليك، فقالت: لو لم تأتني لكنت بعثت إليك بمشورتك، فكيف وأنت المبعوث، فقال لها: والله لا أقدم أحدًا على فم قبله رسول الله ﷺ وهو الحسين، فزوجه بها، ودفع له الأموال وعاد إلى معاوية، وأخبره بالخبر، فقال له معاوية: صرفت أموالنا إلى غيرنا، فقال له: إنك لم ترثها عن آبائك، وإنما هي أموال الله ورسوله، فصرفتها لولده، ثم لما لم يحصل لعدي تزويج بنت الخليفة جاء إلى المدينة الشريفة وجلس عند الحسين وتنفس الصعداء، فقال له الحسين: لعلك تذكرت أم خالد، قال: نعم، فدعا بها، وقال لها: هل لمستك؟ قالت: لا، قال: فأنت طالق، وتزوجي بعدي، واعلم أني ليس لي فيها غرض، وإنما فعلت ذلك رحمة بك، ولذا قيل:

انعمي[1] أمَّ خالِدِ رُبَّ ساعٍ لِقاعِدِ

فائدة: عن زيد بن أسلم قال: كان مفتاح بيت المقدس مع سليمان عليه السلام لا يأمن عليه أحدًا، فقام ليلة يفتحه به، فعسر عليه، فاستعان بالجن فعسر عليهم، فاستعان بالإنس فعسر عليهم، فجلس حزينًا كئيبًا يظن أن ربه قد منعه من بيته، فبينما هو كذلك إذ أقبل

---

(١) هذا البيت منسوب لـ«يزيد بن معاوية» بلفظ: أسلمي، من بحر مجزوء الخفيف.

عليه شيخ يتوكأ على عصا؛ لكبره، وكان من جلساء أبيه داود ﷺ، فقال: يا نبي الله، أراك حزينًا، فقال: إن هذا الباب قد عسر فتحه علي، وعلى الإنس والجن، فقال له الشيخ: ألا أعلمك كلمات كان أبوك يقولهن عند كربه، فيكشفه الله عنه، قال: بلى، فقال: قل: «اللهم بنورك اهتديت، وبفضلك استغنيت، وبك أصبحت وأمسيت، ذنوبي بين يديك، أستغفرك وأتوب إليك، يا حنان، يا منان»، فلما قالها انفتح له الباب بإذن الله تعالى، والله أعلم.

نبذة في ذكر صفة كرسي سيدنا سليمان[1] ﷺ

«روي» أنه لما أراد الجلوس للحكم أمر الشياطين بأن يعملوا له كرسيًا بديعًا بحيث لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتعدت فرائصه، فاتخذوه من أنياب الفيلة، وزينوه بالجواهر، واليواقيت، واللؤلؤ، والزبرجد، وحفوه بأشجار كأشجار الكروم من المعادن، وبأربع نخلات من الذهب وشماريخها من الفضة، على رأس نخلتين منها طاوسان من ذهب، وعلى رأس الأخريين نسران من ذهب، على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرد الأخضر، وعلى جبهته أسدان من ذهب، وجعل تحته صخرتين من ذهب لإدارته.

فإذا صعد سليمان على الدرجة السفلى منه استدار الكرسي بجميع ما فيه كدوران الرحا، ونشرت النسور والطواويس أجنحتها، وبسطت الأسد أيديها، وضربت الأرض بأذنابها، وكذا كل درجة، فإذا وصل إلى العليا وضع النسران تاجه على رأسه، ونفخا عليه المسك والعنبر، فإذا جلس ناولته حمامة من ذهب الزبور فيقرؤه على الناس، ويجلس على يمينه علماء بني إسرائيل على كراسي الذهب، وعظماء الجن على يساره على كراسي الفضة، ويتقدم للقضاء، فإذا جاء الشهود لإقامة الشهادة دار الكرسي بما فيه كالرحا، وفعلت الأسد، والنسور، والطواويس ما تقدم، فتفزع الشهود ولا يشهدون إلا بالحق، فلما مات سليمان أخذ بختنصر ذلك الكرسي، فلما أراد الصعود إليه ضربه أحد الأسدين بيده اليمنى على ساقه وقدميه، فلم يقدر على الصعود، واستمر يتوجع منها حتى مات، وبقي الكرسي بأنطاكية حتى غزاها كراس بن سداس فهزم خليفة بختنصر، ثم رد الكرسي إلى بيت المقدس، فلم يستطع أحد من الملوك الصعود عليه، فوضع تحت الصخرة فغاب، فلم يعرف له خبر ولا أثر، ولم يعرف أين ذهب، والله أعلم.

---

(١) انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب (٣/ ٤٣٩).

الحكاية الحادية والثلاثون

في بر الوالدين[١]

«حكي» أن سليمان ﷺ كان يطير بين السماء والأرض على الريح، فمرَّ يومًا على بحر عميق، فرأى فيه موجًا هائلاً من الريح، فأمر الريح فسكنت، ثم أمر الشياطين أن تغوص في الماء؛ لتنظر ما فيه، فانغمسوا واحدًا بعد واحد، فوجدوا قبة من زمردة بيضاء لا باب لها، فأخبروه بها، فأمر بإخراجها، فأخرجوها، فوضعوها بين يديه، فتعجب منها، فدعا الله تعالى فانفلقت وفتح لها باب فإذا فيه شاب ساجد لله تعالى، فقال له سليمان ﷺ: أمن الملائكة أنت أم من الجن؟ فقال: لا، بل من الإنس، فقال له: بأي شيء نلت هذه الكرامة؟ قال: ببر الوالدين؛ لأني كانت لي أم عجوز وكنت أحملها على ظهري، وكان من دعائها لي: «اللهم ارزقه السعادة، واجعل مكانه بعد وفاتي لا في الأرض، ولا في السماء»، فلما ماتت كنت أدور بساحل البحر فرأيت قبة من زمردة بيضاء، فلما دنوت منها انفتحت لي، فدخلت فيها، فانطبقت علي بقدرة الله تعالى، فلا أدري أنا في الأرض أو في الهواء أو في السماء، ويرزقني الله تعالى فيها.

فقال له سليمان: كيف يأتيك رزقك فيها؟ قال: إذا جعت يخرج من الحجر الشجر، ويخرج من الشجر الثمر، وينبع منه ماء أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، فآكل وأشرب، فإذا شبعت ورويت زال ذلك، فقال له سليمان ﷺ: كيف تعلم الليل من النهار؟ فقال: إذا طلع الفجر ابيضت القبة واستنارت، وإذا غربت الشمس أظلمت، فأعرف بذلك النهار والليل، ثم دعا الله تعالى فانطبقت القبة وصارت كبيضة النعامة وعادت إلى محلها في قاع البحر، والله على كل شيء قدير.

---

(١) عُلِمَ أَنَّ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ وَاجِبٌ، لَكِنْ يُقَدَّمُ بِرُّ الْأُمِّ عَلَى الْأَبِ لِمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أَبُوكَ» فَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَحَبَّةَ الْأُمِّ وَالشَّفَقَةَ عَلَيْهَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ ثَلَاثَةَ أَمْثَالِ الْأَبِ؛ لِذِكْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْأُمَّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَذِكْرِ الْأَبِ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَالسِّرُّ فِي ذَلِكَ كَمَا قَالَهُ ابْنُ بَطَّالٍ: إِنَّ الْأُمَّ تَنْفَرِدُ عَنْ الْأَبِ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: صُعُوبَةُ الْحَمْلِ، وَصُعُوبَةُ الْوَضْعِ، وَصُعُوبَةُ الرَّضَاعِ، فَهَذِهِ تَنْفَرِدُ بِهَا الْأُمُّ وَتَشْقَى بِهَا ثُمَّ تُشَارِكُ الْأَبَ فِي التَّرْبِيَةِ. غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/ ١١٤).

الحكاية الثانية والثلاثون

في ملك سليمان عليه السلام

«حكي» أنه حشر لسليمان عليه السلام من الطيور سبعون ألف جنس، كل جنس منها له لون لا يشبه غيره، فكانت تقف على رأسه كالسحاب، فسألها عن معاشها، وأين تبيض، وأين تفقس؟ فقالوا له: منَّا ما يبيض في الهواء ويفرخ فيه، ومنَّا ما بيضه على جناحيه حتى يفرخ، ومنَّا ما يمسك بيضه بمنقاره حتى يفرخ، ومنَّا ما لا يتسافد ولا يبيض، ونسلنا قائم أبدًا.

قال السدي: وكان بساط سليمان من نسج الجن، وكان من حرير وذهب، وكان يحمل عسكره ودوابه، وخيوله وجماله، وسائر الإنس والجن، والوحش والطير، وكان عسكره ألف ألف، ويتبعها ألف ألف، وكان يسير ما بين السماء والأرض قريبًا من السحاب، وكان يحمله إلى أي موضع أراد بسرعة أو بطء بحسب ما أراد، وكانت الريح في قوة هبوبها لا تضر شجرًا ولا زرعًا ولا غير ذلك، وإذا تكلم أحد ألقت كلامه في آذانه، وكان له كرسي من ذهب مرصع باليواقيت والجواهر، وحوله ثلاثة آلاف كرسي.

وقيل: ستمائة ألف كرسي برسم العلماء والوزراء وأكابر بني إسرائيل، وكان عسكره مائة فرسخ: خمسة وعشرون فرسخًا للإنس، وخمسة وعشرون فرسخًا للجن، وخمسة وعشرون فرسخًا للوحش، وخمسة وعشرون فرسخًا للطير، وكانت الجن تستخرج له الدرر والجواهر من البحار، وكان في مطبخه من الذبائح في كل يوم مائة ألف شاة، وأربعون ألف بقرة، ومع ذلك كان لا يأكل إلا من عمل يده من خبز الشعير، وقيل: إنه ركب يومًا على بساطه في موكبه الكبير ورأى ما أعطاه الله، وما سخر له، فأعجبه ذلك، فأعجب بنفسه، فمال به البساط فهلك من عسكره اثنا عشر ألفًا، فضرب البساط بقضيب كان في يده وقال له: اعتدل يا بساط، فأجابه بقوله: حتى تعتدل أنت يا سليمان، فعلم أن البساط مأمور، فخر ساجدًا لله تعالى معتذرًا مما قام بنفسه، والله تعالى أعلم.

الحكاية الثالثة والثلاثون

في الحِلم[1] والعفو مع العلم

«حكي» أن الملك بهرام جور خرج يومًا للصيد، فظهر له حمار وحشي، فاتبعه حتى خفي عن عسكره، فظفر به، فأمسكه ونزل عن فرسه يريد أن يذبحه، فرأى راعيًا أقبل من البرية فقال له: با راعي، أمسك فرسي هذا حتى أذبح هذا الحمار، فأمسكه ثم تشاغل بذبح الحمار، فلاحت منه التفاتة فرأى الراعي يقطع جوهرة في عذار فرسه، فأعرض الملك عنه حتى أخذها، وقال: إن النظر إلى العيب من العيب، ثم ركب فرسه ولحق بعسكره، فقال له الوزير: أيها الملك السعيد، أين جوهرة عذار فرسك؟ فتبسم الملك ثم قال: أخذها من لا يردها، وأبصره من لا ينم عليه، فمن رآها منكم مع أحد فلا يعارضه بشيء بسبب ذلك.

الحكاية الرابعة والثلاثون

في الزهد والصدق والعدل

«حكي» أن الملك كسرى كان أعدل الملوك، قيل: إن رجلاً اشترى دارًا من رجل آخر، فوجد المشتري فيها كنزًا، فمضى إلى البائع وأخبره به، فقال له البائع: إنما بعتك دارًا لا أعرف فيها كنزًا، فهو لك، فقال المشتري: لا بد أن تأخذه، فإنه ليس داخلاً فيما اشتريت، فطال الجدال بينهما، فتحاكما إلى الملك كسرى، فلما وقفا بين يديه وذكرا له أمر الكنز أطرق مليًا ثم قال لهما: هل معكما أولاد؟ فقال البائع: إن لي ولدًا ذكرًا بالغًا، وقال المشتري: إن لي بنتًا بالغة، فقال كسرى لهما: أمرتكما أن تزوجا الابن بالبنت؛ ليكون بينهما صلة وقرابة، وأنفقا ذلك الكنز في مصالحهما، ففعلا ذلك امتثالاً لأمر الملك.

* وقيل: إنه ولى عاملاً على بعض البلاد فأرسل له العامل زيادة على الخراج المعتاد في كل سنة، فلما بلغ ذلك كسرى أمر برد الزيادة إلى أصحابها، وأمر بصلب ذلك العامل، وقال: كل ملك أخذ من رعيته شيئًا ظلمًا لا يفلح أبدًا، وترتفع البركة من أرضه، ويكون وبالاً عليه، ثم قال: الملك بالملك، والملك بالجند، والجند بالمال، والمال بعمارة البلاد، وعمارة البلاد بالعدل في الرعية والسلام. وقال بعض الحكماء لما سئل: أيما أفضل للملك:

---

(١) الحِلْمُ: الأَناة، ويُجْمَعُ على الأحلام. العين (١/ ٢٢٢).

الشجاعة أو العدل؟ فقال: إذا عدل الملك لا يحتاج إلى الشجاعة، والله المعين.

الحكاية الخامسة والثلاثون

في فضل غسل يوم الجمعة(١)

«حكي» أن عيسى بن مريم عليه السلام مرَّ على صياد في البر وقد نصب شبكته، فتعلقت بها ظبية، فلما رأته أنطقها الله تعالى فقالت: يا روح الله، إن لي أولادًا صغارًا، وإني تعلقت بهذه الشبكة منذ ثلاثة أيام، فاستأذن لي الصياد حتى أرضعهم وأرجع، فأخبره بذلك، فقال له: إنها لا تعود، فأخبرها بذلك، فقالت: إن لم أعد فأنا شر من الذين وجدوا الماء يوم الجمعة ولم يغتسلوا، فأخذ عليها العهد، فذهبت ورجعت خوفًا من نقض العهد، فذهب عيسى عليه السلام فلقي لبنة من ذهب أحمر فأمره الله تعالى أن يدفعها إلى الصياد فداء للظبية، فذهب بها إليه، فقبل وصوله إليه وجده قد ذبحها، فدعا عليه، فقال: أذهب الله البركة من عمله، فكان كذلك.



(١) قال ﷺ: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم» وقال: «من أتى منكم الجمعة فليغتسل» متفق عليهما، وليس الغسل واجبًا في قول أكثر أهل العلم. قال الترمذي: العمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم منهم مالك والثوري والشافعي وأصحاب الرأي وابن المنذر، وحكاه ابن عبد البر إجماعًا، وعن أحمد: إنه واجب روي ذلك عن أبي هريرة وعمرو بن سليم. ولنا ما روى سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل». الشرح الكبير لابن قدامة (٢/ ١٩٩).

الحكاية السادسة والثلاثون

في فضل الصدقة في يوم الجمعة وعلى الميت(١)

«حكي» أن رجلاً كان بسمرقند فمرض، فنذر إن شفاه الله ليتصدقن بجميع عمله يوم الجمعة عن والديه، فعاش زمانًا طويلاً يفعل، ففي يوم طاف جميع النار فلم يحصل له شيء يتصدق به، فاستفتى بعض العلماء فقال له: اخرج واطلب قشر البطيخ، واغسله بالماء، واخرج به على طريق أهل الرساتيق(٢) واطرحه بين حميرهم، واجعل ثوابه لوالديك، فتخرج من النذر، ففعل ذلك، فرأى ليلة السبت في المنام أبويه يعانقانه ويقولان له: يا ولدنا، عملت معنا كل شيء من وجوه الخير حتى أطعمتنا البطيخ، وكنا نشتهيه، فرضي الله عنك.

«ورأى» أمير خراسان أباه في المنام، فقال له: يا أمير، فقال: لا تقل يا أمير، فإن الإمارة قد ذهبت، ولكن قل: يا أسير، وإنما يا بني إذا أكلت اللحم فأطعمنا منه بأن تطرحه



---

(١) خَرَجَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ فَحَضَرَتْ أُمَّهُ الْوَفَاةُ بِالْمَدِينَةِ، فَقِيلَ لَهَا: أَوْصِي، فَقَالَتْ: فِيمَ أُوصِي إِنَّمَا الْمَالُ مَالُ سَعْدٍ فَتُوُفِّيَتْ قَبْلَ أَنْ يَقْدَمَ سَعْدٌ، فَلَمَّا قَدِمَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ذُكِرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ الله هَلْ يَنْفَعُهَا أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: نَعَمْ، فَقَالَ سَعْدٌ: حَائِطُ كَذَا وَكَذَا صَدَقَةٌ عَنْهَا لِحَائِطٍ سَمَّاهُ.

قَوْلُ سَعْدٍ: «هَلْ يَنْفَعُهَا يَا رَسُولَ الله أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهَا؟» يَقْتَضِي ـ وَالله أَعْلَمُ ـ مَنْفَعَةَ الْأَجْرِ فِي الْآخِرَةِ مِنْ زِيَادَةِ الْحَسَنَاتِ وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ فَقَالَ ﷺ: نَعَمْ، بِمَعْنَى أَنَّ ذَلِكَ يَنْفَعُهَا وَهَذِهِ الصَّدَقَةُ، وَإِنْ لَمْ يَقْتَرِنْ بِهَا نِيَّةٌ مِنْهَا فَقَدْ قَضَى ﷺ أَنَّ ذَلِكَ يَنْفَعُهَا، وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ صَدَقَةَ الْحَيِّ عَلَى الْمَيِّتِ جَائِزَةٌ مَشْرُوعَةٌ مَنْدُوبٌ إِلَيْهَا، وَلَعَلَّ اتِّفَاقَهُمْ كَانَ مِنْ أَجْلِ هَذَا الْحَدِيثِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ انْتِفَاعُ الْمَيِّتِ بِهَذَا عَلَى مَعْنَى أَنَّ الْمُتَصَدِّقَ عَنْهُ يَهَبُ لَهُ أَجْرَ تِلْكَ الصَّدَقَةِ بَعْدَ أَنْ وَقَعَتِ الصَّدَقَةُ عَنِ الْمُتَصَدِّقِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَوْقَعَ الصَّدَقَةَ عَلَى الْمَيِّتِ، وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْأَجْرِ مَا يَثْبُتُ لِلْإِنْسَانِ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي حَيَاتِهِ مِنْ غَيْرِ نِيَّةٍ وَلَا مَعْرِفَةٍ كَمَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ أَجْرُ مَنْ يَغْتَابُهُ وَأَجْرُ مَنْ يَأْخُذُ مَالَهُ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ هُوَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ رَوَى مَسْرُوقٌ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا تَصَدَّقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ طَعَامِ زَوْجِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ كَانَ لَهَا أَجْرُهَا بِمَا أَنْفَقَتْ وَلِزَوْجِهَا بِمَا كَسَبَ وَلِلْخَازِنِ مِثْلُ ذَلِكَ لَا يَنْقُصُ بَعْضُهُمْ أَجْرَ بَعْضٍ شَيْئًا». المنتقى «شرح الموطأ» (٤/ ٧٣).

(٢) الرُّسْتَاقُ مُعَرَّبٌ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي النَّاحِيَةِ الَّتِي هِيَ طَرَفُ الْإِقْلِيمِ، وَالرُّزْدَاقُ بِالزَّايِ وَالدَّالِ مِثْلُهُ، وَالْجَمْعُ: رَسَاتِيقُ. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٣/ ٣٩٤).

بين أيدي السنانير(١) والكلاب، واجعل ثوابه لنا، فأنا أشتهيه، ولذلك يقال: إن الأرواح يجتمعون في كل ليلة جمعة في منازلهم يرجون دعاء الأحياء وصدقاتهم.

الحكاية السابعة والثلاثون

في تنوير البصيرة والتوكل على الله تعالى

«حكي» أنه كان في زمن مالك بن دينار مجوسيان يعبدان النار، فقال الأصغر لأخيه الأكبر: أيها الأخ، إنك عبدت هذه النار ثلاثًا وسبعين سنة، وأنا عبدتها خمسًا وثلاثين سنة، فتعال ننظر هل تحرقنا كما تحرق غيرنا ممن لم يعبدها؟ فإن لم تحرقنا عبدناها وإلا فلا، فأوقدوا نارًا ثم قال الأصغر لأخيه الأكبر: هل تضع يدك قبلي أم أنا قبلك؟ فقال له: ضع أنت، فوضع الأصغر يده فأحرقت إصبعه، فنزع يده، وقال: أنا أعبدك كذا وكذا سنة وأنت تؤذينني، ثم قال: يا أخي تعالى نعبد من لو أذنبنا وتركناه خمسمائة سنة؛ لتجاوز عنَّا بطاعة ساعة واحدة، واستغفار مرة واحدة، فأجابه أخوه إلى ذلك، وقال: نذهب إلى من يدلنا على الصراط المستقيم، فاجتمع رأيهما أن يذهبا إلى مالك بن دينار، فقصداه فوافياه في سواد البصرة قد جلس للعامة يعظهم، فلما وقع بصرهما عليه قال الأخ الأكبر لأخيه: قد بدا لي ألَّا أسلم وقد مضى أكثر عمري في عبادة النار، فإذا أسلمت عيرني أهل بيتي، والنار أحب إليَّ من أن يعيروني، فقال له الأصغر: لا تفعل، فإن تعييرهم وقتًا يزول، وإن النار أبدًا لا تزول، فلم يستمع، فقال له: شأنك وما تريد يا شقي.

فرجع الأكبر وجاء الأصغر إلى مالك بن دينار مع أولاده وامرأته وجلسوا عنده حتى فرغ من مجلسه، فقام إليه وأخبره بالقصة، وسأله أن يعرض عليه الإسلام وعلى أولاده وامرأته، فعرض عليهم الإسلام، ثم أراد الشاب أن يرجع بأهله فقال له مالك: حتى أجمع لك شيئًا من أصحابي، فقال: لا أريد شيئًا، ثم انصرف، ودخل الخرابة فوجدها بيتًا معمورًا، فنزل فيه، فلما أصبح قالت امرأته: اذهب إلى السوق واطلب عملاً، واشتر لنا بأجرتك شيئًا نأكله، فذهب إلى السوق فلم يستأجره أحد، فقال في نفسه: أعمل لله تعالى،

---

(١) السِّنَّوْرُ: الْهِرُّ، وَالْأُنْثَى سِنَّوْرَةٌ. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَهُمَا قَلِيلٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَالْأَكْثَرُ أَنْ يُقَالَ: هِرٌّ وَضَيْوَنٌ، وَالْجَمْعُ: سَنَانِيرُ. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٤/ ٣٤٢).

فدخل خرابة أخرى وصلى فيها إلى المغرب، ثم ذهب إلى منزله صفر اليد[1]، فقالت له امرأته: ألم تأتنا بشيء؟ فقال لها: قد عملت للملك اليوم، فلم يعطني شيئًا، وقال: أعطيك غدًا، فباتوا جياعًا، فلما أصبح ذهب إلى السوق فلم يجد عملاً، ففعل كما فعل بالأمس، وذهب إلى امرأته صفر اليد، وقال لها: إن الملك وعدني إلى يوم الجمعة، فلما أصبح يوم الجمعة ذهب إلى السوق فلم يجد عملاً، ففعل كما سبق، فلما كان آخر النهار صلى ركعتين، ورفع يديه إلى السماء وقال: يا رب، لقد أكرمتني بالإسلام، وتوجتني بتاج الهدى، فبحرمة هذا الدين، وبحرمة هذا اليوم المبارك، أنك ترفع نفقة العيال عن قلبي، وأنا أستحي من عيالي، وأخاف من تغير حالهم؛ لحداثة عهدهم بالإسلام، فلما أصبح ودخل وقت الظهر ذهب إلى الجامع فغلب على أولاده الجوع، فجاء إلى بيته شخص وقرع عليهم الباب، فخرجت المرأة فإذا هي بشاب حسن الوجه، على يده طبق من ذهب، مغطى بمنديل من ذهب، فقال لها: خذي هذا، وقولي لزوجك: هذه أجرة عملك في يومين، وإن زدت زدناك، فأخذت الطبق، فإذا فيه ألف دينار، فأخذت دينارًا واحدًا وذهبت إلى الصيرفي، وكان ذلك الصيرفي نصرانيًا، فوزن الدينار فزاد على المثقال والمثقالين، فنظر إلى نقشه فعرف أنه من هدايا الآخرة، فقال لها: من أين لك هذا؟ وفي أي محل وجدت هذا؟ فقصت عليه القصة، فقال لها: اعرضي علي الإسلام، فأسلم ثم دفع لها ألف درهم، وقال: أنفقيها، وإذا فرغت فأعلميني، فأخذتها منه وأصلحت طعامًا، فلما صلى زوجها المغرب وأراد أن ينصرف إلى منزله صفر اليد، بسط منديلاً وصلى ركعتين وملأ المنديل من التراب وقال في نفسه: إذا سألتني قلت لها: هذا دقيق عملت به، ثم جاء إلى منزله فلما دخل إليه وجده مفروشًا مهيأ، ووجد رائحة الطعام، فوضع المنديل عند الباب كيلا تشعر امرأته به، ثم سألها عن حالها وعما رأى في المنزل، فقصت عليه القصة، فسجد شكرًا، فسألته عما جاء به في المنديل فقال لها: لا تسأليني عنه، ثم ذهب إلى المنديل وأراد أن يرمي التراب الذي فيه، ففتحه فرآه دقيقًا بإذن الله تعالى، فسجد ثانيًا شكرًا لله ﷻ على ما أكرمه به، وعبد الله حتى توفاه، رحمه الله تعالى.

---

(١) يقال: رجل صِفْر اليد، وامرأة صِفر اليد، إذا خلت أيديهما من الخير. جمهرة اللغة (١/ ٤٠٤).

الحكاية الثامنة والثلاثون

في التجارة مع الله تعالى

«ومما حكي» أنه كان في بيت علي ﷺ خمسة أنفس: فاطمة، والحسن، والحسين، والحرث، فمكثوا ثلاثة أيام لم يأكلوا، وكان لفاطمة إزار فدفعته إلى علي ﷺ ليبيعه، فباعه بستة دراهم، وتصدق بها على الفقراء، فلقيه جبريل في صورة آدمي ومعه ناقة من نوق الجنة، فقال له: أبا الحسن، اشتر مني هذه الناقة، فقال له: ليس معي ثمنها، قال: بالنسيئة، قال: بكم تبيعها؟ قال: بمائة درهم، فاشتراها منه بذلك، وأخذ بزمامها وذهب، فاستقبله ميكائيل على صورة أعرابي فقال له: أتبيع هذه الناقة يا أبا الحسن، قال: نعم، قال: بكم اشتريتها؟ قال: بمائة درهم، قال: أنا أشتريها بربح ستين درهمًا، فباعها له بذلك، فدفع له المائة والستين درهمًا، فأخذها وذهب، فلقيه بائعها الأول وهو جبريل، فقال له: قد بعت الناقة يا أبا الحسن، قال: نعم، قال: فأعطني حقي، فدفع له المائة وبقي معه الستون درهمًا، فذهب بها إلى بيته عند فاطمة ـ رضي الله عنها ـ فصبها بين يديها، فقالت له: من أين لك هذا؟ قال: تاجرت مع الله بستة دراهم، فأعطاني ستين درهمًا لكل درهم عشرة دراهم، ثم جاء إلى النبي ﷺ فأخبره بالقصة، فقال له: يا علي، البائع جبريل، والمشتري ميكائيل، والناقة مركب فاطمة يوم القيامة، ثم قال له: **«يا علي، أعطيت ثلاثًا لم يعطها غيرك: لك زوجة سيدة نساء أهل الجنة، ولك ولدان: هما سيدا شباب أهل الجنة، ولك صهر هو سيد المرسلين، فاشكر الله تعالى على ما أعطاك، وأحمده فيما أولاك»**. والله أعلم.

الحكاية التاسعة والثلاثون

في ثمرة الصدقة العائدة على الأموات

«حكي» عن أبي قلابة[1] أنه رأى في المنام مقبرة كأن قبورها قد انشقت، وأن أمواتها خرجوا منها وقعدوا على شفير[2] القبور، وكأن بين يدي كل واحد منهم طبقًا من نور، ورأى فيها بينهم رجلاً من جيرانهم لم ير بين يديه نورًا، فسأله وقال له: ما لي لا أرى نورًا بين يديك؟ قال: إن لهؤلاء أولادًا و أصدقاء يدعون لهم، ويتصدقون عليهم، وهذا النور مما بعثوا إليهم، وإن لي ولدًا غير صالح لا يدعو لي، ولا يتصدق لأجلي، فلا نور لي، وإني أخجل من جيراني، فلما انتبه أبو قلابة دعا ابن الرجل الميت وأخبره بما رأى، فقال له الابن: أما أنا فقد تبت ولا أعود إلى ما كنت عليه، ثم أقبل على الطاعة والدعاء لأبيه، والصدقة لأجله، ثم بعد مدة رأى أبو قلابة تلك المقبرة على حالها الأول، ورأى بين يدي ذلك الرجل نورًا عظيمًا أضوأ من الشمس، وأكمل من نور غيره، فقال الرجل: يا أبا قلابة، جزاك الله عني خيرًا، فبقولك نجا ابني من النيران، ونجوت أنا من خجلتي بين الجيران، والحمد لله.

الحكاية الأربعون

في القناعة بالقليل

«حكي» عن أويس اليماني قال: كان رجل له أربعة أولاد فمرض، فقال أحدهم لهم: إما أن تكفلوه وليس لكم من ميراثه شيء، وإما أن أكفله وليس لي من ميراثه شيء، فأبوا، فكفله هو حتى مات ولم يأخذ حظه من الميراث، فقيل له في النوم: ائت مكان كذا وكذا وخذ منه مائة دينار وليس فيها بركة، فأصبح وذكر ذلك لامرأته، فقالت له: خذها فأبى، وفي الليلة الثانية قيل له: ائت مكان كذا وخذ منه عشرة دنانير ولا بركة فيها، فشاور امرأته فحرضته على أخذها فأبى، فجاءه في الليلة الثالثة وقال له: اذهب إلى مكان كذا

---

(١) أبو قلابة الجرمي (١٠٤هـ) عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي، عالم بالقضاء والأحكام، ناسك من أهل البصرة، أرادوه على القضاء، فهرب إلى الشام فمات فيها، وكان من رجال الحديث الثقات. الأعلام للزركلي (٤/ ٨٨).

(٢) شَفير كل شيء: حَرفه، شَفير النهر، وشَفير البئر، وشَفير الوادي. جمهرة اللغة (١/ ٣٩٧).

وخذ منه دينارًا واحدًا وفيه البركة، فذهب إليه وأخذه، فلما خرج به رأى شخصًا يبيع حوتين من السمك، فقال له: بكم تبيعهما؟ قال: بدينار، فأخذهما به، وذهب بهما إلى بيته، فشق جوفهما فإذا في باطن كل منهما درة يتيمة، فذهب بإحداهما إلى الملك فدفع له فيها مبلغًا كبيرًا، ثم قال له: هذه لا تصلح إلا مع أختها، فأحضرها ونعطيك مثلها، فذهب وأحضرها، فأعطاه الملك ما وعده من المال، فحصل له بركة والده رحمه الله تعالى.

الحكاية الحادية والأربعون

في برِّ الوالدين وذم العجب[1]

«حكي» أن داود عليه السلام قرأ يومًا في الزبور، فرقَّ قلبه عند قراءته، فقال: ليس في الدنيا أعبد مني، فأوحى الله تعالى إليه: اصعد إلى جبل كذا لترى رجلاً زراعًا يعبدني سبعمائة عام، ويعتذر من ذنب فعله وليس بذنب عندي، وذلك أنه مرَّ يومًا على سطح وكانت والدته تحت السطح فأصابها شيء من التراب من مشيه، وإنه أعبد منك، فاذهب إليه وبشره بالمغفرة مني، فذهب داود إلى الجبل وإذا رجل نحيف جدًا قد ظهر عظمه من العبادة، ورآه محرمًا بالصلاة، فلما فرغ سلم داود عليه، فردَّ عليه السلام، وقال له: من أنت؟ قال: أنا داود، فقال: لو علمت أنك داود ما رددت عليك السلام، لما وقع منك من الزلة، وتفرغت للصعود في الجبل، ولم تستغفر الله، فوالله لقد مررت على سطح وكانت والدتي تحته فنزل عليها شيء من تراب السطح بمشيي عليه، فخرجت ولي سبعمائة سنة فلا أدري أساخطة علي أم راضية؟ ومع ذلك أستغفر الله لظني أنها ساخطة علي؛ ليرضى عني ربي، وترضى عني والدتي، وأنا على ذلك سبعمائة سنة لا أتفرغ للأكل ولا للشرب مخافة عذاب الله تعالى، فاذهب عني فقد منعتني من العبادة، فقال له: إن الله بعثني إليك لأخبرك أنه غفر لك، وهو راض عنك، وأن والدتك خرجت من الدنيا وهي راضية عنك، وإنها لم تكن تحت السطح الذي مشيت عليه ولم يصبها تراب، فلما سمع الرجل ذلك قال: والله لا أحب الحياة بعد هذا، فسجد وقال: رب اقبضني إليك، فمات من ساعته رحمه الله تعالى.

---

(١) العُجْبُ بالضَّمِّ: الزَّهْوُ والكِبْرُ. تاج العروس (١/ ٧٣٠).

الحكاية الثانية والأربعون

في الزجر عن عقوق الوالدين

«حكي» عن عطاء بن يسار[1] أن قومًا سافروا ونزلوا في برية، فسمعوا نهيق حمار متواترًا، فأسهرهم، فانطلقوا ينظرون إليه وإذا هم ببيت من الشعر فيه عجوز فقالوا لها: قد سمعنا نهيق حمار أسهرنا، ولم نر عندك حمارًا، فقالت لهم: ذلك ابني كان يقول لي: يا حمارة تعالي، يا حمارة اذهبي وهكذا، فدعوت الله أن يصيره حمارًا، فلذلك لم يزل ينهق إلى الصباح في كل ليلة، فقالوا لها: انطلقي بنا إليه لننظره، فانطلقوا إليه، وإذا هو في القبر وعنقه كعنق الحمار، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الحكاية الثالثة والأربعون

في القناعة

«حكي» أنه كان عابد في بني إسرائيل ضاقت عليه معيشته فخرج إلى الصحراء يعبد الله، ويسأله أن يعطيه شيئًا، فنودي ذات يوم: أيها العابد، امدد يدك وخذ، فمد يده فوضع عليها درتان كأنهما كوكبان ضياء، فجاء بهما إلى منزله وقال لامرأته: قد أمنا من الفقر، ثم أنه رأى ذات ليلة في منامه أنه في الجنة، فرأى فيها قصرًا فقيل له: هذا قصرك، فرأى فيها أريكتين متقابلتين: إحداهما من الذهب الأحمر، والأخرى من الفضة، وسقفهما من اللؤلؤ، وقيل له: إحداهما مقعدك، والأخرى مقعد امرأتك، فنظر إلى سقفهما فإذا فيه موضع خال مقدار درتين، فقال: ما بال هذا الموضع خاليًا؟ فقيل: لم يكن خاليًا وإنما أنت تعجلت في الدنيا الدرتين، وهذا موضعهما، فانتبه من منامه باكيًا، وأخبر امرأته بذلك، فقالت له: ادع الله واسأله أن يردهما مكانهما، فخرج إلى الصحراء وهما في كفه وصار يدعو الله، ويتضرع إليه أن يردهما، ولم يزل كذلك حتى أخذا من كفه ونودي: أن رددناهما إلى مكانهما، فحمد الله تعالى على ذلك وأثنى عليه.

---

(١) العطاء بن يسار الهلالي المدني مولى ميمونة بنت الحارث الهلالية أم المؤمنين، أخو سليمان وعبد الملك وعبد الله بن يسار، وهو عن كبار التابعين، سمع ابن مسعود وابن أبي كعب وعبد الله بن سلام وغيرهم، وروى عنه جماعة من التابعين كان ثقة كثير الحديث، توفي سنة ثلاث أو أربع ومائة، وقيل: الأصح أنه توفي سنة ٩٤ هـ. موسوعة الأعلام (١/ ٣٩٤).

الحكاية الرابعة والأربعون

في عدم صفاء الدنيا لأحد

«حكي» أن يزيد بن معاوية قال لأصحابه: إنه لا يمكن أن يمر على إنسان يوم كامل بلا مكروه ولا غم، وإني أريد أن أجعل لي يومًا لا أرى فيه ذلك، فهيأ له مجلسًا للهو واتخذ فيه من الرياحين وغيرها ما تفعله الملوك، وكان له جارية أحب الناس إليه اسمها: «حنانة» أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم صوتًا، فجعلها خلفه تحت الستارة، وجعل الندماء أمامه، وسار ينظر إلى الجارية ويلعب معها تارة، وإلى ندمائه تارة أخرى؛ لسماع أصواتهم، ولم يزل كذلك إلى وقت العصر، فأحضروا له رمانًا، فأخذ يجعل حبه على يديه لتأخذ منه الجارية فأخذت وأكلت، فوقفت حبة في حلقها، فماتت لوقتها، فحصل له من الغم ما لا مزيد عليه، واستمر على ذلك أربعة أيام ثم مات على معاصيه، والله أعلم.

الحكاية الخامسة والأربعون

في بعض معجزاته[1] ﷺ

«حكي» عن أنس بن مالك ﷺ قال: دخل النبي ﷺ منزل فاطمة ـ رضي الله عنها ـ فشكت إليه الجوع وقالت: يا أبت، لنا منذ ثلاثة أيام لم نذق طعامًا، فكشف ﷺ عن بطنه وإذا عليه حجر مشدود وقال: يا فاطمة، إن كان لكم ثلاثة أيام فلأبيك أربعة أيام، ثم خرج رسول الله ﷺ من منزلها وهو يقول: واغماه، يجوع الحسن والحسين! ولم يزل ﷺ يمشي حتى خرج من سكك المدينة وإذا هو بأعرابي على بئر يستقي الماء منها، فوقف ﷺ عليه وهو لا يعرف أنه النبي، فقال له: يا أعرابي، هل لك في أجير تستأجره؟ قال: نعم، قال: تستأجره في ماذا؟ قال: يستقي من هذا البئر، فدفع الأعرابي له الدلو، فاستقى له دلوًا فدفع له ثلاث تمرات، فأكلها ﷺ، ثم استقى له ثمانية أدلية، ولما أراد استقاء التاسع انقطع

(١) عدَّ علماء سيرة الرسول محمد ﷺ معجزاته الدالة على صدق رسالته، فبلغت أكثر من ألف معجزة، منها: ١ - خاتم النبوة الذي أنبته الله بين كتفيه، وهو «محمد رسول الله» على هيئة الثآليل.
٢- تظليل الغمام له إذا مشى في شمس الصيف الحارة.
٣- تسبيح الحصى في يديه، وتسليم الشجر عليه.
٤- إخباره بالغيبيات التي ستحصل في آخر الزمان؛ وها هي تحصل شيئًا فشيئًا طبق ما أخبر. دين الحق (١/ ٢٥).

الرشاء[1]، فوقع الدلو في البئر، فوقف النبي ﷺ متحيرًا، فجاء الأعرابي غضبان ولطم وجه النبي ﷺ ودفع له أربعة وعشرين تمرة فأخذها منه، ثم تناول الدلو من البئر بيده الشريفة ورماه للأعرابي وانطلق من عنده.

فتفكر الأعرابي ساعة ثم قال: إن هذا نبي حقًّا، ثم أخذ مدية[2] وقطع بها يمينه التي لطم بها النبي ﷺ فوقع مغشيًا عليه، فمر عليه ركب فرشوا عليه الماء حتى أفاق، فقالوا: ما أصابك؟ فقال: لطمت وجه إنسان ثم ظننت أنه محمد ﷺ وأخاف أن تصيبني العقوبة، فقطعت يدي التي لطمته بها، ثم أخذ يده المقطوعة بيساره وأقبل إلى المسجد ونادى: يا أصحاب محمد أين محمد؟ وكان أبو بكر وعمر وعثمان ﷺ قعودًا فيه، فقالوا له: لماذا تسأل عن محمد؟ فقال: لي إليه حاجة، فجاء سلمان وأخذ بيد الأعرابي وانطلق إلى بيت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ وكان ﷺ لما أخذ التمر جاء به إلى بيتها، وأجلس الحسن على فخذه الأيمن، والحسين على فخذه الأيسر، وصار يلقمهما من التمر الذي معه، فنادى الأعرابي: يا محمد، فقال لفاطمة: انظري من بالباب، فخرجت إليه فوجدت الأعرابي وهو آخذ بيمينه المقطوعة بشماله، وهي تقطر دمًا، فرجعت إليه وأخبرته بما رأت، فقام ﷺ فلما رآه قال: يا محمد، اعذرني فإني لم أعرفك، فقال له: لم قطعت يدك؟ قال: لم يكن لي أن أبقي على يد لطمت بها وجهك، فقال له النبي ﷺ: أسلم تسلم، فقال: يا محمد، إن كنت نبيًا فأصلح يدي، فأخذها ﷺ ووضعها في مكانها وألصقها، ومسحها بيده، وتفل عليها، وسمى، فالتأمت بإذن الله تعالى، فأسلم الأعرابي والحمد لله.

---

(١) الرِّشَاءُ: حَبْلُ الدَّلْوِ، وَالْجَمْعُ: أَرْشِيَةٌ، وَمِنْهُ: الرِّشْوَةُ بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ، وَالْجَمْعُ: الرُّشى، وَقَدْ رَشَاهُ إذا أَعْطَاهُ الرِّشْوَةَ وَارْتَشَى مِنْهُ أَخَذَهُ. المغرب (٢/ ٣٥٢).

(٢) الْمُدْيَةُ: الشَّفْرَةُ، وَالْجَمْعُ: مُدى وَمُدْيَاتٌ مِثْلُ غُرْفَةٍ وَغُرَفٍ وَغُرْفَاتٍ بِالسُّكُونِ وَالْفَتْحِ. وَبَنُو قُشَيْرٍ تَقُولُ: مِدْيَةٌ بِكَسْرِ الْمِيمِ، وَالْجَمْعُ: مِدى بِالْكَسْرِ مِثْلُ سِدْرَةٍ وَسِدَرٍ. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٨/ ٤١١).

الحكاية السادسة والأربعون

في أكل حقوق العباد بغير حق وما يترتب عليه

«حكي» عن أبي يزيد البسطامي[1] أنه عَبَدَ الله تعالى سنين كثيرة، فلم يجد للعبادة طعمًا ولا لذة، فدخل على أمه وقال لها: يا أماه، إني لا أجد للعبادة ولا للطاعة حلاوة أبدًا، فانظري هل تناولت شيئًا من الطعام الحرام حيث كنت في بطنك أو حين رضاعي؟ فتفكرت طويلاً ثم قالت: يا بني، لما كنت في بطني صعدت فوق سطح فرأيت إجانة فيها أقط[2]، فاشتهيته، فأكلت منه مقدار أنملة بغير إذن صاحبه، فقال أبو يزيد: ما هو إلا هذا، فاذهبي إلى صاحبه وأخبريه بذلك، فذهبت إليه وأخبرته بذلك، فقال لها: أنت في حل منه، فأخبرت ابنها بذلك فعندها ذاق حلاوة الطاعة.



---

(١) أبو يزيد طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي البسطامي الزاهد المشهور، كان جده مجوسيًا ثم أسلم، وكان له أخوان زاهدان عابدان أيضًا: آدم وعلي، وكان أبو يزيد أجلهم، وسئل أبو يزيد: بأي شيء وجدت هذه المعرفة؟ فقال: ببطن جائع وبدن عار، وقيل لأبي يزيد: ما أشد ما لقيته في سبيل الله تعالى؟ فقال: لا يمكن وصفه، فقيل له: ما أهون ما لقيت نفسك منك؟ فقال: أما هذا فنعم، دعوتها إلى شيء من الطاعات فلم تجبني طوعًا، فمنعتها الماء سنة، وكان يقول: لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة، وله مقالات كثيرة ومجاهدات مشهورة وكرامات ظاهرة، وكانت وفاته سنة إحدى وستين، وقيل: ٢٦٤ هـ. رحمه الله تعالى.

وطيفور: بفتح الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الفاء وبعد الواو الساكنة راء. والبسطامي: بفتح الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وبعد الألف ميم، هذه النسبة إلى بسطام، وهي بلدة مشهورة من أعمال قومس، ويقال: إنها أول بلاد خراسان من جهة العراق، والله أعلم. وفيات الأعيان (٢/ ٥٣١).

(٢) الأَقِطُ والإِقْطُ والأَقْطُ والأُقُطُ: شيء يتخذ من اللبن المَخِيض يطبخ ثم يترك حتى يَمْصُل، والقِطعةُ منه: أَقِطةٌ. قال ابن الأعرابي: هو من ألبان الإِبل خاصّة. لسان العرب (٧/ ٢٥٧).

الحكاية السابعة والأربعون

في الورع والمحافظة على عدم إدخال الغش في التجارة

«حكي» أن أبا حنيفة ﷺ كان بينه وبين رجل من البصرة شركة في تجارة، فبعث إليه أبو حنيفة سبعين ثوبًا من ثياب الخز[1]، وكتب إليه أن في واحد منها عيبًا وهو الثوب الفلاني، فإذا بعته فبين العيب، فباعها بثلاثين ألف درهم وجاء بها إلى أبي حنيفة، فقال له: هل بينت العيب؟ فقال: لقد نسيت، فتصدق أبو حنيفة بجميع ثمنها المذكور.

الحكاية الثامنة والأربعون

في فضل الذرية

«حكي» أن قاضيًا مات وترك امرأته حاملاً، فولدت ابنًا، فلما ترعرع بعثته أمه إلى الكتاب فلقنه المعلم التسمية، فرفع الله العذاب عن أبيه، وقال: يا جبريل، إنه لا يليق بنا أن يكون ابنه في ذكرنا وهو في العذاب، فاذهب إليه وهنئه بابنه، فذهب إليه وهنأه به رحمه الله.

الحكاية التاسعة والأربعون

في بذل العلم فيما يعني وحُسن المناظرة

«حكي» أن حاتمًا الأصم[2] دخل بغداد فقيل له: إن هاهنا يهوديًا غلب العلماء، فقال: أنا أكلمه، فلما حضر اليهودي سأل حاتمًا عن أي شيء لا يعلمه الله؟ وأي شيء لا

---

(١) قال ابن الأَثير: الخز المعروف أَوّلاً ثياب تنسج من صوف وإِبْرَيْسَم وهي مباحة، قال: وقد لبسها الصحابة والتابعون فيكون النهي عنها لأَجل التشبه بالعجم وزِيِّ المُتْرَفِينَ، قال: وإِن أُريد بالخَز النوعُ الآخر وهو المعروف الآن فهو حرام؛ لأَنه كله معمول من الإِبْرَيْسَم. لسان العرب (٥/ ٣٤٥).

(٢) حاتمُ الأصمُّ: هو حاتمُ بنُ عُنْوان، ويقال: حاتمُ بنُ يوسف، ويقال: حاتمُ بنُ عُنْوانَ بنِ يوسفَ الأصمُّ. كنيته: أبو عبد الرحمن، وهو من قدماء مشايخ خُراسان من أهل بَلْخ، صحب شقيقَ بنَ إبراهيمَ، وكان أستاذَ أحمدَ بن خَضْرَوَيْه، وهو مولىً للمُثَنَّى بن يحيى المُحَارِبِيِّ، وله ابن يقال له: خَشْنامُ بنُ حاتم. مات بِوَاشَجَرْدَ عند رباط يقال له: «رأس سَرُوند»، على جبل فوق واشَجَرْد، سنة سبع وثلاثين ومائتين. طبقات الصوفية (١/ ٤٠).

يوجد عند الله؟ وأي شيء ليس في خزائن الله؟ وأي شيء يسأله الله من العباد؟ وأي شيء يعقده الله؟ وأي شيء يحله الله؟ فقال له حاتم: إن أجبتك أتقر بالإسلام، قال: نعم، فقال حاتم: الذي لا يعلمه الله هو شريكه أو ولده فإن الله لا يعلم له شريكًا ولا ولدًا، والذي ليس عند الله هو الظلم، إن الله لا يظلم الناس شيئًا، والذي ليس في خزائن الله هو الفقر، والله هو الغني وأنتم الفقراء، والذي يسأله الله من العباد هو القرض، من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا، والذي يعقده الله هو الزنار[1] للكفار، والذي يحله الله هو ذلك الزنار عن أحبابه، فأسلم اليهودي بإذن الله تعالى.

الحكاية الخمسون

في التفكر في أحوال الآخرة

«حكي» عن أبي يزيد البسطامي أنه خرج يومًا وعليه أثر البكاء، فقيل له: لم ذلك؟ فقال: بلغني أن عبدًا يأتي يوم القيامة إلى موقف الحساب مع خصم له فيقول: يا رب إني كنت رجلاً قصابًا، فجاء إليَّ هذا الرجل واستلم مني اللحم، ووضع إصبعه على لحمي حتى رسمت إصبعه ولم يشتر لحمًا، فأنا احتجت اليوم إلى ذلك المقدار، فيأمر الله أن يعطى من حسناته بقدر حقه، وكان ميزان ذلك الرجل قد خف مقدار ذرة، فوضع ذلك به فرجحت، وأمر به إلى الجنة، فنقص ميزان خصمه بذلك القدر، فأمر به إلى النار، فلا أدري حالي ذلك اليوم.

---

(١) الزُّنَّارُ لِلنَّصَارَى ـ وِزَانُ تُفَّاحٍ ـ وَالْجَمْعُ: زَنَانِيرُ، وَتَزَنَّرَ النَّصْرَانِيُّ: شَدَّ الزُّنَّارَ عَلَى وَسَطِهِ، وَزَنَّرْتُهُ بِالتَّشْدِيدِ أَلْبَسْتُهُ الزُّنَّارَ. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٤/ ١٠٢).

الحكاية الحادية والخمسون

في الحرص على عدم إدخال الشبهة فضلاً عن الحرام

«حكي» عن إبراهيم بن أدهم[١] ﷺ أنه كان بمكة فاشترى من رجل تمرًا، فإذا هو بتمرتين وقعتا على الأرض بين رجليه فظن أنهما مما اشتراه، فرفعهما وأكلهما، وخرج إلى بيت المقدس، ودخل إلى قبة الصخرة وخلا فيها، وكان الرسم فيها أن يخرج من كان فيها وتخلى للملائكة ليلاً بعد العصر، فأخرجوا من كان فيها فانحجب إبراهيم فلم يروه، فبقي فيها، فدخلت الملائكة فقالوا: هاهنا جنس آدمي، فقال واحد منهم: هو إبراهيم بن أدهم، عابد خراسان، فأجابه آخر منهم: نعم، فقال آخر: هذا الذي يصعد منه كل يوم عمل إلى السماء متقبل، قال: نعم، غير أن طاعته موقوفة منذ سنة، ولم تستجب دعوته تلك المدة لمكان التمرتين، ثم اشتغلت الملائكة بالعبادة حتى طلع الفجر.

فرجع الخادم وفتح باب القبة، فخرج إبراهيم وذهب إلى مكة، وجاء إلى باب الحانوت فرأى فتى يبيع التمر فقال له: كان هاهنا شيخ يبيع التمر العام الأول، فأخبره أنه والده، وأنه فارق الدنيا، فأخبره إبراهيم بالقصة، فقال له الفتى: أنت في حل من نصيبي من التمرتين، ولي أخت ووالدة فقال له: أين هما؟ فقال: في الدار، فجاء إبراهيم فقرع الباب، فخرجت عجوز متكئة على عصا، فسلم عليها، فردت عليه السلام ثم قالت له: ما حاجتك؟ فأخبرها بالقصة فقالت له: أنت في حل من نصيبي، ثم فعل مع بنتها كذلك، ثم

---

(١) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي البلخي أبو إسحاق، (١٦١هـ) زاهد مشهور، كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، فتفقه ورحل إلى بغداد، وجال في العراق والشام والحجاز. وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة، وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن ويشترك مع الغزاة في قتال الروم، وجاءه إلى المصيصة من أرض «كيليكيا» عبد لأبيه يحمل إليه عشرة آلاف درهم، ويخبره أن أباه قد مات في بلخ وخلف له مالاً عظيمًا، فأعتق العبد ووهبه الدراهم ولم يعبأ بمال أبيه، وكان يلبس في الشتاء فروًا لا قميص تحته ولا يتعمم في الصيف ولا يحتذي، يصوم في السفر والإقامة، وينطق بالعربية الفصحى لا يلحن، وكان إذا حضر مجلس سفيان الثوري وهو يعظ أوجز سفيان في كلامه مخافة أن يزل. أخباره كثيرة وفيها اضطراب واختلاف في نسبته ومسكنه ومتوفاه، ولعل الراجح أنه مات ودفن في سوفنن ـ حصن من بلاد الروم ـ كما في تاريخ ابن عساكر. وفي المكتبة الظاهرية بدمشق «سيرة السلطان إبراهيم ابن أدهم» قصة عامية. الأعلام للزركلي (١/ ٣١).

توجه إبراهيم إلى بيت المقدس ودخل القبة، فدخلت الملائكة، يقول بعضهم لبعض: هذا إبراهيم بن أدهم كانت أعماله موقوفة ودعوته غير مقبولة منذ سنة، فلما عمل ما عليه من شأن التمرتين قبلت أعماله، وأجيبت دعوته، وأعاده الله إلى درجته، فبكى إبراهيم فرحًا، وصار لا يفطر إلا في كل سبعة أيام بطعام حلال.

الحكاية الثانية والخمسون

فيمن يتبع هوى النفس والشيطان

«حكي» أنه كان عابد في بني إسرائيل وهو: برصيصا، العابد المشهور في صومعته دهرًا طويلاً، فولدت لملك بلاده بنت فخاف أن يمسها الرجال، وأرسلها إلى العابد في صومعته حتى لا يشعر بها أحد، فاستمرت عنده حتى كبرت، فجاء إبليس ـ لعنه الله ـ في صورة شيخ وخدعه بها حتى واقعها، فحملت منه، فلما ظهر حملها جاء إليه وقال له: أنت زاهد، وأنها إذا ولدت ظهر زناك فتكون فضيحة عليك بين الناس، فاقتلها قبل الولادة، وقل لوالدها: إنها ماتت، فيصدقك، وتدفنها ولا يعلم أحد، فقتلها وأعلم والدها فأذن له بدفنها، فدفنها، ثم إن إبليس جاء في صورة رجل عالم إلى الملك وأخبره بقصة العابد مع بنته، وقال له: انبش عليها، وشق جوفها، فإن رأيت فيه ولدًا فأنا صادق وإلا فاقتلني، فجاءه الملك وحفر عليها وأخرجها، وشق بطنها فوجدها كما قال، فأخذ العابد وأركبه الإبل، وحمله إلى بلاده وصلبه، فجاءه إبليس وهو مصلوب فقال له: زنيت بأمري، وقتلت نفسًا بأمري، فآمن بي وأنا أنجيك من عذاب الملك، فأدركته الشقاوة فآمن به فتنحى عنه بعيدًا فقال له: لم لا تنجيني؟ فقال له: إني أخاف الله رب العالمين، وتركه ومضى فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الحكاية الثالثة والخمسون

في أحوال من اختاره الله تعالى ورضي عنه

«حكي» عن ذي النون المصري ـ رحمه الله تعالى ـ أنه دخل المسجد الحرام فرأى رجلاً مطروحًا تحت اسطوانة، وهو عريان، ويذكر الله بقلب حزين، قال: فدنوت منه وسلمت عليه، فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا رجل غريب، فقلت له: ما اسمك؟ فقال: أنا المطلوب الذي هربت منه، فقلت له: فما تقول؟ فبكى، فبكيت لبكائه، فما زال يبكي وأبكي حتى مات من ساعته، فرميت عليه إزاري؛ لأستره به، وذهبت أطلب له كفنًا، ثم رجعت فما وجدته، فقلت: يا سبحان الله، من سبقني إليه، فأخذني النوم وإذا بهاتف يقول: يا ذا النون، هذا الذي يطلبه الشيطان في الدنيا فلا يراه، ويطلبه مالك خازن النار فلا يراه، ويطلبه رضوان[1] في الجنان فلا يراه، فقلت للهاتف: فأين هو بعد هذا؟ قال: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٥] ولذلك يقال: الناس في العبادة على ثلاثة أقسام: رهباني، وحيواني، ورباني، فالرهباني: هو الذي يعبد الله رهبة وخوفًا. والحيواني: هو الذي يعبد الله رجاء رحمته وعفوه. والرباني: هو الذي يعبد الله ولا يعرف الدنيا، ولا الآخرة، ولا الجنة، ولا النار، ولا النفس، ولا الروح. فالأول: يقال له يوم القيامة إذا بعث من قبره: نجوت من النار، ويقال للثاني: أدخل الجنة، ويقال للثالث: هذا محبوبك، هذا مطلوبك، هذا مرادك، وعزتي وجلالي ما خلقت الجنان إلا لمثلك.

الحكاية الرابعة والخمسون

في إدخال الموعظة وقبولها على وجه مرغوب

«حكي» أنه كان ملك كافر وله وزير صالح، وكان الوزير يترصد فرصة للموعظة له، ففي ذات ليلة قال له الملك: قم حتى نركب وننظر أحوال الناس، فركبا، ومرَّا في طريق فإذا هو بمحل شبه الجبل وفيه ضوء نار، فذهبا إليه، فإذا هو بيت فيه أصوات غناء وأوتار، ورأيا فيه رجلاً خلق الثياب في مزبلة، متكئًا على تل من زبل، وبين يديه إبريق من فخار وفيه مربط، وامرأته بين يديه تحييه بتحية الملوك، وهو يحييها بتحية سيدة النساء، فقال

(١) رِضوان: خازن الجنة، والضم للمصدر. تفسير البحر المحيط (٣/ ١٦٢).

الملك: لعلهما يصنعان كل ليلة كذلك، فحينئذ اغتنم الوزير الفرصة فقال للملك: أيها الملك، نخاف أن تكون في الغرور مثلهما، قال: كيف ذلك؟ فقال: إن ملكك في عين من يعرف الملكوت مثل هذه المزبلة في عينك، وكذلك متكؤك وقصورك، وإن جسدك وملبوسك عند من يعرف النظافة والنضارة مثل هذين، فقال الملك: ومن هم أصحاب هذه الصفة؟ قال: هم الذين يصفون أن زينة فيها الفرح لا الحزن، والنور لا الظلمة، والأمن لا الخوف، فقال له الملك: ما منعك أن تخبرني بهذا قبل اليوم؟ فقال له: هيبتك، فقال له الملك: لئن كان هذا الذي وصفت حقًّا فينبغي لنا أن نجعل ليلنا ونهارنا فيه، فقال له الوزير: أتأمر أن أطلب لك ذلك؟ قال: نعم، فبعد أيام قال الوزير: أيها الملك وجدت مطلوبك في أبيات على قبور آبائك، فقال: ما هي؟ فقال:

أتعمى عن الدنيا وأنت بصير ... وتجهل ما فيها وأنت خبير
وتصبح تبنيها كأنك خالد ... وأنت غدًا عما بنيت تسير
وترفع في الدنيا بناء مفاخر ... ومثواك بيت في القبور صغير
ودونكه فاصنع كما أنت صانع ... فإن بيوت الميتين قبور

فلما سمع الملك تاب إلى الله تعالى وأسلم، وحسن إسلامه، وكان ذلك سببًا لنجاته.

الحكاية الخامسة والخمسون

في التوكل على الله تعالى والصبر على قضائه

«حكي» عن مالك بن دينار ﷺ قال: خرجت إلى الحج فكنت أسير في البادية، فرأيت غرابًا في منقاره رغيف، فقلت: هذا غراب يطير وفي منقاره رغيف، إن له لشأنًا، فتبعته حتى نزل في غار، فذهبت إليه، فإذا رجل مشدود اليدين والرجلين ملقى على ظهره، والغراب يلقمه من الرغيف لقمة بعد لقمة، فطار الغراب ولم يرجع، فقلت للرجل: من أين أنت؟ فقال: أنا من الحجاج، أخذ اللصوص جميع مالي، وشدوني وألقوني في هذا الموضع، فصبرت على الجوع مقدار خمسة أيام، ثم قلت: يا من قال في كتابه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢] فأنا مضطر فارحمني، فأرسل إلي هذا الغراب، فصار يطعمني ويسقيني كل يوم، فحللته من الوثاق ومضينا، فعطشنا في الطريق وليس معنا ماء،

فنظرنا في البادية فرأينا بركة وعليها جملة من الظباء فقلنا: الحمد لله قد وجدنا البئر والبركة، فدنونا من البئر فنفرت الظباء، فلما وصلنا إلى البئر غار الماء إلى قعرها، فاستقيت منها وشربنا، ثم قلت: يا رب إن الظباء لا يركعون ولا يسجدون فسقيتهم على وجه الأرض، ونحن احتجنا إلى مائة ذراع، فإذا هاتف يقول: يا مالك إن الظباء توكلت علينا فسقيناهم، وأنت توكلت على حبلك ودلوك.

الحكاية السادسة والخمسون

في أحوال الواصلين إلى الله تعالى

«حكي» عن ذي النون المصري أنه قال: كانت لي ابنة أخت من أهل المعاملة مع الله تعالى، ففقدتها شهرًا ولم أعرف محلها، فتضرعت إلى الله يومًا وليلة بصيام وقيام، فرأيت في المنام هاتفًا يقول لي: إن التي تطلبها في التيه، فقلت: سبحان الله، كيف وقعت في ذلك؟ فحملت الماء والزاد عشرة أيام فلم أجدها، وأيست منها، وثقل الماء والزاد علي، فعزمت على الرجوع في غد، فبينما أنا نائم إذ ركضني شخص فانتبهت فإذا هي قائمة عندي، فضحكت وقالت: يا ضعيف القلب ما هذا الذي على ظهرك؟ فقلت لها: فقدتك شهرًا.

فقالت: يا خالي، والله لقد كنت في محرابي، فخطر ببالي أن إله الأرض، وإله السماء، وإله البر، وإله البحر، وإله الخراب، وإله العمار واحد، فقلت: لأعبدنه شهرًا في الخراب، وشهرًا في العمار حتى أرى آثار كرمه وقدرته، فدخلت في هذا التيه منذ أربعين يومًا، فرأيت فيه معبودي عين اليقين، وأغناني عن الخلائق أجمعين، ثم بكت ساعة ثم سكنت، قال: وكنت جائعًا شديد الجوع فأردت أن أسألها عن حال الغذاء، فنظرت إلي وقالت: كأنك يا خالي جائع، قلت: نعم، فقالت وهي تنظر إلى السماء: يا مولاي، إن خالي جائع ويجب أن يرى حالي عندك، قال: فوالله ما استتمت الدعاء حتى رأيت السماء آمطرت منا أبيض كالثلج فأكلت، ثم قلت: يا ابنة أختي، هذا المن، فأين السلوى؟ فقالت لي: السلوى بعد المن، فرأيت السلوى تقع علينا كثيرًا، قال: فوالله ما فارقتني حتى صرت من الرجال، رضي الله تعالى عنها.

الحكاية السابعة والخمسون

في فضل العلم(١) وحب أهله

«حكي» أن كعب الأحبار(٢) ﷺ قال: إن الله يحاسب العبد، فإذا رجحت سيئاته على حسناته يؤمر به إلى النار، فإذا ذهبوا به إليها يقول الله تعالى لجبريل: أدرك عبدي واسأله هل جلس في مجلس عالم في الدنيا فأغفر له بشفاعته؟ فيسأله جبريل، فيقول: لا، فيقول جبريل: يا رب إنك عالم بحال عبدك أنه قال: لا، فيقول: سله هل أحب عالمًا؟ فيقول: لا، فيقول: سله هل جلس على مائدة مع عالم؟ فيقول: لا، فيقول: سله هل سكن في سكة فيها

---

(١) اعلم أن الآيات والاحاديث الدالة على فضل العلم كثيرة شهيرة، فمن الآيات قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩] ومن الأحاديث قوله ﷺ: «من سلك طريقًا يبتغي فيها علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الانبياء، وإن الانبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» وقوله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم وإن الله وملائكته وأهل السموات والارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في الماء، ليصلون على معلمي الناس الخير». قال معاذ ﷺ: تعلموا العلم فإن تعليمه حسنة، وطلبه عبادة، ومذكراته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وبذله صدقة. وعن أبي الدرداء ﷺ قال: الناس رجلان، عالم ومتعلم، ولا خير فيما سوى ذلك. ويقال: من ذهب إلى عالم وجلس عنده ولم يقدر على حفظ شئ مما قاله أعطاه الله سبع كرامات، أولها: ينال فضل المتعلمين. وثانيها: ما دام عنده جالسًا كان محبوسًا عن الذنوب والخطايا. وثالثها: إذا خرج من منزله نزلت عليه الرحمة. ورابعها: إذا جلس عنده نزلت الرحمة على العالم فتصيبه ببركته. وخامسها: تكتب له الحسنات ما دام مستمعًا. وسادسها: تحفهم الملائكة بأجنحتهم وهو فيهم. وسابعها: كل قدم يرفعها ويضعها تكون كفارة للذنوب ورفعًا للدرجات وزيادة في الحسنات. هذا لمن لم يحفظ شيئا، وأما الذي يحفظ فله أضعاف ذلك مضاعفة. وعن عمر ﷺ أنه قال: إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع العلم خاف الله واسترجع من ذنوبه، فينصرف إلى منزله وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلماء فإن الله لم يخلق على وجه الارض أكرم من مجلسهم. إعانة الطالبين (١/ ٢٣).

(٢) هو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق (٣٢ هـ) تابعي، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرًا من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة، وخرج إلى الشام، فسكن حمص وتوفي فيها، عن مائة وأربع سنين. الأعلام للزركلي (٥/ ٢٢٨).

عالم؟ فيقول: لا، فيقول: سله هل وافق اسمه اسم عالم أو نسبه نسب عالم؟ فيقول: لا، فيقول: سله هل يحب رجلاً يحب عالمًا؟ فيقول: نعم، فيقول الله لجبريل: خذ بيده وأدخله الجنة، فإني قد غفرت له بذلك، انتهى.

الحكاية الثامنة والخمسون

في فضل «لا حول ولا قوة إلا بالله»(١)

«حكي» أن الخليفة المأمون صادر رجلاً نصرانيًا في خمسمائة درهم، وأرسل معه فارسًا فنظر في الطريق رجلاً معه وقر حشيش، وكان قد مال حمله فسواه من جانب، فمال إلى الجانب الآخر، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، فاستعظم النصراني هذه الكلمة، فقال له الفارس: حيث عظمت هذه الكلمة فلم لم تؤمن بالله تعالى؟ فقال النصراني: قد تعلمتها من ملائكة السماء، فتعجب الفارس من كلامه، فلما قدم إلى الخليفة أخبره بما رأى من النصراني، فقال له الخليفة: كيف تعلمت هذه من الملائكة؟ فقال: كان لي عم موسر وله بنت حسناء، فخطبتها فلم يزوجني بها، وزوجها من غيري، فلما كان ليلة الزفاف مات زوجها ثم خطبتها، فلم يزوجني بها وزوجها برجل فمات ليلة الزفاف، ثم فعل مع ثالث كذلك، ثم خطبتها رابعًا فزوجني بها لرغبة غيري عنها، فلما خلوت بها استقبلني الشيطان مثل قطعة جبل وصاح علي صيحة وقال: أين تدخل؟ قلت: على أهلي، فقال: أما علمت ما فعلت بأولئك القوم، قلت: بلى، قال: إن رضيت أن تكون هذه المرأة لي بالليل ولك بالنهار وإلا قتلتك، فقلت: قد رضيت.

---

(١) قَوْله ﷺ: «لَا حَوْل وَلَا قُوَّة إِلَّا بِاَللَّه كَنْز مِنْ كُنُوز الْجَنَّة» قَالَ الْعُلَمَاء: سَبَب ذَلِكَ أَنَّهَا كَلِمَة اِسْتِسْلَام وَتَفْوِيض إِلَى الله تَعَالَى، وَاعْتِرَاف بِالْإِذْعَانِ لَهُ وَأَنَّهُ لَا صَانِع غَيْره وَلَا رَادَّ لِأَمْرِهِ، وَأَنَّ الْعَبْد لَا يَمْلِك شَيْئًا مِنْ الْأَمْر، وَمَعْنَى الْكَنْز هُنَا: إِنَّهُ ثَوَاب مُدَّخَر فِي الْجَنَّة، وَهُوَ ثَوَاب نَفِيس، كَمَا أَنَّ الْكَنْز أَنْفَس أَمْوَالكُمْ. قَالَ أَهْل اللُّغَة: الْحَوْل: الْحَرَكَة وَالْحِيلَة؛ أَيْ: لَا حَرَكَة وَلَا اِسْتِطَاعَة وَلَا حِيلَة إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهَّ تَعَالَى، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ لَا حَوْل فِي دَفْع شَرّ، وَلَا قُوَّة فِي تَحْصِيل خَيْر إِلَّا بِاَللَّه، وَقِيلَ: لَا حَوْل عَنْ مَعْصِيَة الله إِلَّا بِعِصْمَتِهِ، وَلَا قُوَّة عَلَى طَاعَته إِلَّا بِمَعُونَتِهِ، وَحُكِيَ هَذَا عَنْ اِبْن مَسْعُود ﷺ وَكُلّه مُتَقَارِب. قَالَ أَهْل اللُّغَة: وَيُعَبَّر عَنْ هَذِهِ الْكَلِمَة بِالْحَوْقَلَةِ وَالْحَوْلَقَة، وَبِالْأَوَّلِ جَزَمَ الْأَزْهَرِيّ وَالْجُمْهُور، وَبِالثَّانِي جَزَمَ الْجَوْهَرِيّ، وَيُقَال أَيْضًا: لَا حَيْل وَلَا قُوَّة فِي لُغَة غَرِيبَة، حَكَاهَا الْجَوْهَرِيّ وَغَيْره. شرح النووي على مسلم (٩/ ٧٠).

فمضى على ذلك مدة ثم في ليلة من الليالي قال لي: إني أريد أن أذهب الليلة إلى السماء؛ لأسترق السمع، وهذه نوبتي، فهل ترافقني للصعود معي، فقلت له: نعم، فتحول الشيطان مثل الجمل وقال: اركبني وتشدد، فركبته وطار في الهواء، فسمعت الملائكة يقولون: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» فلما سمع الشيطان هذه المقالة انقلب وسقط كالميت، وسقطت أنا قريبًا منه، فلما كان بعد ساعة أفاق وقال: غمض طرفك فغمضته، فإذا أنا على باب داري، فلما خلوت بامرأتي قلت لها: سدي كل ثقب وكوة في هذا البيت، فسدتها كلها، فلما أتى الشيطان عشاء ودخل البيت أغلقت الباب ووضعت فمي على الباب وقلت: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» فسمعت في البيت جلبة شديدة ثم قلتها ثانيًا وثالثًا، فنادتني امرأتي: ادخل، فدخلت، فقالت لي: لما قلتها أول مرة أخذ الشيطان يطلب منفذ ليهرب منه فلم يجد، فلما قلتها ثانيًا نزلت نار من السماء فأحاطت به، فلما قلتها ثالثًا أحرقته فصار رمادًا، وقد خلصنا الله تعالى من ذلك اللعين، فلما سمع المأمون ذلك منه أطلق عنه، ووهب له ما كان صادره فيه من الدراهم المذكورة، والله أعلم.

الحكاية التاسعة والخمسون

في فضل حب رؤية الله تعالى

«**حكي**» أنه كان لحارثة بن أبي أوفى جار نصراني، فمرض النصراني مرض الموت، فعاده حارثة، وقال له: أسلم وعلي أن أضمن لك الجنة، فإن الجنة لا نظير لها، وفيها الحور العين التي صفتها كذا، وفيها القصور التي صفتها كذا، فقال النصراني: أريد أفضل من هذا، فقال: أسلم وعلي أن أضمن لك رؤية الله في الجنة، فقال: الآن أسلم؛ إذ ليس شيء أفضل من الرؤية، فأسلم ثم مات، فرآه حارثة في المنام على مركب في الجنة، فقال له: أنت فلان؟ قال: نعم، قال: فما فعل الله بك؟ قال: لما خرجت روحي ذهب بها إلى العرش، فقال لي الله ﷻ: آمنت بي شوقًا إلى لقائي، فلك الرضا واللقاء، فقال حارثة: الحمد لله على ما منَّ به عليك.

الحكاية الستون

فيمن جعل الله له واعظًا من نفسه

«حكي» أن رجلاً حاسب نفسه فحسب عمره، فإذا هو ستون عامًا، فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم، فصاح: يا ويلاه، إذا كان كل يوم ذنب كيف ألقى الله بهذا العدد منها؟ فخرَّ مغشيًا عليه، فما أفاق أعاد على نفسه ذلك فخرَّ مغشيًا عليه، فحركوه فإذا هو قد مات- رحمه الله تعالى- فكيف بمن له في كل يوم عشرة آلاف ذنب.

الحكاية الحادية والستون

في ذمِّ مَنْ لا يقبل الاعتذار

«حكي» أن إبليس دخل يومًا على فرعون فقال له: أتعرفني؟ قال: نعم، فقال: إنك قد فقتني بخصلة واحدة، قال: وما هي؟ قال: جراءتك على الله في دعوى الربوبية، فإني أكبر منك سنًا، وأكثر منك علمًا، وأعظم منك قوة، ولم أتجاسر على ذلك، فقال له: صدقت، ولكني أتوب عنها، فقال له اللعين: مهلاً لا تفعل ذلك، فإن أهل مصر قد قبلوك بالربوبية، فإذا رجعت عنها أدبروا عنك، وأقبلوا على عدوك، وسلبوا ملكك، فتصير ذليلاً، قال: صدقت، ولكن هل تعلم على وجه الأرض أخبث منَّا؟ قال: نعم، من اعتذر إليه فلم يقبل، فهو أشر مني ومنك، ثم خرج من عنده، فلعنة الله عليهما معًا.

الحكاية الثانية والستون

في حُسن الجواب مع الارتجال

«حكي» أن هشام بن عبد الملك صعد المنبر بدمشق وقال: يا أهل الشام، إن الله قد رفع عنكم الطاعون بخلافتي فيكم، فقام رجل وقال: إن الله أرحم بنا أن يجمعك والطاعون علينا، ألا ترى أن رجلاً كان له مال وولد، فلما احتضر قال لولده: يا بني، كيف كنت لكم؟ قالوا: خير أب، قال: إذا مت فاحرقوني، ثم اهرسوني بالمهراس، ثم ذروني في يوم ريح عاصف؛ لعل الله لا يعرف موضعي، فلما مات فعلوا به ذلك، فجمعه الله تعالى وقال له: يا عبدي، لم فعلت هذا؟ قال: خوفًا منك يا رب؛ لأنك لا تجمع على عبدك عذابين في الدنيا والآخرة، انتهى. وفي هذه الحكاية إشكال شديد فتأمله.

الحكاية الثالثة والستون

فيما وقع للخضر عليه السلام

«حكي» أن الخضر عليه السلام كان جالسًا على شاطئ البحر إذ جاءه سائل فقال له: أسألك بالله أن تعطيني شيئًا، فغشي عليه، فلما أفاق قال له: لا أملك إلا نفسي، وقد سألتني بحق الله فقد بذلت لك نفسي، فبعها وانتفع بثمنها، قال: فذهب به إلى السوق وباعه لرجل يقال له: ساحم بن أرقم فذهب به إلى بيته، وله بستان خلف بيته فدفع المرسة إليه، وأمره أن ينحت من الجبل ويلقى في البستان، وذلك الجبل فرسخ في فرسخ، ثم غاب ساحم في حاجته فأقبل الخضر على النحت والإلقاء، فلما رجع ساحم قال لأهله: هل أطعمتم الغلام؟ فقالوا له: أيها لغلام لا علم لنا به! فرفع طعامًا ودخل عليه فوجده قد فرغ من الجبل كله وهو قائم يصلي، فتعجب وكاد أن يغشى عليه، فسأله وقال له: أخبرني من أنت؟ فقال له: عبد الله وعبدك، فقال له: أسألك بحق الله تخبرني من أنت؟ فغشي على الخضر ساعة ثم أفاق وقال له: أنا الخضر، فغشي على ساحم.

فلما أفاق تاب واعتذر إلى ربه، قال: يا رب لا تؤاخذني بذلك، فإني لم أعلم به، فسجد الخضر ودعا الله وقال: بحقك صرت رقيقًا، وبحقك صرت عتيقًا، ثم استأذن في الرجوع فأذن له، فرجع إلى ساحل البحر فرأى رجلاً قائمًا على البحر يقول: يا رب، خلص الخضر من الرق وتب عليه، فقال له الخضر: من أنت؟ فقال: أنا شادون، فقال له الخضر: أنا الخضر، فقال له: يا خضر، طلبت الدنيا فأخذتها مسكنًا لنفسك وذلك لأن الخضر له صومعة على ساحل البحر، فإذا خرج إلى البرية عَبَدَ الله فيها، فغرس في ذلك الموضع شجرة يعبد الله في ظلها، فنودي يا خضر ـ حين سجد ـ: آثرت الدنيا على الآخرة، فوعزتي وجلالي ما لي في حبها رضا، قال: يا شادون، ادع الله حتى يقبل توبتي، فدعا شادون فقبل الله توبته بدعاء شادون، والله أعلم.

نبذة في فضل البكاء من خشية الله تعالى[1]

وفي الخبر أن عبدًا يؤتى به يوم القيامة فيحاسب، فترجح سيئاته، فيؤمر به إلى النار، فتقول شعرة من عينيه: يا رب، إن نبيك ﷺ قال: «**من بكى من خشية الله حرم الله تلك العين على النار**»[2] فانزعني من عينيه ثم ابعثه إلى النار، فيقول لها الله تعالى: لم لا تستوهبيه مني؟ فتقول: إني خشيت منك يا رب، فيقول الله تعالى: قد أكرمته لأجلك، اذهبوا به إلى الجنة.

الحكاية الرابعة والستون

في تقديم الطاعة على الدنيا

«حكي» أن حامدًا اللفاف ﷺ أراد الذهاب إلى الجمعة وقد ضلَّ حماره ودقيقه في الطاحون، ودخل نوبة سقي أرضه، فتفكر في نفسه وقال: إن ذهبت إلى الجمعة فاتتني هذه الأعمال، ثم قال: عمل الآخرة أولى، فذهب إلى الجمعة، فلما رجع وجد أرضه قد سقيت، وحماره في الاصطبل، وامرأته تخبز، فسأل امرأته فقالت له: أمَّا الحمار: فقد سمعت قرع الباب فخرجت فإذا الحمار يعدو والأسد حوله، فلما فتحت الباب دخل الحمار الدار، وأمَّا الأرض: فإن الملاصق لأرضنا أراد سقي أرضه فنام، فانفجر الماء فسقى أرضنا، وأمَّا الدقيق: فإنه كان لجارنا دقيق في الطاحون فذهب ليأتي به فغلط، فحمل جوالنا، فلما جاء إلى بيته عرفه فدفعه لنا، فرفع حامد رأسه إلى السماء وقال: يا رب، قضيت لك حاجة فقضيت لي ثلاثة حاجات، فلك الحمد.

---

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا يَلِجُ ـ أَيْ: لَا يَدْخُلُ ـ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ الله تَعَالَى حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ الله وَدُخَانُ جَهَنَّمَ» وَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ: لَأَنْ أَدْمَعَ دَمْعَةً مِنْ خَشْيَةِ الله أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِأَلْفِ دِينَارٍ، وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ الله: بَلَغَنِي أَنَّهُ لَا تُصِيبُ دُمُوعُ الْإِنْسَانِ مِنْ خَشْيَةِ الله مَكَانًا مِنْ جَسَدِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ ذَلِكَ الْمَكَانَ عَلَى النَّارِ، وَكَانَ لِصَدْرِ رَسُولِ الله ﷺ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ؛ أَيْ: فَوَرَانٌ وَغَلَيَانٌ كَغَلَيَانِ الْقِدْرِ عَلَى النَّارِ، وَقَالَ الْكِنْدِيُّ: الْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ الله تُطْفِئُ الدَّمْعَةُ مِنْهُ أَمْثَالَ الْبِحَارِ مِنْ النَّارِ. الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٣٧).

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٧٠) بنحوه.

الحكاية الخامسة والستون

في كرامات من تاب إلى الله تعالى

«حكي» أنه كان في بني إسرائيل رجل مبتلى بالزنا، فلما فرغ من الزنا جاء إلى البحر ليغتسل، فتمنى قبل أن يغتسل زنا آخر، فتكلم معه الماء وقال: يا مسكين، هذا قبيح من الحجر فكيف من البشر؟ أما تستحي يا مسكين قبل أن تغتسل من واحد تتمنى آخر؟ فخاف من ذلك ودخل الجبال نادمًا على فعله، فعبد الله بين العباد، فجاءوا يومًا إلى ذلك البحر ولم يأت معهم ذلك التائب، واعتذر بأن هناك من يطلع على ذنبه فاستحى منه، فلما جاء العباد إلى الساحل تكلم معهم الماء وقال: أين صاحبكم؟ قالوا: لم يخرج معنا استحياء ممن اطلع على ذنبه، فقال لهم: لكن قولوا له يأتي إلى هنا ويعبد الله بجانبي، فجاء وعبد الله عند البحر حتى مات، ودفن هناك، فنبتت على قبره سبع أشجار من الصنوبر في صنو[1] واحد لم تكن تنبت قبل ذلك.

الحكاية السادسة والستون

في فضل بعض أسمائه تعالى[2]

«حكي» أنه لما ركب نوح عليه السلام السفينة ارتفعت بين السماء والأرض، فصفقتها الأمواج، وكان الماء سخنًا، فذاب القار من حرارة الماء فكادت أن تشرب الماء وتغرق، فَعَلَّمَ الله نوحًا اسمًا من أسمائه تعالى فدعا به، فجمد القار ببركة اسم الله تعالى، وهو: «أهيا شراهيا» ومعناه: «يا حي يا قيوم» وبه كما في التوراة: يسلم الغريق من الغرق، وعلمه الله تعالى لإبراهيم حين ألقي في النار، فصارت عليه بردًا وسلامًا، ولما حمل إبراهيم ولده

---

(١) صِنو الرجل: أخوه، مثل صِنْو وصِنْوانٍ من النخل: وهي نخل يجمعها أصل واحد وتتشعب، وقد جُمعت: صِنْوانًا، وقليلٌ ما جاء مثله، ومن العرب من يجمعه: أصناء، وهو الأصل. جمهرة اللغة (٢/ ٤).

(٢) قَالَ أَبُو الْحَسَن الْقَابِسِيّ: أَسْمَاء الله وَصِفَاته لَا تُعْلَم إِلَّا بِالتَّوْقِيفِ مِنْ الْكِتَاب أَوْ السُّنَّة أَوْ الْإِجْمَاع، وَلَا يَدْخُل فِيهَا الْقِيَاس وَلَمْ يَقَع فِي الْكِتَاب ذِكْر عَدَد مُعَيَّن، وَثَبَتَ فِي السُّنَّة أَنَّهَا تِسْعَة وَتِسْعُونَ، فَأَخْرَجَ بَعْض النَّاس مِنْ الْكِتَاب تِسْعَة وَتِسْعِينَ اِسْمًا، وَاَللَّه أَعْلَم بِمَا أَخْرَجَ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ بَعْضهَا لَيْسَتْ أَسْمَاء؛ يَعْنِي: صَرِيحَة. فتح الباري لابن حجر (١٨/ ٢١٥).

إسماعيل إلى الحرم وأسكنه فيه وحيدًا فريدًا علمه ذلك الاسم وأمره أن يدعو به إذا احتاج إليه، فلما عطش وأصابه وأمه الجهد دعا به، فأنبع الله له عين زمزم، فبقي هذا الاسم في أفواه ولد إسماعيل إلى يوم القيامة، وفي أفواه الملاحين. انتهى.

الحكاية السابعة والستون

في كرامة الشهداء[1]

«حكي» أن هارون الرشيد سأل محمدًا البطال عن أعجب ما وقع له في بلاد الروم فقال: كنت يومًا في مرج من مروجها ماشيًا والبرنس على رأسي وأنا مطرق، فسمعت خلفي حوافر الدواب فالتفت، فإذا بفارس شاكي السلاح وبيده رمح، فدنا مني وسلم علي، فرددت عليه السلام، فقال لي: هل رأيت رجلاً يقال له: بطال؟ فقلت له: هو أنا بطال، فنزل عن فرسه وعانقني وقبّل رجلي، فقلت له: لماذا تفعل هذا؟ فقال: جئت لأخدمك، فدعوت له، فبينما نحن كذلك إذ أقبل علينا أربعة فرسان، فقال صاحبي: أتأذن لي أن أخرج إليهم، فقلت له: نعم، فتطاردوا ساعة ثم قتلوه، وأقبلوا إلي وحملوا علي، فقلت لهم: إن أردتم محاربتي فأمهلوني حتى أتسلح بسلاح صاحبي وأركب دابته، فقالوا: لك ذلك، فلبست السلاح، وركبت الدابة، ثم قلت: أنتم أربعة وأنا واحد، وهذا ليس بإنصاف، فليتخرج لي واحد منكم، فخرج واحد منهم فقتلته يا أمير المؤمنين، ثم الثاني فقتلته، ثم الثالث فقتلته، ثم خرج الرابع، فما زلنا نتطارد بالرماح حتى انكسر رمحي ورمحه، فنزلنا عن دوابنا وأخذ ترسه وسيفه، وأخذت ترسي وسيفي، فما زلنا نتطارد حتى انكسر

---

(١) اعْلَمْ أَنَّ الشَّهِيد ثَلَاثَة أَقْسَام: أَحَدهَا: الْمَقْتُول فِي حَرْب بِسَبَب مِنْ أَسْبَاب الْقِتَال، فَهَذَا لَهُ حُكْم الشُّهَدَاء فِي ثَوَاب الْآخِرَة، وَفِي أَحْكَام الدُّنْيَا وَهُوَ أَنَّهُ لَا يُغَسَّل وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ.
وَالثَّانِي: شَهِيد فِي الثَّوَاب دُون أَحْكَام الدُّنْيَا وَهُوَ الْمَبْطُون، وَالْمَطْعُون، وَصَاحِب الْهَدْم، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ. وَغَيْرهمْ مِمَّنْ جَاءَتْ الْأَحَادِيث الصَّحِيحَة بِتَسْمِيَتِهِ شَهِيدًا، فَهَذَا يُغَسَّل وَيُصَلَّى عَلَيْهِ وَلَهُ فِي الْآخِرَة ثَوَاب الشُّهَدَاء، وَلَا يَلْزَم أَنْ يَكُون مِثْل ثَوَاب الْأَوَّل.
وَالثَّالِث: مَنْ غَلَّ فِي الْغَنِيمَة وَشِبْهه مَنْ وَرَدَتْ الْآثَار بِنَفْيِ تَسْمِيَته شَهِيدًا إِذَا قُتِلَ فِي حَرْب الْكُفَّار، فَهَذَا لَهُ حُكْم الشُّهَدَاء فِي الدُّنْيَا فَلَا يُغَسَّل، وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَلَيْسَ لَهُ ثَوَابهمْ الْكَامِل فِي الْآخِرَة. وَاللَّه أَعْلَم. شرح النووي على مسلم (١/ ٢٦٢).

ترسي وترسه، وانقطعت ذؤابة[1] سيفي وسيفه، وسقطت أسيافنا على الأرض.

ثم تصارعنا حتى أمسينا، وغربت الشمس فلم يقدر علي، ولم أقدر عليه، فقلت له: يا هذا، قد فاتتني الصلاة في ديني اليوم، فقال: وأنا كذلك ـ وكان أسقفًا ـ قلت: فهل لك أن تنصرف حتى نقضي فوائتنا، ونستريح الليلة، فإذا أصبحنا عدنا إلى قتالنا؟ فقال لي: لك ذلك، فوحدت الله تعالى، وقضيت صلاتي، وفعل هو ما فعل، فلما كان عند الرقاد قال لي: إنكم معشر العرب فيكم الغدر، وفي أذني جلجلتان أعلق إحداهما في أذنك، وتضع رأسك علي، فإن تحركت صلصلت جلجاتك فأستيقظ، فقلت له: افعل ذلك، فبتنا على تلك الحالة، فلما أصبحنا وحدت الله، ثم صليت فرضي، ثم اصطرعنا فصرعته، وقعدت على صدره وأردت أن أذبحه، فقال: اعف عني هذه المرة، فقلت: لك ذلك، ثم اصطرعنا ثانيًا فزلت رجلي فصرعني، وقعد على صدري، وهمَّ بذبحي، فقلت: أنا قد عفوت عنك أفلا تعفو عني؟ فقال: لك ذلك، ثم تصارعنا ثالثًا وقد انكسر قلبي، فصرعني، وقعد على صدري، فقلت له: واحدة بواحدة فتفضل بهذه المرة، فقال: لك ذلك، وتصارعنا رابعًا فصرعني وقال: لقد عرفت الآن أنك بطال، لأذبحنك وأريح أرض الروم منك، قلت: كلا إن شاء ربي، فقال: سل ربك أن يمنعني عنك، ورفع الخنجر؛ ليذبحني به، فقام صاحبي المقتول ـ يا أمير المؤمنين ـ ورفع سيفًا وضرب رأسه، وقرأ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا....﴾ [آل عمران:١٦٩].

الحكاية الثامنة والستون

في فضل صيام عشر ذي الحجة[2]

«حكي» عن أبي يوسف يعقوب بن يوسف قال: كان لي رفيق، وكان ورعًا تقيًا غير

---

(١) ذُؤَابَة السَّيْفِ: عِلاقَةُ قائِمِه. لسان العرب (١/ ٣٧٧).

(٢) بَاب صَوْم عَشر ذِي الْحِجَّة: فِيهِ قَوْل عَائِشَة: «مَا رَأَيت رَسُول الله ﷺ صَائِمًا فِي الْعَشر قَطُّ» وَفِي رِوَايَة: «لَمْ يَصُمْ الْعَشر». قَالَ الْعُلَمَاء: هَذَا الْحَدِيث مِمَّا يُوهِم كَرَاهَة صَوْم الْعَشَرَة، وَالْمُرَاد بِالْعَشرِ هُنَا: الْأَيَّام التِّسْعَة مِنْ أَوَّل ذِي الْحِجَّة، قَالُوا: وَهَذَا مِمَّا يُتَأَوَّل فَلَيْسَ فِي صَوْم هَذِهِ التِّسْعَة كَرَاهَة، بَلْ هِيَ مُسْتَحَبَّة اِسْتِحْبَابًا شَدِيدًا لَا سِيَّمَا التَّاسِع مِنْهَا، وَهُوَ يَوْم عَرَفَة، وَقَدْ سَبَقَتْ الْأَحَادِيث فِي فَضْله، وَثَبَتَ فِي صَحِيح الْبُخَارِيّ: إِنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَيَّام الْعَمَل الصَّالِح فِيهَا أَفْضَل مِنْهُ فِي هَذِهِ» يَعْنِي: الْعَشر الْأَوَائِل مِنْ ذِي الْحِجَّة. شرح النووي على مسلم (٤/ ٢٠٩).

أنه كان يظهر للناس من نفسه أنه مرتكب للفسق والفجور، وكان يلبس ثياب الفجار والفساق، وله نواص مثل نواصي الشطار، وكان يطوف الكعبة معي منذ عشر سنين، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وأنا صائم على الدوام، فيقول لي: إنك لا تؤجر على صومك هذا؛ لأن نفسك قد اعتادته، وكان يصوم عشر ذي الحجة كاملاً، وكان في المفازة، ثم إنه دخل معي إلى طرسوس فمكثنا مدة ثم مات وأنا معه في خربة ليس فيها أحد، فخرجت من الخربة لأحصل له الكفن والحنوط، فإذا الناس يتحدثون بموته ويأتون إلى جنازته والصلاة عليه، ويقولون: قد مات رجل زاهد عابد من أولياء الله تعالى، فاشتريت له الكفن والحنوط.

فلما رجعت لم أقدر على الوصول إلى الخربة من كثرة الناس، فقلت: سبحان الله، من أعلم الناس بموت هذا حتى جاءوا إلى جنازته والصلاة عليه، وهم يبكون عليه؟ فدخلت الخربة بعد عناء ومشقة، فوجدت عنده كفنًا لا يرى مثله مكتوب عليه بخط أخضر: هذا جزاء من آثر رضا الله على رضا نفسه، وأحب لقاءنا فأحببنا لقاءه، فصلينا عليه ودفناه في مقابر المسلمين، ثم غلب على عيني النوم فنمت، فرأيته راكبًا على فرس أخضر، وعليه لباس أخضر، وبيده لواء، وخلفه شاب حسن الوجه، طيب الريح، وخلفه شيخان، وخلفهما شيخ وشاب، فقلت له: من هؤلاء؟ فقال: أما الشاب: فهو نبينا محمد ﷺ، وأمَّا الشيخان: فأبو بكر وعمر، وأمَّا الشيخ والشاب: فعثمان وعلي، وأنا صاحب لوائهم بين أيديهم، فقلت له: إلى أين يقصدون؟ فقال: إلى زيارتي، فقلت له: بم نلت هذه الكرامة؟ فقال: بإيثاري رضا الله على رضاي، وبصوم عشر ذي الحجة، فاستيقظت من منامي فما تركت صوم ذلك منذ حييت، والله أعلم.

الحكاية التاسعة والستون

في فضل البسملة

«حكي» أنه كان لأبي مسلم الخولاني[1] جارية تبغضه، فكانت تسقيه السمَّ فلا يؤثر فيه، فلما طال عليها ذلك قالت له: إني سقيتك السمَّ زمانًا طويلاً وهو لا يؤثر فيك، فقال لها: لماذا؟ فقالت: لأنك صرت شيخًا كبيرًا، فقال لها: لأني أقول عند الأكل والشرب: «بسم الله الرحمن الرحيم» ثم أعتقها.

الحكاية السبعون

في فضل شهر رجب

«حكي» عن مقاتل أنه قال: إن خلف جبل قاف أرضًا بيضاء ملساء كالفضة، قدر الدنيا سبع مرات، مملوءة من الملائكة بحيث لو سقطت إبرة سقطت عليهم، بيد كل واحد منهم لواء مكتوب عليه: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» يجتمعون كل ليلة من شهر رجب حول الجبل يتضرعون إلى الله، ويدعون بالسلامة للأمة محمد ﷺ، ويقولون: يا ربنا، ارحم أمة محمد ﷺ، ولا تعذب أمة محمد ﷺ، ويبكون ويتضرعون، فيقول لهم الله تعالى: ماذا تريدون؟ فيقولون: نريد أن تغفر لأمة محمد ﷺ، فيقول لهم الله: «إني قد غفرت لهم».

الحكاية الحادية والسبعون

فيما وقع لرابعة العدوية[2]

(١) أبو مسلم الخولاني (٦٢ هـ): عبد الله بن ثوب ـ بضم ففتح ـ الخولاني، تابعي فقيه، عابد زاهد، نعمة الذهبي بريحانة الشام، أصله من اليمن، أدرك الجاهلية، وأسلم قبل وفاة النبي ﷺ ولم يره، فقدم المدينة في خلافة أبي بكر، وهاجر إلى الشام، وفي أكثر المصادر: وفاته بدمشق، وقبره بداريا، وكان يقال: أبو مسلم حكيم هذه الأمة. الأعلام للزركلي (٤/ ٧٥).

(٢) رابعة العدوية (...- ١٣٥ هـ): رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير، مولاة آل عتيك البصرية، صالحة مشهورة، من أهل البصرة ومولدها بها، لها أخبار في العبادة والنسك، ولها شعر، من كلامها: «اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم» توفيت بالقدس، قال ابن خلكان: وقبرها يزار، وهو بظاهر القدس من شرقيه، على رأس جبل يسمى: الطور، وقال: وفاتها سنة ١٣٥ كما في شذور العقود لابن الجوري، وقال غيره: سنة ١٨٥. الأعلام للزركلي (٣/ ١٠).

«حكي» أن لصًّا دخل بيت رابعة العدوية وهي نائمة، فجمع أمتعة البيت وهم بالخروج من الباب، فخفي عليه الباب، فقعد ينتظر ظهور الباب، وإذا هاتف يقول له: ضع الثياب واخرج من الباب، فوضع الثياب فظهر له الباب، فعلمه ثم أخذ الثياب فخفي عليه الباب، فوضعها فظهر له الباب، فأخذها فخفي، وهكذا ثلاث مرات أو أكثر، فناداه الهاتف: إن كانت رابعة قد نامت فالحبيب لا ينام، ولا تأخذه سنة ولا نوم، فوضع الثياب وخرج من الباب.

الحكاية الثانية والسبعون

في بركة الحرص على الأحكام الشرعية

«حكي» أن علي بن أبي طالب ﷺ أتوه بعبد قد سرق، فقال له: سرقت! قال: نعم، فأعادها عليه ثلاثًا، وهو يقول: نعم، فأمر بقطع يده، فأخذها وخرج، فلقيه سلمان الفارسي فقال له: من قطع يدك؟ فقال: قطعها عضد الدين، وختن الرسول، وزوج البتول، وابن عم الرسول، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقال له: قطع يدك وتثني عليه، فقال: نعم، بيد واحدة نجاني من العذاب الأليم، فأخبر سلمان عليًا بذلك فدعا بالأسود فحضر إليه، فوضع يده في محلها وغطاها بمنديل ودعا الله، فبرئت بإذن الله تعالى.

الحكاية الثالثة والسبعون

في المغالطة في السؤال وحسن الجواب

«حكي» أن قيصر ـ ملك الروم ـ كتب إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هل يليق من المضيف أن يخرج الضيف من داره ـ يعني: آدم وحواء في إخراجهما من الجنة ـ؟ فقال: إنه لم يخرجهما، وإنه قال لهما: ضعا لباسكما ثم اذهبا إلى قضاء الحاجة كالضيف إذا خلع ثيابه، وذهب إلى المستراح؛ ليقضي حاجته، ثم يعود إلى المائدة.

الحكاية الرابعة والسبعون

فيمن عَلَّق آماله بالله دون غيره

«حكي» أنه كان في زمن بني إسرائيل أخوان: مؤمن وكافر، وكانا صيادين في البحر، فكان الكافر يسجد للصنم ثم يطرح شبكته في البحر، فتمتلئ من السمك حتى يثقل عليه إخراجها، وكان المؤمن يطرح شبكته فيقع فيها سمكة واحدة وهو حامد لله، وشاكر له صابر لقضائه وقدره، فصعدت امرأته يومًا على سطح بيتها فنظرت إلى امرأة أخي زوجها الكافر مزينة بالحلي والحلل، فاشتغل قلبها ووسوس لها الشيطان، فقالت امرأة الكافر: قولي لزوجك يعبد إله زوجي حتى يصير لك مثل مالي، فنزلت وهي مغمومة، فدخل عليها زوجها المؤمن فوجدها متغيرة اللون فقال لها: ما شأنك؟ فقالت له: إما تطلقني وإما تعبد إله أخيك، فقال لها: يا أمة الله، أما تخافين الله؟ أتكفرين بعد إيمانك؟ فقالت له: لا تكثر الكلام علي ولا أكون عريانة وغيري بالحلي والحلل، فلما رأى منها الجد في قولها قال لها: لا تجزعي، وفي غد إن شاء الله تعالى أمضي إلى دار الفعلة أعمل كل يوم بدرهمين أدفعهما لك؛ لتصلحي بهما شأنك، فرضيت بذلك وسكن ما بها.

ثم بكر الرجل إلى دار الفعلة وجلس بينهم، فلم يأخذه أحد، فلما أيس ممن يستعمله مضى إلى ساحل البحر وعبد الله إلى الليل، ثم انصرف إلى منزله، فقالت له زوجته: أين كنت؟ فقال: كنت عند الملك وقد وعدني وشارطني على عمل ثلاثة أيام، فقالت له: كم يعطيك؟ فقال لها: الملك كريم وخزائنه ملآنة غير أنه شارطني على أحد وثلاثين يومًا ويعطيني ما أريد، فصدقته، فصار يمضي كل يوم إلى موضعه ويعبد الله حتى جاءت ليلة الثلاثين، فقالت له زوجته: إن لم تأتني في غد بالكراء[1] فطلقني، فخرج الرجل وهو خائف من ذلك، فوجد يهوديًا فقال له: أنت تشتغل، قال: نعم، فشارطه على ألَّا يأكل عنده شيئًا، فصام ذلك اليوم، فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن اجعل تسعة وعشرين دينارًا في طبق من نور، وأمض بها إلى زوجة المؤمن، فأوصلها إليها، وقل لها: أنا رسول الملك إليك، وهو يقول لك: كان زوجك في عملنا، فما تركناه حتى تركنا ومضى مع يهودي، وهذا النقص

(١) الْكِرَاءُ بِالْمَدِّ: الْأُجْرَةُ، وَهُوَ مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ مِنْ كَارَيْتُهُ مِنْ بَابِ قَاتَلَ، وَالْفَاعِلُ: مُكَارٍ عَلَى النَّقْصِ، وَالْجَمْعُ: مُكَارُونَ. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٨/ ٨٦).

بسبب ذلك، ولو زاد لزدناه، ثم إنها أخذت دينارًا من ذلك ومضت به إلى السوق، فأوصلوها فيه ألف درهم؛ لأنه مكتوب عليه: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» فلما أتى الرجل منزله قالت له زوجته: أين كنت يا هذا؟ قال: كنت في عمل رجل يهودي، فقالت: يا مسكين، كيف تترك خدمة الملك وتخدم غيره؟ وأخبرته بما جرى، فبكى حتى غشي عليه فلما أفاق قال لها: خدمته ولم ألزم حق عبوديته، ثم فارقها وسار إلى أطراف الجبال وعبد الله تعالى حتى مات، فرحمة الله عليه.

الحكاية الخامسة والسبعون

في فضل يوم عاشوراء(١)

«حكي» أن فقيرًا جاء إلى قاض يوم عاشوراء وقال له: أعز الله القاضي إني رجل فقير وذو عيال، وقد جئتك مستشفعًا بهذا اليوم أن تعطيني عشرة أمنان خبز، وعشرة أمنان لحم ودرهمين؛ لأشبع أطفالي في هذا اليوم، ولك الجزاء على الله، فوعده إلى الظهر، فلما جاء الظهر عاد إليه فوعده إلى العصر، فلما جاء العصر عاد إليه وأولاده في منزله ذابت أكبادهم من الجوع، فوعده إلى المغرب، فعاد إليه عند المغرب فقال له: ما عندي شيء أعطيكه، فرجع الفقير منكسر القلب، باكي العين، خائفًا من أطفاله، كيف جوابه لهم؟ فمرَّ وهو يبكي بنصراني جالس على بابه، فرآه باكيًا، فقال له: ما بكاؤك يا هذا؟ فقال له: لا تسأل عن حالي، فقال له: سألتك بالله أن تعلمني بحالك؟ فأخبره بحاله مع القاضي فقال له النصراني: ما هذا اليوم عندكم؟ فقال له: هو يوم عاشوراء، ووصفه ببعض بركاته، فرقَّ له النصراني وأعطاه أكثر مما ذكر من الخبز واللحم، وأعطاه عشرين درهمًا فوق الدرهمين، فقال له: خذ هذا وهو لك ولعيالك علي في كل شهر إكرامًا لهذا اليوم الذي عظمه الله تعالى.

---

(١) قَالَ ﷺ: «كَانَ يَوْم عَاشُورَاء تَعُدُّهُ الْيَهُود عِيدًا، فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: فَصُومُوهُ أَنْتُمْ». وَفِي رِوَايَة مُسْلِم: «كَانَ يَوْم عَاشُورَاء تُعَظِّمُهُ الْيَهُود تَتَّخِذُهُ عِيدًا» فَظَاهِرُهُ أَنَّ الْبَاعِث عَلَى الْأَمْر بِصَوْمِهِ مَحَبَّةُ مُخَالَفَة الْيَهُود حَتَّى يُصَام مَا يُفْطِرُونَ فِيهِ؛ لِأَنَّ يَوْم الْعِيد لَا يُصَامُ، وَحَدِيث اِبْن عَبَّاس يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْبَاعِث عَلَى صِيَامِهِ مُوَافَقَتُهُمْ عَلَى السَّبَب وَهُوَ شُكْر اللهَّ تَعَالَى عَلَى نَجَاة مُوسَى، لَكِنْ لَا يَلْزَم مِنْ تَعْظِيمهمْ لَهُ وَاعْتِقَادهمْ بِأَنَّهُ عِيد أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَصُومُونَهُ، فَلَعَلَّهُمْ كَانَ مِنْ جُمْلَة تَعْظِيمهمْ فِي شَرْعهمْ أَنْ يَصُومُوهُ.
فتح الباري لابن حجر (٦/ ٢٨٥).

فذهب به الفقير لأطفاله فرحًا مسرورًا، فلما رآه أطفاله فرحوا فرحًا شديدًا ثم نادوا بأعلى أصواتهم: اللهم من أدخل علينا السرور فأدخل عليه الفرح عاجلاً، فلما كان الليل ونام القاضي سمع هاتفًا يقول له: ارفع رأسك، فرفعها وإذا هو ينظر قصرين مبنيين لبنة من ذهب ولبنة من فضة، فقال: إلهي، لمن هذان القصران؟ فأجيب بأنهما كانا لك لو قضيت حاجة الفقير، فلما رددته صارا لفلان النصراني، فانتبه القاضي مرعوبًا ينادي بالويل والثبور، ثم سار إلى النصراني وقال له: ما فعلت البارحة؟ فقال له: ولماذا سؤالك؟ فأخبره بما رأى، ثم قال له: بعني هذا الجميل الذي فعلته البارحة مع الفقير بمائة ألف درهم، فقال له النصراني: إني لا أبيع ذلك بملء الأرض ذهبًا، ولكني أشهدك يا قاضي أني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فختم الله له بالحسنى وزيادة، وأماته على كلمة الشهادة، فرحم الله ثراه، وجعل الجنة مأواه.

الحكاية السادسة والسبعون

في تهذيب النفس وأحوال الصالحين

«حكي» عن إبراهيم بن أدهم ﵁ قال: خرجت حاجًا إلى بيت الله الحرام، فلحقني برد شديد، فأويت إلى كهف في جبل، وإذا بأسد عظيم داخل علي، فلما رآني قال لي: من أدخلك مكاني بغير إذني؟ فقلت: غريب ومنقطع، وقد أتيتك ضيفًا في هذه الليلة، فأعرض ونام بجانبي، وبت أتلوا القرآن إلى الصباح، فلما أردت الانصراف قال لي: يا إبراهيم، إياك والعجب تقول كنت نائمًا عند الأسد فسلمت منه، والله إن لي ثلاثة أيام لم أطعم شيئًا، ولولا أنك ضيفي لأكلتك، فحمدت الله وانصرفت، فلما رجعت من قضاء حجي إلى معبدي كانت نفسي منذ زمان تشتهي علي رمانًا من نحو عشرين سنة وأنا أماطلها، فلما كانت ليلة من الليالي قالت لي: والله إن لم تقض شهوتي لأتكاسلن في العبادة، فقلت: يا نفس اجتهدي، وإذا دخلت العمار قضيت شهوتك، فحانت مني التفاتة نحو البرية وإذا بشجرة فقصدتها، فإذا هي شجرة رمان عليها رمان كثير، فأخذت منها واحدة فوجدتها حامضة، وكذلك ثانية وثالثة ورابعة، والنفس تقول: ما اشتهيت إلا الحلو.

فسرت إلى العمران فوجدت رجلاً في حديقة فسألته رمانة فأعطانيها، فوجدتها حامضة، فأخبرته بذلك فقال لي: يا إبراهيم، تطاوع النفس على ما تريد، والله إن لي أربعين

سنة في هذه الحديقة لا أعرف فيها الحلو من الحامض، فتعجبت من ذلك ثم سرت، وإذا بشاب مبتلى والزنابير[1] تنهش في جسمه، والدود يتناثر من أطرافه، وهو يقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرًا من خلقه، فتعجبت من ذلك وقلت له: يا هذا، وأي بلاء أعظم من هذا؟ فنظر إلي وقال: يا إبراهيم نهش الزنابير في الأبدان خير من شهوة الرمان، لكنه علم أنك عبد معارض فبدل لك الحلو بالحامض، فخررت مغشيًا علي، فلما أفقت قلت له: يا هذا، حيث إنك بهذا المقام فهلا سألته أن يعافيك من هذه الآلام، فقال لي: يا إبراهيم، هو متصرف في العبيد يحكم عليهم بما يشاء، ويفعل بهم ما يريد، فكم عبيد صابرين لبلائه، راضين بقضائه، والله يا إبراهيم لو قطعني إربًا إربًا ما ازددت فيه إلا حبًّا. فتركته متعجبًا من حاله، والله أعلم.

الحكاية السابعة والسبعون

فيما وقع لبعض الأخيار من العجب

«حكي» عن إبراهيم الخواص ﷺ قال: سألني بعض السادة عن أعجب ما صنعت في سياحتي، فقلت: أقمت في سياحتي على شاطئ البحر ما شاء الله من الأيام والأشهر وأنا أصنع القفف، وأرميها في البحر، فتفكرت في يوم إلى أين تذهب، فسرت في مقابلتها على شاطئ النهر مدة، وإذا بعجوز جالسة على النهر تبكي، فقلت لها: ما يبكيك؟ فقالت: لي خمس من البنات مات أبوهن، وأصابتني فاقة، ولم أدر ما أصنع، فخرجت إلى جانب هذا النهر، فوجدت قفقًا فأخذتها، ورجعت فبعتها، واشتريت للبنات قوتًا، فلما فرغ خرجت إلى النهر فوجدت قففًا، فأخذتها وبعتها، واشتريت قوتًا، وصارت هذه عادتي أتقوت أنا وبناتي من ذلك، فلما أتيت في هذا اليوم لم أر شيئًا من القفف وبناتي ينتظرن عودي إليهن، فلما سمعت ذلك بكيت، وقلت: يا رب، لو علمت أن لها خمسًا من العيال لازددت في العمل، ثم قلت لها: لا تغتمي فأنا صانع القفف، ثم سرت معها إلى منزلها.

ثم رجعت إلى البادية متفكرًا في صنع الله تعالى، فنمت تحت شجرة، فجاءني

---

(١) الزُّنْبُورُ بالضَّمِّ: ذُبَابٌ لَسَّاعٌ وهو الدَّبُور. وفي التَّهْذِيب: طائرٌ يَلْسَعُ. قال الجوهريّ: الزُّنْبُور: الدَّبْر وهي تُؤَنَّث كالزُّنْبُورة والزِّنْبَارِ بالكَسْر، وهذِه حَكَاهَا ابن السِّكّيت، وجَمْعُه: الزَّنَابِيرُ. تاج العروس (١/ ٢٨٩٩).

الشيطان وقال لي: قم من هاهنا، فقلت له: اذهب عني ساعة لأستريح، فقال لي: يا خواص، من وراءه أطفال جياع كيف ينام؟ فعلمت أنه ناصح، فطار النوم من عيني، فوثبت على قدمي فقال لي: يا إبراهيم معي حلال وحرام، فالحلال رمان من هذا الجبل مباح، والحرام حوتان أخذتهما من صيادين مررت بهما وقد خان أحدهما صاحبه، فخذ أنت الحلال ودع عنك الحرام، فأخذت الرمان ورجعت إلى العجوز، وصرت أتفقدها صباحًا ومساء، فبينما أنا يومًا في المسجد مع جماعة إذ سمعنا صياحًا منكرًا، فخرجت من المسجد على رأس الزقاق الذي فيه المنكر، وتمهلت قليلاً، وأردت الرجوع فعاودتني نفسي، فدخلت الزقاق، وإذا كلب ينبح علي وقام على وجهي، فرجعت إلى المسجد فتفكرت ساعة ثم عدت إلى المكان، فلما نظر إلي الكلب حرك ذنبه فقربت إلى باب الدار وإذا بشاب حسن الوجه ظريف الشمائل خارجًا منها، فنظر إلي ثم قال: لا تعجب من نباح الكلب عليك، فإنه تأديب لمن يفهم حتى قضيت ما سطر علي ولكن خذ علي العهد ألّا أعود إلى ما كنت عليه، ثم كسر جميع آنيته وتاب وحسنت توبته، وصار لا يستأنس بغير الله، ولا يفتر عن ذكر الله، ولا يقصر في خدمته حتى أتاه اليقين، ولحق برب العالمين بعد أن صار من أولياء الله الطائعين، وأصفيائه المخلصين، رضوان الله عليه وعليهم أجمعين.

الحكاية الثامنة والسبعون

في تحيل الفجار على السادة الأخيار

«حكي» أنه كان في بني إسرائيل عابد انفرد بعبادة الله في دير خرب، وكان يأتيه أمير القرية كل يوم غدوًا وعشيًا، فحسده على ذلك كثير من الناس، فرموه بامرأة جميلة ليس في زمانها أجمل منها، فجاءت إليه ليلاً ونادت بأعلى صوتها: يا من انفرد بعبادة الديان على الإنس والجان، سألتك بالواحد المنان، وموسى بن عمران، ومحمد المبعوث في آخر الزمان إلا ما أنقذتني هذه الليلة من كل شيطان، فالليل أظلم، والقرية بعيدة، وأخاف من طوارق الحدثان، ففتح لها، فلما صارت في صومعته رمت ثوبها بين يديه، ووقفت عريانة تجلو نفسها عليه، فغض بصره عنها وحرس نفسه منها، وقال لها: ألا تستحين ممن يراك، ويعلم سرك ونجواك؟ فقالت له: لا تطل علي المقال، فلا بد أن تتمتع بحسني وجمالي، فقال لها:

ويحك، أتصبرين على سرابيل(١) من قطران، ونار تشتعل بالأبدان، وتذهبين عبادتي فيما مضى من الزمان، أما تخافين من نار لا تطفى، وعذاب لا يفنى؟! فأعادت عليه المراودة، فقال لها: أعرض عليك نارًا صغيرة، فملأ السراج دهنًا وخلط الفتيلة فيه وهي تنظر، فوضع إبهامه فيه فأكلته النار ثم مشت إلى السبابة ولم تزل حتى أكلت كفه وهو يقول: هذه نار الدنيا فكيف نار الآخرة؟! فصاحت المرأة صيحة عظيمة فخرت منها ميتة، فتحير في أمرها، فسترها بثوبها، وقام إلى صلاته.

فصاح إبليس في المدينة ينادي أن فلانًا العابد قد زنى بفلانة ثم قتلها في صومعته، فسمع أمير البلد ذلك فما أسفر الصبح إلا وهو عنده، فناداه، فأجابه، فقال: أين فلانة؟ فقال: ها هي عندي، فقال له: قل لها تنزل إلينا، فقال له: إنها ميتة، فظن الأمير صدق ما سمع، فقال: أيها الزاهد، نقضت ما كنت عليه من العبادة، وما خفت من عالم الغيب والشهادة، كيف تجرأت عليه بقتل أمته، وما خفت من هذا الأمر وعاقبته، فبهت العابد من هيبة الخطاب، ولم يدر بماذا يرد الجواب، فأمر الأمير بهدم صومعته وأن تجعل سلسلة في رقبته، وأن يجروه إلى موضع العذاب، والمرأة معهم على ألواح الأخشاب، وأمر بنشره بالمنشار على عادة الزناة في تلك الأقطار، وألّا أحد يشفع فيه، ولا يمنعه ولا يحميه، فلما وضع المنشار على رأسه تأوه من النار، ونادى بلسانه وقلبه: يا عالم الأسرار، فإذا هو يسمع نداء أن أقلل من دعائي فقد بكى عليك أهل سمائي، وإني إليك ناظر في جميع الحالات، وإن تأوهت ثانيًا اهتزت السماوات، فرد الله روح المرأة عليها وقامت حية، والناس ينظرون إليها، فنادت: والله إنه مظلوم، وما زنى بي، وإني الآن بكر، وحق الحي القيوم، ثم قصت عليهم ما فعله بيده، فأخرجوا يده فرأوها كما ذكرت، فندم الأمير على ما فعل بالعابد، وقال: إن هذه من أعظم المكائد، ثم شهق العابد شهقة فمات، فدفنوه مع المرأة بعد عودها إلى الممات، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وسبحان العالم الأزلي القديم.

---

(١) السِّرْبالُ بالكسرِ: القَمِيصُ أو الدِرْعُ أوكُلُّ ما لُبِسَ، فهو سِرْبَالٌ، والجَمْعُ: سَرابِيلُ. قال اللهُ تَعالى: ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ [النحل:٨١] هي: الدُّرُوعُ. تاج العروس (١/ ٧١٧٢).

الحكاية التاسعة والسبعون

في الإيثار(١) على الناس ابتغاء مرضاة الله تعالى

«حكي» أن رجلاً فقيرًا مكث هو وزوجته وأولاده ثلاثة أيام لم يطعموا طعامًا، فقالت له امرأته: يا هذا، أما ترى هؤلاء الأولاد قد اصفرت منهم الوجوه، وذابت الأكباد، وليس لهم صبر ولا قوة مثلنا، فقال لها: والله لقد طفت على من يستأجرني بدانقين لأقوتهم بهما فلم أجد أحدًا، وإن النار في كبدي لأجلهم، فقالت له: خذ قناعي هذا فبعه بما يكون واشتر بثمنه لهم ما يأكلون، فأخذ القناع فباعه بدرهمين على التمام، وسار لشراء الطعام، فسمع في طريقه رجلاً يقول: أكرموني لوجه الله، ولمحبة رسول الله ﷺ، يا من يقرض الله الغني، فوالله ما معي من الدنيا شيء، فقال له: خذ هذين الدرهمين لوجه الله، ومحبة في رسول الله، ثم استحى من زوجته أن يعود إليها بلا طعام خشية أن تؤذيه بفظيع الكلام، فمضى إلى المسجد للصلاة متفكرًا فيما فعله، فلما أقبل الليل مضى إلى زوجته وأولاده وقد فات زمن ميعاده، فقالت له امرأته: ما فعلت بالقناع وقد تركت أولادنا وهم جياع، فأخبرها بما جرى له من أعماله، وعن السائل وإجابة سؤاله، فقالت له: إن كنت عاملته فهو غنى علي وفى، ونعم ما فعلت مع الملك العلي، ثم قالت له: خذ هذا العدل تمامًا فبعه، واشتر لنا طعامًا.

فطاف به فلم يشتره أحد، فحصل له بذلك غاية النكد، فأراد العود به إليها، وإذا بصياد معه سمكة عظيمة يدلل عليها، فقال له: يا أخي، خذ هذا الذي كسد إليك، وأعطني هذه التي كسدت عليك، فقبل الصياد منه ما قال، ودفع له السمكة في الحال. فأتى زوجته بها، فلما رأتها ظهر في وجهها أثر البهاء، فبادرت لشقِّ جوفها فرأت فيه ذخيرة لم تعرفها، فأخذها زوجها وذهب بها إلى التجار، فلما رأوها قالوا: هذه ليست من الأحجار، وإنما هي جوهرة يتيمة لا تعادل بمال، ولا تقوم بقيمة، وتغالوا فيها بالقيم، فبلغ أربعة عشر ألف درهم، فباعها بذاك المقدار، ودخل به على زوجته بتلك الدار، ففرحوا بذلك كل الفرح، وزال عنهم الهم والترح، وإذا بسائل على الباب يقول: يا أهل الله، أعطوني مما أعطاكم الله، فخرج إليه عاجلاً وقال له: كلنا لنا النصف، ولك وحدك النصف

---

(١) الإيثار: أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه. التعريفات (١/ ١٢).

كاملاً، فإن كان ذلك يرضيك وإلا فنحن نزيدك ونعطيك، فقال: قد رضيت.

وذهب ليأتي بجمل ليحمل عليه، فلم يعد فصار ينتظر عوده إليه، فنام الرجل فرآه في النوم، فسأله عن ذلك فقال له: يا هذا ما أنا بسائل، أنا ملك أرسلني الله إليك ليعلم صبرك فيما آتاك، وأبشرك بأن الله قد قبل منك الدرهمين، وأعطاك بدلهما هذه الدراهم، وأعد لك في الآخرة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؛ لأنك عاملته مخلصًا لوجهه الكريم، وهو لا يخيب من عامله، وقد قال في بعض كتبه المنزلة على أنبيائه المرسلة: لو لم أسلط ثلاثًا على ثلاث لم ينتظم أمر الدنيا، فسلطت الصبر على قلب المصاب ولولاه لمات جزعًا، وسلطت الرائحة على الميت ولولاها ما دفن ميت أبدًا، وسلطت السوس على البر ولولاه لكنزه الملوك كالذهب والفضة. فأنا الفعَّال لما أريد، وأنا الملك الكريم المجيد، والله أعلم.

الحكاية الثمانون

في العفة عن النظر إلى مُحرم

«حكي» عن بعضهم أن لقي امرأة فوقع نظره عليها، فتألم من ذلك وقال: اللهم إنك جعلت بصري نعمة منك علي، وإني أخاف أن يكون نقمة علي، فأقبضه إليك، فعمي لوقته، فكان إذا ذهب إلى المسجد يقوده ابن أخ له صغير، فإذا أوصله إلى المسجد ذهب يلعب مع الصبيان ويتركه، وإذا حضرت له حاجة ناداه فيقضيها له متكرهًا، ثم يعود إلى اللعب، فبينما هو ذات يوم في المسجد قد أحس بشيء يدور حوله، فخاف منه، فدعا الصبي فلم يجبه، فرفع طرفه إلى السماء وقال: اللهم سيدي ومولاي، قد كنت أعطيتني بصرًا أنظر به نعمة منك علي، فخشيت أن يكون نقمة علي، فسألتك أن تقبضه فقبضته، وإني قد احتجت إليه، فأسألك اللهم أن ترده علي، فرده عليه، فأبصر لوقته وذهب إلى منزله بصيرًا، والله على كل شيء قدير.

الحكاية الحادية والثمانون

في البغي[1] وعاقبته

«حكي» أنه كان في بني إسرائيل رجل عقيم لا يولد له، وكان كلما خرج ورأى ولدًا خدعه، ودخل به إلى بيته وقتله، وألقاه في مطمورة[2] عنده، وكانت له امرأة تنهاه عن ذلك، فيأبى ويقول: لو أن الله يؤاخذني على شيء لكان آخذني في يوم فعلت كذا وكذا، فتقول له: إن الله ليس بتارك ذلك لك، وإن صاعك الآن لم يمتلئ، ولو امتلأ صاعك لآخذك، فخرج يومًا فرأى غلامين أخوين عليهما الحلي والحلل، فخدعهما وذهب بهما إلى بيته وقتلهما، وألقاهما في مطمورته، فخرج أبوهما في طلبهما فلم يجدهما، فذهب إلى نبي من بني إسرائيل وذكر له ذلك كله، فقال له النبي: هل كان لهما لعبة يلعبان بها، قال: نعم، إن لهما جروًا صغيرًا يلعبان به، قال: فأتني به، فأتاه به، فوضع النبي خاتمه بين عينيه وأرسله، وقال للرجل: اذهب خلفه وانظر في أي دار دخلها من دور بني إسرائيل ففيها البيان، فأقبل الجرو يتخلل الدور حتى دخل دارًا فدخلوا خلفه فوصل إلى محل في الدار وحرك ذنبه، وحفر برجليه، فحفروا ذلك المحل، فوجدوا الغلامين مقتولين مع غلمان كثيرة، فأعلموا ذلك النبي بهذا الأمر، وأتوا بالرجل إليه، فأمر به أن يصلب، فلما صلب جاءت امرأته إليه وقالت له: ألم أحذرك من هذا، وأقل لك أن الله ليس بتاركك؟ وإن صاعك الآن قد امتلأ، والله على كل شيء قدير.

---

(١) البَغي: التَّعَدّي، وبَغَى عليه: استطال، وبابه: رَمَى، وكلُّ مجاوزة وإفراط على المقدار الذي هو حَدّ الشيء، فهو بَغْيٌ. مختار الصحاح (١/ ٣١).

(٢) المَطْمُورَة هي: الحَفِيرَةُ تَحْتَ الأَرْضِ يُوسَّع أَسافِلُهَا تُخْبَأُ فيها الحُبُوب، والجمعُ: المَطَامِيرُ. تاج العروس (١/ ٣١١٠).

الحكاية الثانية والثمانون

في بعض معجزاته ﷺ وإنصافه

«حكي» أن جابر بن عبد الله ﷺ قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، وكان لي جمل أركب عليه فأعيي، فجئت به إلى النبي ﷺ فدعا له، وقال لي: اركب، فركبته فصار أمام القوم، ثم قال لي النبي ﷺ: كيف ترى بعيرك؟ فقلت: أصابته بركتك يا رسول الله، فقال: أتبيعنيه؟ فاستحيت ولم يكن لي ناضح غيره، فقلت: نعم، فما زال يزيدني ويقول: والله يغفر لك حتى بلغ أوقية من الذهب، وقال لي: ولك ركوبه حتى تبلغ المدينة، فلما بلغنا هناك قال ﷺ لبلال: أعطه الثمن وزده ثم رد عليه جمله، قال السهيلي: والحكمة في شرائه وزيادته ورده الإشارة إلى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة:١١١]، وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، ولقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ....﴾ [آل عمران:١٦٩] وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

الحكاية الثالثة والثمانون

في معجزة سيدنا عيسى ﵇ وخيانة النساء

«حكي» أنه كان لرجل من بني إسرائيل زوجة من أجمل نساء زمانها، وهو مغرم بها، فماتت، فلازم قبرها زمانًا طويلاً، فمرَّ عليه سيدنا عيسى ﵇ فرآه يبكي، فقال له: ما يبكيك؟ فقصَّ عليه خبره، فقال: أتحب أن أحييها لك؟ قال: نعم، فدعا عيسى ﵇ صاحب القبر، فخرج له عبد أسود، والنار تخرج من مناخيره وعينيه ومنافذه، فقال: لا إله إلا الله عيسى روح الله، فقال الرجل: يا نبي الله، ليس هذا القبر بل هو هذا، وأشار إلى قبر آخر، فقال عيسى للأسود: ارجع مكانك، فسقط ميتًا، فواراه التراب، ثم التفت إلى القبر الآخر، وقال: قم يا صاحب هذا القبر بإذن الله، فانشق القبر، وخرجت منه امرأة تنفض التراب عن رأسها، فقال الرجل: هذه زوجتي يا روح الله، فقال: خذها، فأخذها وانصرف، فأدركه النوم في الوقت، فقال لها: إني قد قتلني السهر على قبرك، وأريد أن آخذ لي راحة، فقالت له: افعل، فوضع رأسه على فخذها ونام.

فبينما هو كذلك إذ مرَّ بها ابن ملك من أجمل أهل زمانه ذاتًا وهيئة على جواد حسن،

فلما رأته تعلق قلبها به، فألقت رأس زوجها على الأرض وقامت إليه، فلما رآها تعلق بها، فقالت له: خذني، فأردفها خلفه وسار، واستيقظ زوجها فلم يجدها، فاقتفى أثرها فأدركها، فقال: يا ابن الملك، هذه زوجتي فخل عنها، فأنكرته، وقالت له: أنا جارية ابن الملك، فقال ابن الملك: أتريد أن تغير علي جاريتي، فقال له الرجل: والله إنها زوجتي، وإن سيدنا عيسى عليه السلام أحياها لي بعد موتها، فبينما هم كذلك وإذا عيسى عليه السلام بإزائهم، فقال له: يا روح الله، أما هذه زوجتي التي أحييتها لي؟ قال: نعم، فقالت: يا روح الله، إنه كذاب، وأنا جارية ابن الملك، فقال لها: أما أنت التي أحييتك بإذن الله، فقالت: لا والله يا روح الله، فقال لها: ردي علينا ما أعطيناك، فسقطت ميتة، فقال عيسى عليه السلام: من أراد أن ينظر إلى شخص مات كافرًا فأحيي فآمن ومات مؤمنًا فلينظر إلى ذلك الأسود، ومن أراد أن ينظر إلى شخص مات مؤمنًا فأحياه الله فكفر ومات كافرًا، فلينظر إلى هذه المرأة، فأقسم الرجل أنه لا يتزوج بعد ذلك أبدًا، وخرج إلى البراري يعبد الله فيها حتى مات، رحمه الله تعالى.

الحكاية الرابعة والثمانون

في إظهار الحق على من سبقت عليه الشقاوة

«حكي» أنه اجتمع رجل كردي مع أمير على سماط[1] فيه حجلتان[2] مشويتان، فأخذ الكردي واحدة وضحك، فسأله الأمير عن حكمة ضحكه، فقال: قطعت الطريق مرة على تاجر، فلما أردت قتله تضرع إلي فلم أقبل، فلما رأى مني الجد التفت فرأى حجلتين على جبل، فقال لهما: اشهدا لي عليه أنه قاتلي ظلمًا، ثم قتلته، فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه في استشهادهما علي، فضحكت، فلما سمع الأمير ذلك قال: والله قد شهدا عليك عند من يأخذ قود الرجل، فأمر بأن يضرب عنقه قودًا، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) السِّمَاطُ وِزَانُ كِتَابٍ: الجَانِبُ. قَالَ الجَوْهَرِيُّ: السِّمَاطَانِ مِنَ النَّاسِ وَالنَّخْلِ: الجَانِبَانِ، وَيُقَالُ: مَشَى بَيْنَ السِّمَاطَيْنِ. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٤/ ٣٢١).

(٢) الحَجَلُ: طَيْرٌ مَعْرُوفٌ، الْوَاحِدَةُ: حَجَلَةٌ وِزَانُ قَصَبٍ وَقَصَبَةٍ، وَجُمِعَتْ الْوَاحِدَةُ أَيْضًا عَلَى: حِجْلَى. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٢٩٤).

الحكاية الخامسة والثمانون

مثل يضرب للعاقل

«حكي» أنه اصطحب أسد وذئب وثعلب فخرجوا للصياد، فاصطادوا حمارًا وظبيًا وأرنبًا، فقال الأسد للذئب: أقسم بيننا، فقال: هذا أمر ظاهر، الحمار لك، والأرنب للثعلب، والظبي لي، فضربه الأسد بكفه فلطم رأسه، ثم قال للثعلب: أقسم أنت بيننا، فقال: الأمر واضح الحمار لغداء الملك، والأرنب لعشائه، والظبي لما بين ذلك، فقال الأسد: قاتلك الله من عرفك هذه القسمة، فقال: ما رأيت من تلك اللطمة! ثم ولى هاربًا.

الحكاية السادسة والثمانون

ضرب مثل في حُسن التحيل

«حكي» أن الأسد مرض فعاده جميع الحيوان إلا الثعلب، فغضب عليه، فنم عليه الذئب، ثم حضر الثعلب عند الأسد فقال له: ما غيابك عنا؟ فقال: كنت في طلب ما يداويك، فقال له: فماذا رأيت؟ فقال له: جوزة في ساق ذئب، فضرب الأسد مخلبه في ساق الذئب فانسل الثعلب، ثم مر الذئب على الثعلب ودمه يسيل، فقال له الثعلب: يا صاحب الخف الأحمر، إذا جلست عند الملوك فانظر ما يخرج من رأسك[1].

الحكاية السابعة والثمانون

في ضرب المثل كما مرَّ

«حكي» في الأمثال أنه يقال: شريح أحيل من الثعلب، وسبب ذلك ما قيل أن شريحًا كان يذهب إلى الفلاة لعبادة الله تعالى، فإذا شرع في الصلاة جاء الثعلب بين يديه يشغله عن صلاته، فلما طال عليه ذلك جعل أثوابه على أعواد كصورة الشخص الواقف، فجاء الثعلب ليشغله على عادته، فجاءه شريح من خلفه وأخذه بغتة وقتله فصار مثلاً.

---

(١) انظر: الأذكياء (١/ ١١٤)، والبصائر والذخائر (٢/ ٤)، ومحاضرات الأدباء (٢/ ١٣٨)، وملامح يونانية في الأدب العربي (١/ ١٩٢).

الحكاية الثامنة والثمانون

في التسليم إلى الله تعالى في كل حال وما يترتب عليه

«حكي» أنه كان رجل بالبادية وله ديك يوقظه إلى الصلاة، وكلب يحرسه من اللصوص، وحمار يحمل عليه ماءه وخباءه، فجاء الرجل إلى بعض الأحياء القريبة منه للتحدث معهم، فجاءه خبر وهو في ناديهم أن الثعلب أكل الديك، فقال: يكون خيرًا إن شاء الله تعالى، فجاءه خبر أن الكلب قد مات، فقال: يكون خيرًا إن شاء الله تعالى، فجاءه خبر أن الذئب بقر بطن حماره، فقال: عسى أن يكون خيرًا إن شاء الله تعالى، فلما دخل الليل مضى إلى رحله، فلما أصبح وجد الأحياء المذكورة قد سباهم العدو، ونهبهم بصياح الديكة، ونباح الكلاب، ونهيق الحمير، وأصبح رحله سالمًا، فكانت الخيرة في هلاك المذكورين عنده.

الحكاية التاسعة والثمانون

في كيد النساء ومكرهن

«حكي» أن رجلاً من عباد بني إسرائيل وزهادهم كانت له زوجة بديعة في الحسن والجمال، وهو مغرم فيها، ومفتن بها، وكان يغلق عليها الباب إذا خرج وإذا دخل؛ حرصًا عليها، فهويت شابًا فعمل له مفتاحًا على باب دارها، فصار يدخل عليها ويخرج عنها في أي وقت شاء وزوجها لا يعلم ذلك، فأوجس في نفسه ذلك فقال لها: إن حالك قد تغير علي، ولم أدر ما سبب ذلك، وأريد أن تحلفي لي على الجبل، وكان ذلك الجبل خارج المدينة ولم يحلف عليه أحد إلا هلك إذا كان كاذبًا، فقالت له: ويطيب خاطرك إذا حلفت لك، قال: نعم، فقالت له: متى أردت حلفت لك؟ فقال لها: في غد إن شاء الله تعالى، فلما خرج من عندها جاء الشاب، فقالت له: إن زوجي قال كذا وكذا، وإني وعدته أن أحلف له على الجبل غدًا، فتحير الشاب وبهت، فقالت له: لا تهتم.

وفي غد ألبس لباس المكارية[1] وخذ حمارًا وقف به على باب المدينة فإني أدعو زوجي إلى طلب مكاري، فإذا دعوتك لأكتري منك الحمار فبادر واحملني عليه؛ لأفعل ما أصدق

---

(١) الْكِرَاءُ: الْأُجْرَةُ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرُ كَارَى، وَمِنْهُ: الْمُكَارِي بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ، وَهَؤُلَاءِ الْمُكَارُونَ وَرَأَيْتُ الْمُكَارِينَ، وَلَا تَقُلْ: الْمُكَارِيِّينَ بِالتَّشْدِيدِ فَإِنَّهُ غَلَطٌ. المغرب (٤/ ٤٠٥).

به في حلفي، فقال لها: حبًا وكرامة، فخرج الشاب وفعل ما أمرته به، فلما دعاها زوجها للحلف قالت له: إني لا أطيق المشي إلى الجبل فانظر لي ما أركبه، فقال لها: اخرجي بنا فلعلي أجد حمارًا أكتريه لك، فخرج إلى باب المدينة وإذا الشاب واقف بالحمار، فقالت له: يا مكاري، تكري حمارك بنصف درهم إلى الجبل لتحملني عليه، فقال: نعم، فحملها عليه وساروا، فلما وصلوا إلى الجبل قالت للمكاري: أنزلني، فلما أراد أن ينزلها ألقت نفسها على الأرض وكانت بغير لباس فانكشفت عورتها، فشتمت الشاب، فقال: والله، ما لي ذنب، ثم قامت ومدت يدها إلى الجبل وحلفت أنه لم يطلع على عورتها غيرك وغير هذا الشاب المكاري، فاضطرب الجبل عند ذلك اضطرابًا شديدًا وتزحزح عن مكانه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦].

الحكاية التسعون

في تنوير البصيرة

«حكي» عن بعضهم أنه قال: اشترينا خروفًا مشويًا من جار لنا لنأكله، فقدم علينا بعض الفقراء فدعوناه للأكل معنا، فأخذ لقمة ووضعها في فمه ثم لفظها واعتزل عنا، وقال: قد عرض لي عارض منعني من الأكل، فقلنا له: لا نأكل إلا إن أكلت معنا، فقال: أما أنا ففقير لا آكل، وأما أنتم فبمرادكم، ثم انصرف فكرهنا الأكل لأجله، وقلنا: لو دعونا من شواه وسألناه عن أصله فلعله يذكر لنا سببًا مكروهًا، فدعوناه وسألناه، ولم نزل به حتى قال: إنه ميتة، وأن نفسه حرصت على بيعه؛ لأجل ثمنه، فأطعمناه للكلاب ثم رأينا الفقير بعد ذلك فسألناه عن سبب امتناعه من الأكل وعن العارض الذي عرض له، فقال: والله لي منذ سنين ما شرهت نفسي على أكل، فلما قدمتم إلي هذا الشواء شرهت نفسي للأكل شرهًا قويًا، فعلمت أن له علة، فتركت أكله، فانظر يا أخي حماية الله لعبيده.

الحكاية الحادية والتسعون

في اصطناع المعروف مع غير أهله ومسالمة العدو

«حكي» أن رجلاً من أهل الدين والصلاح خرج يومًا يتصيد وإذا حية في غاية الوجل، فقالت له: أجرني يا هذا ـ أجارك الله ـ من عدو خلفي يريد قتلي، فأراد أن يسترها بردائه، فقالت له: يراني عدوي، فقال لها: فماذا أصنع؟ فقالت: إن أردت اصطناع المعروف فافتح لي فمك؛ لأدخل في جوفك، فقال لها: أخشى منك، فعاهدته أنها لا تؤذيه، وأخبرته أنها من أمة محمد ﷺ، ففتح فاه فانسابت في جوفه، فمرَّ به رجل معه صمصامة، فسأل عنها، فقال: لم أرها، ثم استغفر الله من قوله: «لم أرها» مائة مرة، فأخرجت رأسها تنظر إلى عدوها، فأخبرها أنه مضى ودعاها للخروج، فقالت: الآن يا هذا اختر لنفسك إحدى موتتين: إما أفتت كبدك، وإما أثقب فؤادك، فقال لها: سبحان الله، أين العهد الذي بيننا؟ فقالت: ما رأيت أحمق منك! أنسيت عداوتي لأبيك آدم، وإني أخرجته من الجنة، وما حملك على اصطناع المعروف مع غير أهله، فقال لها: إن كان ولابد من قتلي فدعيني حتى أصنع لنفسي موضعًا عند هذا الجبل، فقالت: شأنك وما تريد.

فرفع طرفه إلى السماء وقال: يا لطيف ألطف بي بلطفك الخفي يا لطيف، يا قدير أسألك بالقدرة التي استويت بها على العرش فلم يعلم العرش أين مستقرك، يا حكيم، يا عليم، يا علي، يا عظيم، يا حي، يا قيوم، يا الله، ألا ما كفيتني هذا الحية، ثم مشى إلى جهة الجبل، قال: فعارضني شيخ صبيح الوجه، طيب الرائحة، نقي الثياب، وأعطاني ورقة خضراء وقال لي: كل هذه الورقة، فأكلتها، فنزلت الحية قطعًا قطعًا، وسكن جزعي، فقلت له: من أنت أيها الرجل الذي منَّ الله بك علي؟ فقال لي: إنك لما دعوت الله تعالى بهذا الدعاء ضجت ملائكة السماوات السبع إلى الله ﷻ، فقال الله تعالى: وعزتي وجلالي رأيت كل ما فعلت الحية بعبدي، وأمرني أن أذهب إلى الجنة وآخذ ورقة من شجرة طوبى وألحقك بها، وأنا يقال لي: المعروف، ومقري في السماوات، وعليك باصطناع المعروف فإنه يقي مصارع السوء، وإن ضيعه المصطنع إليه لم يضع عند الله تعالى، والله أعلم.

الحكاية الثانية والتسعون

فيما وقع في زمن سيدنا موسى عليه السلام

«حكي» أن رجلاً كان يحدث الناس في زمن موسى عليه السلام فكان يقول: حدثني موسى كليم الله، حدثني نجي الله، حدثني صفي الله، فمضى على ذلك الرجل زمان طويل وموسى لا يراه، ثم جاء رجل إلى موسى ومعه خنزير في حبل أسود وقال لموسى:يا نبي الله، هل تعرف فلانا؟فقال:أسمع به، فقال: هو هذا الخنزير، فدعا موسى ربه عز وجل أن يعيده إلى حاله ليسأله لماذا فعل به ذلك؟ فقال له الله تعالى: يا موسى، لو دعوتني بها دعا به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه، ولكن أنا أخبرك لماذا صنعت به ذلك؛ لأنه كان يأكل الدنيا بالدين، والله أعلم.

الحكاية الثالثة والتسعون

فيمن يعترض على خلق الله تعالى

«حكي» أن رجلاً رأى خنفساء فقال: هذه خلق مشوه، لا خلقها حسن، ولا ريحها طيب، فماذا يريد الله بخلقها؟ فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز عنها الأطباء حتى أيس من برئها، فسمع يوما صوت طرقي ينادي في الزقاق، فقال: علي به حتى ينظر في أمري، فقالوا له: ما تصنع بطرقي وقد عجز عنك حذَّاق الأطباء، فقال: لا بد من حضوره عندي فأحضروه، فلما رأى القرحة استدعى بأن يأتوه بخنفساء، فضحك الحاضرون، فتذكر العليل ما كان سبق منه عند رؤية الخنفساء، فقال لهم: أحضروا له ما طلب، فإن الرجل على بصيرة من أمره، فأحضروها له فأحرقها، وذرَّ من رمادها على القرحة، فبرأت بإذن الله تعالى، فقال العليل للحاضرين: اعلموا أن الله تعالى أراد أن يعرفني أن في آخس مخلوقاته أعز الأدوية، وهو الحكيم الخبير.

الحكاية الرابعة والتسعون

في التوكل على الله تعالى في الرزق

«حكي» أن الأشعريين وهم: أبو موسى، وأبو مالك، وأبو عامر، هاجروا في نفر منهم إلى رسول الله ﷺ فاضمحلوا من الزاد، فأرسلوا قاصدا منهم إلى النبي ﷺ ليسأله عن زاد لهم، فلما وصل إليه سمعه يقرأ: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦] فقال: ليس الأشعريون إلا باغين على الله، ورجع ولم يدخل على النبي ﷺ، وقال: أبشروا فقد جاءكم الغوث، فظنوا أنه قد أعلم النبي ﷺ، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجلان ومعهما قصعة مملوءة خبزًا ولحمًا، فأكلوا ما شاءوا، ثم قال بعضهم لبعض: ردوا بقية هذا الطعام على رسول الله ﷺ، ثم دخلوا على النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله ما رأينا طعامًا أحسن ولا أطيب من الطعام الذي أرسلته إلينا، فقال: ما أرسلت لكم شيئًا، فأخبروه أنهم أرسلوا قاصدًا منهم إليه ليسأله في طعام، فسأله النبي ﷺ عمّا صنع، فقال: هو رزق ساقه الله تعالى إليهم حتى أكلوا وشبعوا.

الحكاية الخامسة والتسعون

فيما وقع لجُحا(١) والتصرف في اسمه

(١) جحا الكوفي الفزاري، أبو الغصن صاحب النوادر. (١٣٠ هـ) يضرب به المثل في الحمق والغفلة. كانت أمه خادمة لأم أنس بن مالك، ويقال: كان في الكوفة إبان ثورة أبي مسلم الخراساني، وأدخله عليه مولاه يقطين فقال: يايقطين أيكما أبو مسلم؟ وعلى هامش مخطوطتي من (المستقصى) للزمخشري، وفيه يقول عمر بن أبي ربيعة: دلهت عقلي،وتلعبت بي حتى كأني من جنوني جحا، فإن صحت نسبة البيت إلى ابن أبي ربيعة دلت على اشتهار جحا قبل أيام أبي مسلم بأكثر من أربعين سنة، وسماه الجوهري في الصحاح «جحا» فتعقبه صاحب «القاموس» بأن جحا لقبه وأن اسمه: دجين بن ثابت، وأورد ابن حجر في «لسان الميزان» ترجمة لمحدث من أهل البصرة اسمه: دجين بن ثابت اليربوعي، وكنيته أبو الغصن، ونفى رواية من قال: إنه هو جحا.
وقال شارل بلا: إن الجاحظ كان أول مؤلف عربي ذكر جحا في مؤلفاته، ذكره في رسالة عن علي والحكمين، وذكره في كتاب البغال. وفي فهرست ابن النديم: من الكتب المصنفة في أخبار المغفلين «نوادر جحا» وهذا حتمًا غير كتاب «نوادر جحا» المطبوع بمصر وبيروت المترجم عن التركية، المنسوبة أخباره إلى جحا الرومي المعروف بخوجه نصر الدين، وقد دخلت فيه حكايات من نوادر جحا. الأعلام للزركلي (٢/ ١١٢).

«حكي» عن حمزة الميداني أنه قال: إن جحا كان رجلاً أحمق، ومن حمقه أنه كان يحفر في صحراء، فمر به رجل فقال له: لماذا تحفر؟ فقال: دفنت دراهم ولم أهتد إلى مكانها، فقال: أكنت علمت عليها علامة؟ فقال: قد فعلت، فقال له: ما العلامة التي علمت بها؟ فقال: سحابة كانت تظلني وقت دفنها، فضحك وذهب وتركه.

ومن حمقه: إنه خرج من دهليز(١) داره بفاس فعثر بقتيل فيه، فألقاه في بئر هناك، فعلم أبوه به فأخرجه ودفنه، ثم خنق كبشًا وألقاه في البئر، ثم إن أهل القتيل خرجوا يطوفون في سكك الكوفة يبحثون هناك، فرآهم جحا فقال: القتيل في بئر دارنا، فجاءوا إلى داره وأنزلوه في البئر ليخرجه لهم، فلما نزل ناداهم: يا أهل القتيل، هل لقتيلكم قرون؟ فضحكوا منه وذهبوا.

ومن حمقه: إن أبا مسلم الخولاني أرسل رجلاً اسمه: يقطين يدعو جحا ليحضر إليه، فجاء، فلما دخل لم يلق في المجلس غير أبي مسلم ويقطين، فقال: يا يقطين، أيكما أبو مسلم الخولاني؟

«واعلم» أن «جحا» اسم لا ينصرف، معدول عن: «جاح»، مثل: «عمر وعامر»، يقال: جحا، يجحو، جحوا، والله أعلم.

الحكاية السادسة والتسعون

ضرب مثل لمن يتأمل

«حكي» أن إنسانًا هرب من أسد فوقع في بئر، ووقع الأسد عليه، فرأى الأسد في البئر دبًا، فقال له الأسد: كم لك هاهنا؟ فقال له: منذ أيام وقد قتلني الجوع، فقال: دعنا نأكل كل هذا الإنسان، فنكفى الجوع، فقال له: وإذا عاودنا الجوع مرة أخرى فماذا نصنع؟ ولكن الأولى إنما نحلف له ألّا نؤذيه فيحتال في خلاصنا؛ لأنه أقدر منا على الحيلة، فحلفا له، فاحتال حتى خلص وخلصهما، فكان نظر الدب أكمل من نظر الأسد.

---

(١) الدِّهْلِيز: الدِّلّيج فارسي معرب، والدِّهْلِيز بالكسر: ما بين الباب والدار فارسي معرب، والجمع: الدَّهالِيز. لسان العرب (٥/ ٣٤٩).

الحكاية السابعة والتسعون

في حُسن التحيل

«حكي» أن إنسانًا هرب من أسد فالتجأ إلى شجرة فصعد عليها، وإذا فوقها دب يلتقط ثمرها، فجاء الأسد تحت الشجرة ثم افترش ينتظر نزول الإنسان، فالتفت الرجل إلى الدب فإذا هو يشير إليه بإصبعه على فمه أن اسكت؛ لئلا يشعر الأسد أني هاهنا، فتحير الرجل وكان معه سكين لطيف، فأخذ يقطع الغصن الذي عليه الدب حتى أنهاه فوقع الدب على الأرض، فوثب عليه الأسد فتصارعا، فافترس الأسد الدب، وكرّ راجعًا، ونجا الرجل بإذن الله تعالى[1].

الحكاية الثامنة والتسعون

في التكبر مع النعم وما يترتب عليه

«حكي» أنه كان رجل يأكل وبين يديه دجاجة مشوية، فوقف عليه سائل فرده خائبًا، وكان ذا ثروة ومال كثير، فوقع بينه وبين زوجته فرقة وتزوجت بغيره، فبينما الزوج الثاني يأكل وبين يديه دجاجة مشوية وإذا سائل واقف، فقال لزوجته: ناوليه الدجاجة، فدفعتها إليه، وتأملته، فإذا هو زوجها الأول، فذكرت ذلك لزوجها الثاني، فقال لها: والله، أنا كنت ذلك المسكين قد خولني الله نعمه وأهله؛ لقلة شكره لله تعالى.

الحكاية التاسعة والتسعون

في الكرم والبخل، وأن كل شيء يرجع لأصله

«حكي» أن أعرابيًا قال: خرجت في سفر فآواني الليل إلى خيمة، فنظرت صاحبة الخباء إلي فقالت: من الرجل؟ فقلت: ضيف، فقالت: وما يصنع الضيف عندنا؟ إن الصحراء لواسعة، فطحنت برًا وعجنته وخبزته، وجلست تأكل، فبينما هي كذلك إذ جاء زوجها ومعه لبن، فقال: من الرجل؟ فقالت: ضيف، فقال: مرحبًا وأهلاً وسهلاً، فسقاني من اللبن، وقال: لعلك لم تأكل شيئًا، فقلت: لا والله، فدخل لزوجته مغضبًا فقال: ويلك

---

(١) انظر: حياة الحيوان الكبرى (١/ ٣٣١).

قد أكلت ولم تطعمي الضيف، فقالت: وما أصنع به، والله أطعمه من طعامي، فطال بينهما الكلام فضربها فشجَّ رأسها ثم خرج إلى ناقتي فذبحها، وأوقد نارًا وشوى منها، وأكل وأطعمني، وقال: والله لا يبيت ضيفي عندي جائعًا، ثم مضى عني وتركني ثم عاد بعد ذلك ومعه ناقة يستحي الناظر إليها أن يسومها لحسنها، وقال لي: خذ هذه في ناقتك، وزودني خبزًا، ومن اللحم الباقي.

فمضيت عنه فآواني الليل إلى خيمة أعرابي، فنظرت صاحبة الخباء إلي وقالت: من الرجل؟ فقلت: ضيف، فقالت: مرحبًا، وأهلاً وسهلاً، وعمدت إلى بر فطحنت، وعجنت، وخبزت، وروته لبنًا وزبدًا، وقدمته بين يدي، ومعه دجاجة مشوية، وقالت لي: كل واعذر علي ما وجد عندنا، فبينما أنا آكل وإذا زوجها حضر فقال: من الرجل؟ فقلت: ضيف، فقال: وما يصنع الضيف عندنا؟ ثم دخل إلى أهله فقال: أين طعامي؟ فقالت: قدمته للضيف، ومن أمرك بإطعام طعامي للضيف، وطال بينهما الكلام فضربها فشج رأسها، فجعلت أضحك، فخرج إلي وقال: ما يضحكك؟ فقصصت عليه قصتي بالأمس، فقال: يا هذا، تلك المرأة أختي، وذلك الرجل أخو زوجتي هذه، فزاد تعجبي من ذلك.

الحكاية المائة

في مناقب بعض الصالحين

«حكي» أن شيبان الجمال الراعي ألقوه بين يدي سبع ليأكله، فجعل السبع يشمه وينظر إليه، فقيل له: ماذا قلت حين ألقيت بين يديه؟ فقال: تفكرت في قول الفقهاء في سؤر السبع.

وقيل: إنه حجَّ مع سفيان الثوري فعرض لهما سبع، ففزع منه سفيان، فأخذ شيبان بأذن السبع وعركها، فخضع له السبع وحرك ذنبه، وقال: والله، لولا خوف الشهرة لوضعت ردائي عليه حتى أصل إلى مكة المشرفة.

وقيل: مرَّ عليه الإمام الشافعي وأحمد وهو يرعى غنمه، فقال أحمد: لأسألن هذا الراعي لأرى جوابه، فقال له الشافعي: لا تتعرض له، فقال: لا بد من ذلك، فدنا منه، فقال له: يا شيبان، ما تقول فيمن صلى أربع ركعات فسها في أربع سجدات ماذا يلزمه؟ فقال: تسألني عن مذهبنا أم عن مذهبكم؟ فقال: أهما مذهبان؟ قال: نعم، فقال: أخبرني

عنهما، قال: أما على مذهبكم فيلزمه ركعتان ويسجد للسهو، وأما على مذهبنا فيجب أن يعاقب قلبه حتى لا يعود، فقال له: ما تقول فيمن ملك أربعين شاة فحال عليها الحول ماذا يلزمه؟ فقال: أما عندكم فيلزمه شاة، وأما عندنا فلا يملك العبد شيئًا مع سيده، فغشي على أحمد فلما أفاق انصرفا. وكان شيبان أميًّا، فإذا كان هذا شأن الأمي منهم، فما بالك بأهل العلم.

وقال الإمامان أبو حنيفة والشافعي: إذا كان العلماء غير أولياء فليس لله ولي. وكان من دعاء شيبان: يا ودود، يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا مبدئ، يا معيد، يا فعالاً لما تريد، أسألك بعزك الذي لا يرام، وبملكك الذي لا يزول، وبنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك، وبقدرتك التي قدرت بها على خلقك، أن تكفيني شر الظالمين أجمعين.

وفي «الرسالة»: إنه كان في بيت عبد الله القشيري بيت يسمى: بيت السباع؛ لأنها كانت تأتي إليه فيه فيطعمها ويسقيها، ثم تذهب إلى البر.

قال سهل: كنت في أيام بدايتي توضأت يوم الجمعة ومضيت إلى الجامع فإذا هو قد امتلأ بالناس، فأسأت الأدب وتخطيت رقابهم حتى وصلت إلى الصف الأول فجلست، وإذا عن يميني شاب حسن الشكل والهيئة، فقال: ما حالك يا سهل؟ فقلت: بخير أصلحك الله، وعجبت من معرفته بي، فأخذني حرقان البول فوجلت منه وصرت متحيرًا بين تخطي رقاب الناس إلى الخروج ولا أقدر على الصبر، فالتفت إلي وقال: أخذك حرقان البول يا سهل، فقلت: نعم، فنزع حرامه عن كتفه وغطاني به وقال لي: قم واقض حاجتك وأسرع لتلحق الصلاة، فأغمي علي ثم أفقت وإذا بباب مفتوح ومناد ينادي: ادخل يا سهل واقض حاجتك، فدخلت، وإذا بيت عظيم ونخلة بجانبها مطهرة، وسواك، ومنشفة، وبيت راحة، فخلعت ثيابي وقضيت حاجتي، وتوضأت، وتنشفت، وإذا بصوت أسمعه يقول: يا سهل، قد قضيت حاجتك، فقلت: نعم، فرفع الحرام عني، فإذا أنا جالس في مكاني لم يشعر بي أحد، فزاد تفكري، وصرت بين مكذب ومصدق، فلما صليت تبعت أثر الشاب لأعرفه، فإذا هو دخل البيت الذي قضيت فيه حاجتي، فالتفت إلي وقال: صدقت يا سهل، قلت: نعم، ثم مسحت عيني وفتحتها فلم أر له أثرًا، فرضي الله عنه وأرضاه.

الحكاية الأولى بعد المائة

في فضل الله على أقل عباده

«حكي» أن عبد الله بن جدعان[1] كان في ابتداء أمره صعلوكًا شريرًا، فاتكًا كثير الجنايات حتى أبغضه والده وعشيرته ونفوذه، وحلفوا لا يئوونه أبدًا، فخرج في شعاب مكة حائرًا كئيبًا يتمنى أن يموت، ولم يزل سائرًا حتى رأى شقًّا في جبل، فدخل فيه يرجو أن يكون فيه حية أو شيء يقتله؛ ليستريح من الحياة، فرأى فيه ثعبانًا عظيمًا له عينان تتوقدان كالسراج، فأقبل الثعبان إليه فتأخر هاربًا منه، فانساب الثعبان مستديرًا فعاد إليه، فنظر إليه الثعبان فلم يهرب منه، وأقبل عليه وضربه، فإذا هو مصنوع من فضة، وعيناه ياقوتتان، فكسره وأخذ عينيه، وإذا خلفه مكان كالبيت فدخله فإذا فيه جثث عظام طوال وعند رءوسهم لوح من فضة فيه تواريخهم، وأنهم من رجال جرهم وملوكهم، ثم تقدم فرأى في وسط البيت كومًا عظيمًا من الياقوت واللؤلؤ، والزبرجد والذهب، فأخذ منه ما قدر عليه وأغلق بابه وعلمه، ثم أرسل إلى أبيه شيئًا من ذلك ليسترضيه، ووصل عشيرته كلهم فسادهم، وصار يطعم الناس ويفعل المعروف من ذلك الكنز حتى قال ﷺ: «**إني كنت أستظل بجفنة عبد الله بن جدعان من الهجير**» قالت عائشة: يا رسول الله، هل نفعه ذلك؟ قال: لا؛ لأنه لم يقل يومًا: «**يا رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»[2]، والله أعلم.

الحكاية الثانية بعد المائة

في تفحص الملوك عن أحوال العمال

«حكي» أن الزهري ﷺ قال: قدمت على عبد الملك بن مروان فقال لي: من أين قدمت؟ فقلت: من مكة، قال: فمن خلفت بها يسود أهلها؟ قلت: عطاء بن أبي رباح،

---

(١) هو عبد الله بن جدعان التيمي القرشي، أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية. أدرك النبي ﷺ قبل النبوة، وكانت له جفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب، فوقع فيها صبي فغرق، وهو الذي خاطبه أمية بن أبي الصلت بأبيات اشتهر منها قوله: «أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك؟ إن شيمتك الحياء» له أخبار كثيرة أورد الأصفهاني وغيره بعضها متفرقة، وسماه اليعقوبي بين حكام العرب في الجاهلية. [انظر الأعلام للزركلي (٤/ ٧٦)].

(٢) رواه مسلم (٢/ ١٤٥)، وأحمد في «مسنده» (٥٣/ ٤٦٧)، وأبو عوانة في «مستخرجه» (١/ ١٣٩).

فقال: من العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فبم سادهم؟ قلت: بالديانة والأمانة، قال: إن أهل الديانة والأمانة ينبغي أن يسودوا الناس، قال: فمن يسود اليمن، قلت: طاوس بن كيسان، فقال: من العرب إلى آخر ما تقدم، فذكرت له مثل ما قلت أولاً، ثم قال: من يسود أهل مصر؟ قلت: يزيد بن أبي حبيب، فقال: وقلت كما مر، قال: فمن يسود أهل الشام: قلت: مكحول الدمشقي، وذكرنا مثل ذلك المتقدم، قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران، وذكرنا الكلام السابق، قال: فمن يسود أهل خراسان، قلت: الضحاك بن مزاحم، ثم قال: وقلت ما سبق، قال: فمن يسود أهل البصرة، قلت: الحسن بن أبي الحسن، ثم قال: وقلت ما سبق، قال: فمن يسود أهل الكوفة؟ قلت: إبراهيم النخعي، فقال ما قال، فقلت: من العرب، فقال: ويلك يا زهري، قد فرجت عني، والله لتسودن الموالي على العرب حتى يخطب لهم على المنابر، والعرب تحتهم، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنما هو أمر الله وحقه ودينه، فمن حفظه ساد، ومن ضيعه سقط، وإن الله حكيم خبير.

الحكاية الثالثة بعد المائة

في إجابة دعاء بعض الصالحين ومناقبهم

«حكي» أن يعقوب بن الليث أمير خراسان أصابته علة عجز عنها الأطباء، فقالوا: هنا رجل من أهل الصلاح اسمه: سهل بن عبد الله، لو استحضرته ليدعو لك، فقال: علي به، فلما حضر إليه قال له: ادع الله لي أن يعافيني من هذه العلة، فقال: كيف أدعو لك وأنت مقيم على الظلم؟ فنوى يعقوب التوبة والرجوع عن الظلم، وحسن السير في الرعية، وأطلق المسجونين، فقال سهل: اللهم كما أريته ذل المعصية فأره عز الطاعة، وفرج عنه ما يضره، فنهض من وقته كأنما نشط من مقال، ثم عرض عليه مالاً ليقبله، فأبى ورجع إلى بلده، فقيل له في أثناء الطريق: لو قبلت المال وفرقته على الفقراء، فنظر إلى الأرض فإذا حصاها جواهر، فقال لهم: خذوا ما شئتم، وهل من أعطى مثل هذا يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث، فقالوا له: لا تؤاخذنا.

الحكاية الرابعة بعد المائة

في مناقب الشيخ عيسى

«حكي» أن الشيخ عيسى الهتان ـ بكسر الهاء، وتخفيف الفوقية ـ مرَّ على امرأة بغي فقال لها: الليلة آتيك، ففرحت بذلك وتزينت، فلما كان بعد العشاء جاءها الشيخ فدخل بيتها، فصلى ركعتين، ثم خرج فقالت له: أراك خرجت؟ فقال لها: حصل المقصود إن شاء الله تعالى، فورد عليها ما أزعجها، فتبعت الشيخ وتابت على يده، فزوجها لبعض الفقراء، وقال: اعملوا الوليمة عصيدة[1]، ولا تشتروا لها أدمًا، ففعلوا، فوصل الخبر إلى أمير كان صديقًا لتلك المرأة، فأرسل قارورتين من الخمر إلى الشيخ استهزاءً به، وقال للرسول: قل للشيخ: بلغنا ما فعلتم وفرحنا، فخذوا هذا الأدم وتأدموا به، فقال الشيخ للرسول: أبطأت علينا وأخذ إحدى القارورتين وخضها وصبَّ منها عسلاً، ثم أخذ الآخرى وخضها وصب منها سمنًا، وقال للرسول: اجلس وكل معنا، فجلس وأكل أدمًا لم يرَ مثله، ورجع وأخبر الأمير بذلك فحضر الأمير ليرى صحة ذلك، فلما أكل من ذلك تعجب ثم اعتذر إلى الشيخ وتاب على يديه، وحسنت توبته ببركة الشيخ ﷺ.

الحكاية الخامسة بعد المائة

في أحوال الزمان وتقلباته

«حكي» أن محمد بن عبد الرحمن الهاشمي قال: دخلت يوم عيد الأضحى على والدتي، فرأيت عندها امرأة دنسة الثياب، فقالت لي أمي: أتعرف هذه؟ فقلت: لا، فقالت لي: هذه عنابة أم جعفر البرمكي، فسلمت عليها ثم قلت لها: حدثيني ببعض أمرك، فقالت لي: أذكر لك جملة فيها عبرة لمن يعتبر، لقد دخل علي يوم عيد مثل هذا وعلى رأسي أربعمائة وصيفة، وأنا أزعم أن ولدي جعفرًا عاق لي، وقد أتيتكم اليوم وأنا أسألكم في جلدي شاة أجعل أحدهما شعارًا، والآخر دثارًا، فدفعت لها خمسمائة درهم وأمرتها بالتردد إلينا إلى أن يفرق الموت بيننا، ففعلت ذلك رحمها الله تعالى.

---

(١) عَصِيدَة: هو دقيق يُلَتُّ بالسمن ويطبخ. يقال: عَصَدْتُ العصيدة وأَعْصَدْتُها؛ أي: اتخذتها. لسان العرب (٣/ ٢٩١).

الحكاية السادسة بعد المائة

في الغش وما يترتب عليه

«حكي» أن غازيًا من الغزاة في سبيل الله حمل بفرسه على علج[1] ليقتله، فقصر به فرسه، فحمل عليه العلج ودنا منه ليقتله، فقصر به فرسه كذلك، فحمل الغازي على العلج ثانيًا وثالثًا وفرسه يقصر به، فرجع وهو مغموم لما فاته من قتل العلج وما وقع له من فرسه مما لم يقع له قبل ذلك، فنام الغازي على عمود فسطاطه وفرسه قائم بين يديه، فرأى كأن الفرس يخاطبه ويقول له: أتلومني على تقصيري وقد بذلت في علفي بالأمس درهمًا زيفًا، فانتبه الرجل من نومه وذهب إلى العلاف وأبدل له الدرهم الزيف بغيره.

الحكاية السابعة بعد المائة

في ذمِّ تولية الأمر وما وقع لبعض الصحابة من الصدق، وغير ذلك

«حكي» أنه لما وفد قيس بن خرشة[2] على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أبايعك على ما جاءك من الله وعلى ألَّا أقول إلا الحق، فقال له رسول الله ﷺ: «**عسى إن مر بك الدهر أن يبتليك الله بعدي بولاة لا تستطيع أن تقول معهم الحق**» فقال قيس: والله لا أبايعك على شيء إلا وفيت به، فقال ﷺ: «**إذًا لا يضرك بشر**»[3] فكان قيس يعيب على زياد وابنه بما يفعلان من مخالفة الشرع والظلم وغيره، فبلغ ذلك عبيد الله بن زياد المذكور فأرسل خلف قيس فأحضره بين يديه، وقال له: أنت الذي تفتري على الله ورسوله، فقال: لا، ولكن إن شئت أخبرتك بمن يفتري على الله ورسوله، فقال: أخبرني من هو؟ فقال: هو من ترك العمل بكتاب الله وسنة رسوله، فقال له: ومن هو ذاك؟ قال: أنت وأبوك والذي

---

(١) العِلْجُ بالكسر: العَيْرُ الوَحْشي إذا سَمِنَ وقوِيَ. والعِلْجُ: الحِمَارُ مطلقًا، ويقال: هو حِمَارُ الوَحْشِ السَّمينُ القَوِيُّ؛ لاسْتِعْلاجِ خَلْقِه وغَلَظِه. تاج العروس (١/ ١٤٦١).

(٢) قيس بن خرشة القيسي: من بني قيس بن ثعلبة، له صحبة، أراد عبيد الله بن زياد قتله؛ لأنه كان شديدًا على الولاة قوَّالاً بالحق، فلما أعد له العذاب لمراجعته إياه فاضت نفسه قبل أن يصيبه بشيء، وخبره في ذلك عجيب. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٣٩٧).

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (١٣/ ٢٨٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٣٨٥)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٦/ ٢٧٩).

جعلكما أمراء على الناس، فقال: أنت الذي تزعم أنك لا يضرك بشر؟ قال: نعم، قال: لتعلمن اليوم أنك كاذب، ائتوني بصاحب العذاب، فلما ذهبوا ليأتوا به قال قيس: والله لا سبيل لك أن تضرني، ثم مال قيس بعد ذلك فحركوه فإذا هو قد مات، فرحمه الله وغفر له، وصدق رسول الله ﷺ.

واتفق أن قيسًا هذا كان قد اصطحب مع كعب الأحبار وسارا حتى بلغا صفين فوقف كعب ينظر ساسة ثم قال: لا إله إلا الله، ليهرقن في هذه البقعة من دماء المسلمين شيء لم يهرق في بقعة من الأرض غيرها، فغضب قيس وقال: ما يدريك يا أبا إسحاق؟ وما هذا الأمر إلا من الغيب الذي استأثر الله بعلمه؟ فقال له كعب: ما من شبر من الأرض إلا مكتوب في التوراة التي أنزلت على موسى بن عمران ما يقع فيه إلى يوم القيامة.

الحكاية الثامنة بعد المائة

فيما وقع لبعض الصحابة في زمن الجاهلية

«حكي» أن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى وهو ابن عم عمر بن الخطاب كان يطلب دين إبراهيم قبل بعثة النبي ﷺ، وكان لا يذبح للأصنام، ولا يأكل الميتة ولا الدم، فخرج مع ورقة بن نوفل يطلبان دين إبراهيم، فعرضت عليهما اليهود دينهم فتهود ورقة دون زيد، ثم لقيا النصارى فعرضوا عليهما دينهم فتنصر ورقة دون زيد، فقال زيد: ما هذه الأديان إلا كدين قومنا تشركون ويشركون، ثم مرَّ زيد براهب فقال له الراهب: إنك تطلب دينًا ليس على وجه الأرض الآن، قال: وما هو؟ قال: دين إبراهيم، قال: وما كان دين إبراهيم؟ قال: أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتصلي إلى الكعبة، فكان زيد على ذلك حتى مات.

وروي أنه مرَّ يومًا على النبي ﷺ قبل البعثة وهو يأكل مع أبي سفيان على سفرة فدعاه أبو سفيان إلى الغذاء، فقال له: يا ابن أخي، إني لا آكل مما ذبح على النصب، فلما سمع النبي ذلك لم يأكل من ذلك حتى بعثه الله.

وروي أن سعيد بن زيد المذكور ـ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن المهاجرين الأولين ـ قال للنبي ﷺ: قد بلغك ما كان عليه والدي أفاستغفر له؟ فاستغفر له وقال: إنه يبعث يوم القيامة أمة واحدة.

الحكاية التاسعة بعد المائة

فيما وقع لسيدنا عمر بن عبد العزيز(١) من الغرائب

«حكي» أنه وقع في زمن عمر بن عبد العزيز قحط عظيم، فوفد إليه وفد من العرب واختاروا رجلاً منهم يخاطبه، فقال له ذلك الرجل: يا أمير المؤمنين، إنا أتيناك من ضرورة عظيمة، وقد يبست جلودنا على أجسادنا؛ لفقد الطعام، وراحتنا في بيت المال، وهذا المال لا يخلو من ثلاثة أقسام: إمَّا أن يكون لله، وإمَّا أن يكون لك، وإمَّا أن يكون لعباد الله، فإن كان لله فإن الله غني عنه، وإن كان لك فتصدق علينا منه، فإن الله يجزي المتصدقين، وإن كان لعباد الله فأعطهم منه حقهم، فتغرغرت عينا عمر ﷺ ثم قال: إن الأمر كما ذكرت أيها الرجل، وأمر بقضاء حوائجهم من بيت المال، فلما هموا بالخروج قال عمر ﷺ لذلك الرجل: أيها الرجل الحر، كما أوصلت إلينا حوائج عباد الله، وأسمعتنا كلامهم، فأوصل كلامي وحاجتي إلى الله تعالى، فحول الأعرابي وجهه إلى جهة السماء وقال: إلهي، بعزتك وجلالك اصنع مع عمر كما صنع مع عبادك، فما استتم كلامه حتى أمطرت السماء مطرًا غزيرًا، ووقعت بردة كبيرة على جرة فانكسرت، فخرج منها كاغد مكتوب عليه هذه براءة من الله العزيز إلى عمر بن عبد العزيز من النار.

---

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو حفص، (٦١- ١٠١ هـ): الخليفة الصالح والملك العادل، وربما قيل له: خامس الخلفاء الراشدين تشبيهًا له بهم، وهو من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام. ولد ونشأ بالمدينة، وولي إمارتها للوليد، ثم استوزره سليمان ابن عبد الملك بالشام، وولي الخلافة بعهد من سليمان سنة ٩٩ هـ فبويع في مسجد دمشق، وسكن الناس في أيامه، فمنع سبَّ علي بن أبي طالب، وكان من تقدمه من الأمويين يسبونه على المنابر، ولم تطل مدته، قيل: دسَّ له السم وهو بدير سمعان من أرض المعرة فتوفي به، ومدة خلافته سنتان ونصف، وأخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة، وكان يدعى «أشج بني أمية» رمحته دابة وهو غلام فشجته. وقيل في صفته: كان نحيف الجسم، غائر العينين، بجبته أثر الشجة، وخطه الشيب، أبيض، رقيق الوجه مليحًا. وفي كتاب «الإسلام والحضارة العربية»: كانت طريقته في إدارة ولايته جطلاق الحرية للعامل، لا يشاور الخليفة إلا في أهم المهمات مما يشكل عليه أمره. الأعلام للزركلي (٥/ ٥٠).

الحكاية العاشرة بعد المائة

في العدل في الرعية وضده، وما يترتب عليهما

«حكي» أنه خرج أنوشروان العادل إلى الصيد يومًا وانعزل عن عسكره خلف الصيد، فعطش، فرأى ضيعة قريبة منه فقصدها حتى وقف على باب دار قوم وطلب منهم الماء ليشرب، فخرجت له صبية فلما رأته عادت إلى البيت مسرعة فدقت قصبة سكر ومزجتها بماء، وخرجت به في قدح إليه، فنظر إلى القدح فرأى فيه ترابًا وقذى[1]، فشرب منه شيئًا فشيئًا حتى انتهى إلى آخره، ثم قال: نعم الماء، لولا ما فيه من القذى، فقالت له الصبية: أنا ألقيت القذى عمدًا، فقال لها: ولم فعلت ذلك؟ فقالت: لما رأيتك شديد العطش خفت عليك أن تشربه في مرة واحدة فيضرك، فعجب أنوشروان من ذكائها وفطنتها، وقال: كم عصرت فيه من قصبة؟ فقالت: عصرت فيه قصبة واحدة، فعجب من ذلك، ثم لما مضى طلب جريدة ذلك المكان، فرأى خراجه قليلاً، فحدث نفسه أن يزيد في خراجه ثم بعد مدة عاد إلى ذلك المكان منفردًا ووقف على ذلك الباب، وطلب الماء ليشرب، فخرجت له تلك الصبية بعينها ورأته فعرفته، وعادت مسرعة لتخرج له الماء، فأبطأت عليه، فلما خرجت إليه قال لها: قد أبطأت، فقالت له: لم تخرج حاجتك من قصبة واحدة بل من ثلاث قصبات، فقال لها: ما سبب ذلك؟ فقالت: من تغير نية الحاكم، فقد سمعنا أنه إذا تغيرت نية السلطان على قوم زالت بركاتهم، وقلت خيراتهم، فضحك أنوشروان، وأزال ما كان في نفسه من زيادة الخراج، ثم تزوج بتلك الصبية لتعجبه من فصاحتها.

الحكاية الحادية عشرة بعد المائة

فيما وقع لبعض الملوك من التفحص عن أحوال الرعية

«حكي» أنه كان للملك كشتاسب وزير اسمه: واست روش، وبهذا الاسم كان يظنه تقيا صالحًا، وكان لا يسمع فيه مقالة أحد بسوء، ولم يكن بحاله صلاح، فقال ذلك الوزير يومًا لخليفة الملك: إن الرعية بطرت من كثرة عدلنا فيهم، وقلة تأديبًا لهم، وقد قيل:

---

(١) الأقْذاء: جَمع قَذى، والقَذَى: جَمْع قَذاة، وهو ما يَقَع في العين والماء والشَّراب من تُراب أو تِبْن أو طين أو وَسَخ أو غير ذلك. النهاية في غريب الأثر (٤/ ٥٠).

إذا عدل السلطان جارت الرعية، والآن قد فاحت منهم رائحة الفساد، ويجب علينا تأديبهم وزجرهم، وإبعاد المعتدين، وطرد الفسقة المفسدين، وتأديب الصالحين، وصار كل من أخذه الخليفة ليؤدبه يدفع رشوة لذلك الوزير فيطلقه إلى أن ضعفت الرعية، وضاقت عليهم الأحوال، وخلت الخزائن من الأموال، فظهر للملك غدره، فاعتبر خزائنه فلم يجد فيها شيئًا يصلح به عسكره، فركب يومًا من شغل قلبه إلى البرية فرأى من بعيد خيمة مضروبة فقصدها، فرأى أغنامًا نائمة، وكلبًا مصلوبًا، وخرج منها شاب فسلم عليه وسأله النزول، وأكرمه، وقدم إليه ما حضر كما يجب، فقال له الملك: لا آكل طعامك حتى تخبرني عن حال هذا الكلب، فقال: إن هذا الكلب كان أمينًا على أغنامي، فتصادق مع ذئبة وصار ينام معها، ويقوم معها، وصارت تأتي كل يوم وتسوق من الغنم رأسًا بعد رأس وأنا لا أعلم، فتفكرت في حال الغنم فرأيتها تنقص كل يوم، ثم رأيت الذئبة قد أخذت شاة والكلب ساكت عنها، فعلمت أنه قد خان، وأنه سبب في إتلاف الغنم، فأتيت به وصلبته، فلما سمع الملك ذلك تفكر في نفسه وقال: رعيتنا أغنامنا، فيجب أن نسأل عنها حتى نعلم حقيقة الحال فيها، فرجع إلى داره وصار ينظر ويتأمل، فعلم أن ذلك من شناعة الوزير، فضرب مثلاً فقال: من اغتر بالاسم من ذوي الفساد عاد بغير زاد، ومن خان في الزاد عاد بغير روح، ثم أمر بصلب الوزير، والله أعلم.

الحكاية الثانية عشرة بعد المائة
فيما وقع لبعض حذَّاق الملوك وغيرهم

«حكي» أن الإسكندر أرسل رسولاً إلى الملك دارا بن دارا[1]، فلما رجع الرسول وذكر الجواب شك الإسكندر في كلمة من الجواب، فقال الرسول: إنها قد سمعتها بإذني هاتين، فكتب الإسكندر الجواب بعينه وأرسله إلى دارا، فلما قرأه دعا بسكين وقطع تلك الكلمة من الكتاب، وأعاده إليه، وكتب له يقول: إن حسن نية الملك، وصحة طبعه، وأساس قوته، تدل على الوقوف في صحة مقال الرسول الأمين وصدقه، والآن قد قطعت تلك الكلمة؛ لأنها لم تكن من كلامي، ولم أجد سبيلاً إلى قطع لسان رسولك، فأرسل

(١) دارا بن دارا بن بهمن بن اسفنديار الملك الكسوري: تملك على الفرس زمانًا، وتناسلت ذراريه هناك، وجاء بعضهم إلى عمان أخيرًا. إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان (١/ ٢٧).

الإسكندر إلى ذلك الرسول وقال له: ما حملك على أن وضعت تلك الكلمة على الملك؟ فقال له: لأنه قصر في حقي وأسخطني، فقال له: ويلك، هل أرسلناك في صلاحنا أو في صلاح نفسك؟ ثم أمر به فسل لسانه من قفاه وقطعه.

وقالوا أول من غير أحوال الملوك وأفسد سيرهم السابقة «يزدجرد»(١) وقد جاء إلى باب داره في بعض الأيام فرس في غاية الحسن والجمال، ولم يقع لأحد أنه رأى أحسن منه فاجتهد عسكره ليمسكوه، فلم يقدروا عليه حتى وصل إلى الإيوان(٢) فوقف عنده، فقال يزدجرد: إن هذا الفرس هدية من الله إلينا خاصة، ثم قام إليه ومسح على وجهه وظهره، وهو لا يتحرك، فدعا بسرج فأسرجه، وجذب حزامه وأوثقه، ثم انحرف إلى جهة كفله ليضع ثغره، فرفسه الفرس رفسة محكمة على قلبه، فمات لوقته، ولم يعلم أحد من أين جاء ولا من أين ذهب، فقال الناس: هذا ملك أرسله الله ليهلكه، ويخلصنا من جوره وظلمه، فلله الحمد والمنة.



(١) كسرى آخر الأكاسرة مطلقًا، واسمه: يزدجرد بن شهريار بن برويز المجوسي الفارسي. انهزم من جيش عمر فاستولوا على العراق، وانهزم هو إلى مرو وولت أيامه، ثم ثار عليه أمراء دولته وقتلوه سنة ثلاثين، وقيل: بل بيته الترك وقتلوا خواصه، وهرب هو واختفى في بيت، فغدر به صاحب البيت فقتله، ثم قتلوه به. سير أعلام النبلاء (٢/ ١٠٩).

(٢) الإِوَانُ: بَيْتٌ شِبْهُ أَزَجٍ غَيْرُ مَسْدُوْدِ الوَجْهِ، والإِيْوَانُ: لُغَةٌ، وجَمْعُ الإِوَانِ: أُوْنٌ، وجَمْعُ الإِيْوَانِ: أَوَاوِيْنُ وإِيْوَانَاتٌ. المحيط في اللغة (٢/ ٤٧٩).

الحكاية الثالثة عشرة بعد المائة

في العفة وشرف النفس

«حكي» أن الأمير عمارة بن حمزة(1) جاء إلى الملك المنصور فأجلسه عنده، وكان ذلك في يوم نظره في المظالم، فقام رجل على قدميه ونادى بصوته يا أمير المؤمنين، أنا مظلوم، فقال له: ومن ظلمك؟ فقال: عمارة بن حمزة هذا، أخذ ضياعي وعقاري، فأمر المنصور أن يقوم من مجلسه ويساوي خصمه، فقال عمارة: يا أمير المؤمنين، إن كانت الضياع له فلا أعارضه فيها، وإن كانت لي فقد وهبتها له، ولا أقوم من مجلس أكرمني به أمير المؤمنين؛ لأجل ضياعي، فعجب الأكابر والحاضرون من كرم نفسه وشرف همته.

الحكاية الرابعة عشرة بعد المائة

فيما وقع لعبد الله بن المبارك وأبيه

«حكي» أنه كان بمدينة مرو رجل يقال له: نوح بن مريم، وكان رئيس البلد وقاضيها، وذا نعمة وجاه، وحال موفقًا، وكانت له بنت ذات حسن، وجمال، وبهاء، وكمال، فخطبها منه جماعة من الأكابر والرؤساء، وأصحاب المال والثروة، فلم ينعم بها لأحد منهم، وتحير في أمرها، وكان له عبد هندي أسود اسمه: مبارك، وكان له أشجار وبساتين، فقال لذلك العبد: اذهب إلى البساتين واحفظ ثمارها، فمضى إليها وأقام بها شهرين، فجاء له سيده وقال له: يا مبارك، ائتني بقطف من العنب، فجاءه بقطف، فإذا هو حامض، فقال له: انظر لي غير هذا، فجاءه بآخر فإذا هو حامض، فقال له: لماذا أتيتني بالحامض وفي البستان كثير؟ فقال له: يا سيدي، إنا لا نعرف الحلو فيه من الحامض، فقال: سبحان الله، لك شهران في البستان ولا تعرف الحلو من الحامض، فقال: وحقك يا سيدي ما ذقت منه شيئًا، فقال: لماذا لم تأكل منه؟ فقال: يا سيدي إنما أمرتني بحفظه لا بالأكل

---

(١) ابن ميمون (١٩٩ هـ): عمارة بن حمزة بن ميمون، من ولد عكرمة مولى ابن عباس، كاتب، من الولاة الأجواد الشعراء الصدور، كان المنصور والمهدي العباسيان يرفعان قدره، وكان من الدهاة، وجمع له بين ولاية البصرة وفارس والأهواز واليمامة والبحرين، له في الكرم أخبار عجيبة، وفيه تيه شديد يضرب به المثل: «أتيه من عمارة»، وله: «ديوان رسائل» و«الرسالة الماهانية» و«رسالة الخميس». الأعلام للزركلي (٥/ ٣٧).

منه، وما كنت أخون في مالك، وأخالف أمرك، فعجب سيده من ديانته وأمانته، فقال له: قد وقع لي فيك رغبة وإني ذاكر لك شيئًا، ولابد أن تفعل ما آمرك به، فقال له: أنا طائع لله تعالى، ولك، فقال له القاضي: إن لي بنتًا جميلة وقد خطبها مني ناس كثيرون من الأكابر والرؤساء ولم أعلم بمن أزوجها، فأشر علي بما ترى، قال: يا سيدي، كان الناس من الجاهلية يرغبون في الأصل، والنسب، والدين، والحسب، واليهود والنصارى يرغبون في الحسن، والجمال، وفي زمن رسول الله ﷺ يرغبون في الدين، والتقوى، وفي زماننا هذا يرغبون في المال والجاه، فاختر من هذه الأشياء ما شئت، فقال له: إني راغب في الدين والتقوى، وإني أريد أن أزوجك بها؛ لأني وجدت فيك الدين والصلاح والأمانة، فقال: يا سيدي أنا عبد رقيق أسود هندي، وقد اشتريتني بمالك، فكيف تزوجني بابنتك؟ وكيف ترضى ابنتك بي؟ فقال سيده: قم بنا إلى البيت لننظر في هذا الأمر، فلما دخل إلى البيت قال القاضي لزوجته: إن هذا الغلام صالح دين تقي، وإني أريد أن أزوجه ابنتي، فما تقولين؟ فقالت: الأمر إليك، ولكني أنا أمضي إليها وأعلمها وأعود إليك، فجاءت إلى البنت وأخبرتها بما قال أبوها، فقالت البنت: الأمر إليكما، وإني لا أعصيكما، ولا أخالفكما، فعادت زوجته إليه وأخبرته بذلك، فزوجها به، وأعطاهما مالاً جزيلاً، فولد منها ولدًا سماه: عبد الله، واشتهر بعبد الله بن المبارك المعروف عند العلماء والأولياء(١).

ومن كرم عبد الله هذا أنه نزل به في يوم عشرة من الأضياف العلماء، فلم يجد ما يضيفهم به، وليس له سوى فرس يحج عليه سنة، ويغزو عليه سنة، فذبحه وطبخه، وقدمه إليهم، فقالت له زوجته: ليس لك إلا هذا الفرس من الدنيا وقد ذبحته، فدخل مسرعًا إلى بيته وأخرج من متاعه قدر مهرها ودفعه إليها، وطلقها لوقته، وقال: امرأة تكره الأضياف لا تصلح لنا، فأتاه بعد ذلك بأيام رجل وقال: يا إمام المسلمين، لي ابنة ماتت أمها فهي تمزق كل يوم جملة من الثياب حزنًا عليها، وإنها تريد أن تحضر مجلسك، فقل لها شيئًا في تسليتها لعلها تسلوها، فلما جلس على المنبر ذكر شيئًا مما تتسلى به الصبية عن أمها، فرقَّ قلبها وتابت، وقالت: لا أعود أذكرها ولا أسخط ربي، ثم قالت: يا أبي لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ فقالت: أنت تقول لي دائمًا أن أبناء الزمان، وأرباب الأحوال يطلبوني

(١) انظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر (١/ ١٦٥).

منك، وإني أنا أشهدك الله ألّا تزوجني بغير عبد الله بن المبارك، فإن له دينًا قويمًا، فزوجها أبوها به، وعمل لها جهازًا ومالاً كثيرًا، فاتخذ له عشرة أفراس يجاهد عليها في سبيل الله تعالى، فرأى عبد الله في بعض الأيام في منامه قائلاً يقول له: إن كنت طلقت امرأة عجوزًا لأجلنا فقد أعطيناك بدلها صبية بكر، وإن كنت ذبحت لأجلنا فرسًا واحدًا فقد أعطيناك عشرة أفراس؛ لتعلم أن الحسنة بعشر أمثالها، وإن الله لا يضيع أجر المحسنين، وما عاملنا أحد فخسر أبدًا، والله أعلم.

الحكاية الخامسة عشرة بعد المائة

في تقديم الدين على الدنيا وما يترتب على ذلك

«حكي» أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح وله زوجة صالحة، فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان أن قل لفلان العبد الصالح: إني قد جعلت نصف عمرك غنيًا، ونصف عمرك فقيرًا، فإن اختار أن يكون غنيًا في الشباب أغنيناه فيه، وأفقرناه في الشيخوخة، وإن اختار أن يكون غنيًا في الشيخوخة أغنيناه فيها وأفقرناه في الشباب، فأخبر النبي ذلك الرجل بهذا المقال، فجاء الرجل إلى زوجته وأخبرها بالقصة وقال لها: ما ترين في هذا الأمر؟ فقالت له: الخيرة إليك، فقال لها: رأيت أن أختار الفقر في الشباب، فإني أقدر على الصبر على الفقر والقيام بعبادة ربي، وإذا صرت شيخًا وعندي ما أتقوت به قدرت على طاعة ربي وعبادته، فقالت له: يا هذا إن كنت في الشباب فقيرًا لم تقدر على طاعة الله تعالى؛ لأنا نشتغل بها، ولا نصل إلى فعل الطاعات، وإعطاء الصدقات، وإذا اخترنا الغنى فيه قدرنا على ذلك لقوة أجسامنا وأبداننا، فقال لها الرجل: نعم ما رأيت، وكذلك أفعل، فأوحى الله إلى ذلك النبي أن قل لذلك الرجل وزوجته حيث آثرتما طاعتنا واستفرغتما جهدكما في عبادتنا واتفقت نيتكما على فعل الخير، فقد جعلت جميع عمركما في الغنى، فكن أنت وزوجتك على طاعتي وتصدقا بما شئتما؛ ليكون حظكما في الدنيا والآخرة، والله هو الغني الحميد.

الحكاية السادسة عشرة بعد المائة

فيما وقع لبعض الناس من الغرائب

«حكي» أنه كان فيمن قبلكم امرأة ولدت جارية، فقالت لأجيرها: اقتبس لنا نارًا، فخرج فوجد بالباب رجلاً، فقال للأجير: ما ولدت هذه المرأة؟ قال: ولدت جارية، فقال: إن هذه الجارية تبغي بمائة رجل، ويتزوجها أجيرها بعد ذلك، وتموت بالعنكبوت، فقال الأجير في نفسه: أنا أريد هذه أن تبغي بمائة رجل لأقتلنها، فأخذ شفرة فشقَّ بطنها وخرج على وجهه هاربًا، فركب البحر ومضى، فجاء أهل الجارية فخاطوا بطنها وعولجت، فشفيت وكبرت فصارت تبغي، فطردها أهلها، فجاءت إلى ساحل من سواحل البحار وأقامت على البغي، ثم بعد مدة جاء الرجل الأجير بعد أن صار من أرباب الأحوال إلى ذلك الساحل ومعه مال كثير، فقال لامرأة من أهل ذلك المحل: اطلبي لي امرأة من أجمل نساء أهل القرية؛ لأتزوجها، فقالت له: إن هاهنا امرأة من أجمل النساء لكنها تبغي، فقال: احضري بها عندي، فأتت إليها فقالت لها: إنه قد جاء هاهنا رجل كثير المال، وطلب امرأة يتزوجها، فقلت له: هاهنا امرأة صفتها كذا وكذا، فقالت لها: إني قد تركت البغاء، وإن أرادني تزوجته، فذكرت له ذلك فتزوجها، فوقعت منه موقعًا عظيمًا، ثم جلسا يومًا يتحدثان فأخبرها بخبره مع الجارية، فقالت له: والله أنا تلك الجارية، وأرته أثر الشقِّ في بطنها، وقالت له: قد بغيت بناس كثير ولا أدري هل هم مائة أو أقل أو أكثر، فقال لها: إنه قد قال لي: إنها تموت بالعنكبوت، ولكن نتحرز منه، فبنى لها برجًا في الصحراء وشيده، فبينما هما يومًا في ذلك البرج وإذا عنكبوت في السقف، فقال لها: هذا عنكبوت فدعيني أقتله، فقالت: هذا يقتلني، والله لا يقتله غيري، فحركته من السقف فسقط فجاءت إليه ووضعت إبهام رجلها عليه، فشدخته، فساح سمه بين ظفرها ولحمها، فاسودت رجلها، فماتت، فذلك قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ المَوْتُ...﴾ [النساء:٧٨] والله أعلم.

الحكاية السابعة عشرة بعد المائة

فيما وقع لأم جعفر[1] مع بعض الفقراء

«حكي» أن رجلين أعميين كانا يجلسان على طريق أم جعفر، وكانت موصوفة بالكرم، وكان أحدهما ذا عيال وأهل، وكان يقول: اللهم ارزقني من فضلك الواسع، وكان الآخر عازبًا لا أهل له، وكان يقول: اللهم ارزقني من فضل أم جعفر، فصارت ترسل للطالب من فضل الله درهمين، وترسل للطالب فضلها رغيفين بينهما دجاجة مشوية في بطنها عشرة دنانير لم تعلمه بها، فكان يكره ذلك ويقول للآخر: خذ هذين الرغيفين والدجاجة واعطني الدرهمين، فيفعل ذلك، فمضى على ذلك شهر ثم أرسلت أم جعفر تقول: قولوا لطالب فضلنا أما أغناك عطاؤنا، فقال لهم: قولوا لها ماذا أعطيته؟ فقالت: ثلاثمائة دينار، فقال: لا والله، بل كانت ترسل لي دجاجة ورغيفين كل يوم، وكنت أبيعها لصاحبي بدرهمين، فقالت أم جعفر: صدق الرجل، إنه طلب من فضل الله فأغناه الله من حيث لا يحتسب، ولم يقصد غناه، والآخر طلب من فضلنا فأحرمه الله من حيث يراد غناه؛ ليعلم الناس أن الفقر والغنى من الله، وأنه ما قدر كائن، والحمد لله.

---

(١) زبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية العباسية، أم جعفر، (٢١٦ هـ): زوجة هارون الرشيد وبنت عمه. من فضليات النساء وشهيراتهن، وهي أم الأمين العباسي. اسمها: «أمة العزيز» وغلب عليها لقبها زبيدة، قيل: كان جدها المنصور يرقصها في طفولتها ويقول: يا زبيدة أنت زبيدة، فغلب ذلك على اسمها، وإليها تنسب «عين زبيدة» في مكة، جلبت إليها الماء من أقصى وادي نعمان شرقي مكة، وأقامت له الأقنية حتى أبلغته مكة. تزوج بها الرشيد سنة ١٦٥ هـ ولما مات، وقتل ابنها الأمين، اضطهدها رجال المأمون فكتبت إليه تشكو حالها فعطف عليها، وجعل لها قصرًا في دار الخلافة، وأقام لها الوصائف والخدم، وكانت لها ثروة واسعة، قال الحريري في إحدى مقاماته: (ولو حبتك شيرين بجمالها وزبيدة بمالها... إلخ)، وخلفت آثارًا نافعة غير العين. الأعلام للزركلي (٣/ ٤٢).

الحكاية الثامنة عشرة بعد المائة

في الصمت وما يترتب عليه

«حكي» عن ذي النون المصري ـ رحمه الله ـ قال: مررت بروضة خضراء، فرأيت شابًا يصلي تحت شجرة تفاح، ولم أعرف أنه يصلي، فسلمت عليه فلم يرد علي السلام، فكررت السلام عليه فلم يرد، ثم أوجز في صلاته، فلما فرغ منها كتب بإصبعه على الأرض شعرًا:

منع اللسان من الكلام لأنه سبب الردى بل جالب الآفات
فإذا نطقت فكن لربك ذاكرًا لا تنسه واحمده في الحالات

فلما قرأت ذلك بكيت طويلاً ثم كتبت في الأرض بإصبعي شعرًا:

وَما مِن كاتِبٍ إلا سيبلي[1] وَيَبقي الدَهر ما كَتَبَت يَداه
فَلا تَكتُب بِكفك غَير شَيءٍ يَسرك في القِيامَة إِن تَراه

فلما قرأ ذلك صاح صيحة فمات، فأردت أن أجهزه فنوديت: لا يتولى أمره إلا الملائكة، فملت إلى شجرة وركعت تحتها بعض ركعات ثم نظرت إلى موضعه فلم أر له أثرًا ولا خبرًا، فسبحان المنان على عباده بمراده.

الحكاية التاسعة عشرة بعد المائة

في لطف الله بعباده وتوفيقه

«حكي» عنه أيضًا أنه قال: ذهبت إلى شاطئ النيل لغسل ثيابي، فبينما أنا واقف وإذا بعقرب من أعظم ما يكون مقبلة علي، ففزعت منها، واستعذت بالله أن يكفيني شرَّها، فسارت حتى وافت النيل وإذا بضفدع كبير خرج من الماء فركبته العقرب وسبحت بها على وجه الماء، فمشيت خلفهما ولم أزل أرقبهما إلى أن أتيا الشاطئ الآخر، فمرت العقرب إلى أن جاءت إلى شجرة كبيرة الأغصان كثيرة الظل، وإذا بشاب أمرد نائم تحتها وهو مخمور، فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله، جاءت هذه العقرب من الجانب الآخر للدغ هذا الفتى،

(١) البيتان منسوبان لـ«أمين الجندي» بلفظ: سيفنى، ولفظ: بيدك بدلاً من بكفك، من بحر الوافر.

وأضمرت أنها إذا دنت منه قتلتها، فوقفت قريبًا منه وإذا بتنين عظيم قد أقبل يريد قتل الفتى، فهمت العقرب إليه فظفرت به ولزمت دماغه، ولم تزل به حتى قتلته، ثم عادت إلى النيل والضفدع ينتظرها، فركبت ظهره، وأنا خلفها أنظرها، فعادت إلى الجانب الذي جاءت منه فرجعت إلى الشاب وأنا أنشد هذه الأبيات:

يا راقدًا والجليل يحفظه ... من كل سوء يكون في الظلم

كيف تنام العيون عن ملك ... تأتيك منه فوائد النعم

فانتبه الفتى على كلامي فأخبرته بالقصة، فتاب ونزع ثياب اللهو ولبس ثياب السياحة، واستمر على ذلك حتى مات، رحمة الله عليه[1].

الحكاية العشرون بعد المائة

في الانتقام ولو بعد حين

«حكي» عن وهب بن منبه[2] أنه قال: كان عابد من عباد بني إسرائيل يعبد الله في صومعة على جانب نهر كان بقربه، فصار يقصر الثياب، فجاء فارس معه هميان، فنزع ثيابه وهميانه واغتسل في النهر، ثم لبس ثيابه ونسي هميانه، وذهب فجاء صياد يصيد السمك بشبكة فرأى الهميان، فأخذه ومضى، ثم رجع الفارس فلم يجد هميانه، فقال للقصار: نسيت همياني هنا، فقال له: ما رأيته فسل الفارس سيفه وقتل القصار، فلما رأى العابد ذلك كاد أن يفتتن وقال: إلهي وسيدي، يأخذ الصياد الهميان، ويقتل القصار، فلما جاء الليل ونام العابد أوحى الله إليه في منامه: أيها العابد الصالح، لا تفتتن، ولا تدخل في علم ربك، واعلم أن الفارس كان قتل أبا الصياد وأخذ ماله، فالهميان من مال أبيه، وأن القصار كانت صحيفته مملوءة بالحسنات وليس فيها إلا سيئة واحدة، وكانت صحيفة الفارس مملوءة بالسيئات وليس فيها إلا حسنة واحدة، فلما قتل القصار محيت سيئته ومحيت حسنة الفارس، وربك يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

---

(١) انظر: حياة الحيوان الكبرى (٢/ ٣)، والمستطرف في كل فن مستظرف (١/ ٣٥٥).

(٢) وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله، (٣٤-١١٤ هـ) مؤرخ كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الاولين ولا سيما الإسرائيليات، يعد في التابعين، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، وأمه من حمير، ولد ومات بصنعاء، وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها. الأعلام للزركلي (٨/ ١٢٥).

الحكاية الحادية والعشرون بعد المائة

في الصبر على البلاء

«حكي» أنه كان لبعض أرباب القلوب صديق فحبسه السلطان، فأرسل إليه صديقه يقول له: كيف حالك في الحبس؟ فقال: أشكر الله، ثم جاءوا بمجوسي مبطون وصفدوه[1] معه في الحديد، فصار كلما قام المجوسي إلى المستراح يقوم معه ضرورة، ويقف عنده حتى يفرغ من حاجته، ويحصل له التأذي بنتن الريح وبالحركة معه، فعلم صديقه بذلك، فأرسل له يقول: كيف حالك؟ فقال: أشكر الله تعالى، فقال له صديقه: إلى متى هذا الشكر؟ وأي بلاء أعظم مما أنت فيه؟ فقال: لو أخذ الزنار من وسط المجوسي وشده في وسطي لكان أعظم مما أنا فيه، وإنما أنا يا أخي أستحق أعظم من هذا، فإن سامحني ربي بهذا القدر أما كان الشكر واجبًا علي، أما سمعت أنه صبَّ على شيخ طست[2] من رماد فسجد شكرًا، فقيل له في ذلك، فقال: إني أخاف أن يصب علي طست من نار، فإذا سومحت بهذا الطست من الرماد عنه، فهل لا أشكر الله تعالى، والله أعلم.

الحكاية الثانية والعشرون بعد المائة

في الرضا بالقضاء وما يترتب عليه

«حكي» أن موسى عليه السلام قال: رب أرني وليًا من أوليائك، فإذا النداء: يا موسى، اصعد هذا الجبل واهبط إلى الوادي تر ما سألت، ففعل، فرأى مرجًا واسعًا وفيه بيت تحت الأرض، فدخل فيه، وإذا هو بإنسان مجذوم كأنه قطعة لحم ملقاة، فقال موسى: السلام عليك يا ولي الله، فقال له: وعليك السلام يا كليم الله، فقال موسى: من أين عرفتني؟ فقال: إني رجل لا يعودني أحد على هذه الحالة، وقد سألت الله منذ ليال أن يجمعني بك،

---

(١) صفد: صَفَدَهُ يَصْفِدُهُ صَفْدًا؛ أي: شَدَّه وأَوْثَقَه. وكذلك التَّصْفِيدُ والصَّفَدُ بالتحريك: العَطاءُ. والصَّفَدُ أيضًا: الوَثاقُ. وأَصْفَدْتُهُ إصْفادًا؛ أي: أعْطَيْتُهُ مالاً، ووَهَبْتُ له عَبْدًا. والصِفادُ: ما يوثَقُ به الأسيرُ من قِدٍّ وقَيْدٍ وغُلٍّ، والأَصْفادُ: القُيودُ. الصحاح في اللغة (١/ ٣٨٩).

(٢) طست: الطَّسْتُ من آنية الصُّفْر أُنثى وقد تُذَكَّر. الجوهري: الطَّسْتُ الطَّسُّ بلغة طَيِّئٍ أُبدل من إحدى السينين تاء للاستثقال، فإذا جَمَعْتَ أو صَغَّرْتَ رددتَ السين؛ لأَنك فصَلْتَ بينهما بألف أو ياء، فقلت: طِساسٌ وطُسَيْسٌ. لسان العرب (٢/ ٥٨).

وقد أجابني، فقال له موسى: يا هذا، من ذا الذي يخدمك؟ ومن أين مطعمك ومشربك؟ فقال: إن لي ولدًا يذهب كل يوم إلى هذا الوادي، ويجني لي شيئًا من أصول البردي، فآكله وأفطر عليه، فقال موسى: إني أحب أن أرى ولدك، فوصف له طريقه فذهب إليه، وإذا هو ولد كالقمر حسنًا، فتعجب موسى من ذلك وقال: تبارك الله أحسن الخالقين، فبينما موسى كذلك إذ جاء سبع فافترس الولد، فغضب موسى وقال: إلهي وسيدي، ولي من أوليائك مطروح على تلك الحالة وليس له خادم، فأوحى الله إليه أن ارجع إلى والده، وانظر إلى صبره ورضاه، فرجع موسى إليه وأخبره بالخبر فضحك سرورًا وفرحًا، ورفع طرفه إلى السماء وقال: إلهي وسيدي قد رزقتني هذا الغلام وكنت أظن أنه يعيش بعدي، فحيث أرحتني منه فاقبضني إليك ساجدًا، ثم سجد فحركه موسى فإذا هو قد مات، فقال موسى: إلهي وسيدي، يكون وليك ملقى في مثل هذا الموضع وولده ملقى في الوادي، فنزل جبريل إليهما فغسلهما، ودفنهما، ورجع موسى عليه السلام.

الحكاية الثالثة والعشرون بعد المائة
في حُسن التوكل والصبر

«حكي» أن أبا حمزة الخراساني قال: حججت سنة من السنين، فبينما أنا ماش في الطريق إذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي أن أستغيث، فقلت: لا والله لا أستغيث، فما استتم هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر: تعال نسد رأس هذه البئر؛ لئلا يقع أحد فيها، فجاءوا بقصب وغيره وطمرا رأسها، فهممت أن أصيح، فقلت في نفسي: أصيح إلى من هو أقرب لي منهما، وسكت، فبينما أنا بعد ساعة كشف رأس البئر وأدلى شخص رجله وكأنه يقول لي في همهمة: تعلق بها، فتعلقت بها، فأخرجني وإذا هو سبع فتركني وذهب، وإذا هاتف يقول: يا أبا حمزة، أليس هذا أحسن، نجيتك من التلف بالمتلف.

الحكاية الرابعة والعشرون بعد المائة

في حِلم الأمراء مع اتباع الحق

«حكي» أنه أصاب الناس مجاعة في زمن هشام بن عبد الملك فدخل عليه وجوه الناس، ودخل معهم درواس بن حبيب العجلي وعليه جبة صوف، وشملة مشتمل بهما الصماء، فلما رآه هشام نظر إلى حاجبه مغضبًا يقول له: أيدخل علي كل من أراد الدخول؟ فعلم درواس أنه عناه، فقال: يا أمير المؤمنين، أخل بك دخولي عليك، وحصل لي شرف بدخولي إلى مجلسك، ولما رأيت الناس دخلوا في أمر اجتمعوا عليه دخلت معهم، وإن أذنت لي في الكلام تكلمت، فقال هشام: لله أبوك تكلم، فما أرى صاحب القوم غيرك، فقال: يا أمير المؤمنين، قد تتابعت علينا سنون ثلاثة، فالأولى: قد أذابت الشحم، والثانية: قد أكلت اللحم، والثالثة: قد مصت العظم، ولله في أيديكم أموال فإن تكن له فاعطفوا بها على عباده، وإن تكن لهم فعلام تحبسونها عنهم؟ وإن تكن لكم فتصدقوا بها عليهم فإن الله يجزي المتصدقين، ولا يضيع أجر المحسنين، فقال هشام: لله أبوك، ما تركت لنا واحدة من الثلاثة، ثم أمر بمائة ألف دينار فقسمت بين الناس، وأمر لدرواس بمائة ألف درهم، فقال له: هل حصل لكل رجل مثلها، فقال: لا، ولا يقوم بذلك بيت المال، فقال درواس: لا حاجة لي فيما يبعث على ذمك، ودعا إلى قبيلته، فأمر هشام بإنفاذها إليه، فلما وصلت قسم منها تسعين ألفًا على تسعة من القبائل وأبقى له ولحيه عشرة آلاف، فلما قيل ذلك لهشام قال: لله دره إن الصنيعة تبعث على شرف الطباع.

الحكاية الخامسة والعشرون بعد المائة

فيما وقع لأم معاوية

«حكي» أن هندًا بنت عتبة[1] كانت ذات جمال ومال، ولها من كل جنس من الحيوان ألف رأس، ومن العبيد ألف مملوك، وكان لها هودج من العود مكال بالدر والجواهر، وكان زوجها الفاكه بن المغيرة أحد فتيان قريش، وكان مضيافًا تأتيه الناس ويدخلون عليه من غير حجاب، فخرج يومًا لبعض حوائجه فأقبل بعض أصدقائه ودخل البيت، فرأى هندًا داخلة فرجع حياء فاستقبل الفاكه في خروجه من البيت، ودخل الفاكه البيت، فرأى هندًا زوجته فارتاب وخاصمها، وقال لها: الحقي بأهلك، فتكلم الناس في أمرها، فاتصل الخبر إلى أبيها عتبة فخلا بها وقال: إن الناس قد خاضوا في عرضك فأكثروا، فاصدقيني الخبر، فإن كان ما يقولون حقًّا بعثت من يقتل الفاكه سرًّا ونتخلص منه، وإن كان باطلاً حاكمته إلى بعض كهان اليمن؛ لتبين براءتك ونقتصر عنه، فحلفت له أيمانًا يثق بها أنها بريئة مما قيل فيها، فأرسل أبوها إلى الفاكه وألزمه المحاكمة إلى الكاهن المتعين في ذلك الوقت وقال: قد رميتها بداهية فلا بد من المحاكمة، فخرج الفاكه في جماعة من بني عبد الدار، وخرجت هند في جماعة من نساء بني أمية.

فلما فارقوا البلد وقربوا من الكاهن رآها أبوها قد شحب لونها وتغيرت وتحيرت في أمرها، فقال لها أبوها: ما لي أراك بهذا الحال؟ فقالت: والله ما ذاك لمكروه عندي، ولكني آتي بشرًا قد يخطئ وقد يصيب فلا آمنه أن يرميني بداهية من غير أصل فيصير ذلك سبة علينا أبد الدهر، فقال لها أبوها: نحن نخبأ له خبيئة ونمتحنه بها، فإن أخبرنا بها استدللنا

---

(١) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، صحابية قرشية عالية الشهرة، (١٤هـ): وهي أم الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، تزوجت أباه بعد مفارقتها لزوجها الأول الفاكه بن المغيرة المخزومي، في خبر طويل من طرائف أخبار الجاهلية، وكانت فصيحة جريئة، صاحبة رأي وحزم ونفس وأنفة، تقول الشعر الجيد وأكثر ما عرف من شعرها مراثيها لقتلى بدر من مشركي قريش قبل أن تسلم، ووقفت بعد وقعة بدر في وقعة أحد ومعها بعض النسوة، يمثلن بقتلى المسلمين، ويجدعن آذانهم وأنوفهم، وتجعلها هند قلائد وخلاخيل. ثم كانت ممن أهدر النبي ﷺ دماءهم يوم فتح مكة، وأمر بقتلهم ولو وجدوا تحت أستار الكعبة، فجاءته مع بعض النسوة في الأبطح، فأعلنت إسلامها ورحب بها، وأخذ البيعة عليهن. الأعلام للزركلي (٨/ ٩٨).

على علمه واستفتيناه وإلا تركناه، ثم أخذوا حبة حنطة وجعلوها في إحليل فرس، فلما انتهوا إليه أنزلهم وأكرمهم فقالوا له: قد جئناك في أمر وقد خبأنا خبيئة نختبرك بها فانظر ما هي؟ فقال: ثمرة في كمرة، فقالوا: نريد أبين من هذا، فقال: حبة بر في إحليل مهر، فقالوا: صدقت، فانظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يدنو من واحدة بعد واحدة ويقول: ما هي هذه، حتى وصل إلى هند فضرب كتفها بيده وقال: والله ما أنت بزانية، وإنك بريئة مما يقولون، وستلدين ملكًا اسمه معاوية، فلما بلغ الفاكه مقالته نهض إليها، وأقبل عليها، وقبل رأسها فنهرته، وقالت له: ابعد عني فوالله لأجتهدن أن يكون هذا الملك من غيرك، ولم تزل به حتى طلقها، ولما شاع قول الكاهن بولادتها ملكًا رغب الناس فيها كثيرًا من الأكابر حتى خطبها أبو سفيان وبذل لها من المال ما يجل ذكره، فرضيت به فتزوجها، فولدت له معاوية، وصار من أمره أن ملك مشارق الأرض ومغاربها، والله أعلم.

الحكاية السادسة والعشرون بعد المائة

في الوقوع فيما لا يغني

«حكي» عن الفضل بن الربيع[1] قال: قال لي الرشيد يومًا: اطلب لي حجامًا أسكت من الحجر، فقلت له: إن لي غلامًا سكوتًا، فقال: ابعثه لي، فبعثته، وأكدت عليه في السكوت وعدم النطق بشيء، وأن يتأهب أحسن أهبة، ثم بعد ذلك دخلت على الرشيد فوجدته عبوسًا مغضبًا، فقال يا فضل: إن لذلك شأنًا، وإنا لا نراه بعد، فلم أرد عليه، ثم سألت فراشًا مختصًا به عن خبره، فقيل إنه لما أبدى المحجمة قال: يا أمير المؤمنين إني أسألك عن شيء، فقال: ما هو؟ فقال: لم قدمت محمدًا على المأمون والمأمون أسن منه؟ فقال: أرد لك الجواب إذا فرغت، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى قال: وأسألك يا أمير المؤمنين عن شيء آخر، قال: وما هو؟ فقال: لم قتلت جعفر بن يحيى؟ فقال له: أخبرك به إذا

---

(١) الفضل بن الربيع بن يونس أبو العباس، وزير أديب حازم، (١٣-٢٠٨هـ): كان أبوه وزيرًا للمنصور العباسي، واستحجبه المنصور لما ولى أباه الوزارة، فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان صاحب الترجمة من كبار خصومهم، حتى ضربهم الرشيد تلك الضربة، قال صاحب غربال الزمان: وكانت نكبتهم على يديه. وولي الوزارة إلى أن مات الرشيد، ولما ظفر المأمون استتر الفضل (سنة ١٩٦هـ) ثم عفا عنه المأمون وأهمله بقية حياته، وتوفي بطوس، وهو من أحفاد أبي فروة كيسان مولى عثمان بن عفان. الأعلام للزركلي (٥/ ١٤٨).

فرغت، فقال: وأسألك عن شيء آخر قال: قل، فقال: لم اخترت الرقة على بغداد وبغداد أطيب منها؟ فقال له: جوابك عن ذلك إذا فرغت، فلما فرغ دعا مسرورًا خادمه وقال له: لا تشرب الماء البارد دون أن تقتله، فإنه يسألني عن ثلاث مسائل لو سألني عنها المنصور ما أجبته، قال الفضل: فبينما أنا قاعد إذ دخل أبو دلامة على الرشيد باكيًا وقد تواطأ مع أم دلامة على أنه يدخل على الرشيد وينعيها إليه، وأنها تذهب إلى زبيدة وتنعيه إليها، فلما رآه الرشيد باكيًا قال له: ما بالك تبكي؟ فقال:

وكنَّا كذي زوجي قَطًا في مَفَازَةٍ ... من الأمن في عيش رخى وفي رغد

فأفرَدَنَا رَيبُ الزَّمَانِ بِصَرفِهِ ... ولم أرَ شيئاً قَطُّ أوحَشَ مِن فَردِ

ثم أعلن بالنحيب والعويل، ثم قال: يا أمير المؤمنين، ماتت أم دلامة وأنا محتاج إلى تجهيزها، فأمر له بمال، وكانت أم دلامة دخلت على زبيدة وهي باكية، فقالت لها: ما بالك؟ فقالت: إن أبا دلامة مضى لسبيله، فأعطتها ما تجهزه به، فذهبت، ثم دخل الرشيد على زبيدة مغضبًا من أسئلة الحجام وموت أم دلامة، فقالت له زبيدة: ما لي أراك حزينًا؟ فأخبرها بذلك، فضحكت، وقالت: الآن خرجت أم دلامة من عندي لتجهيز أبي دلامة، فقال: والآن خرج أبو دلامة من عندي لتجهيز أم دلامة، قال الفضل: فخرج الرشيد علي مستغرقًا في الضحك فعجبت منه، دخل حزينًا وخرج مسرورًا، فاستخبرته فحكى لي ما جرى، فشفعت في الحجام حينئذ، فقبل وأطلقه، واستحضر أبا دلامة وقال له: ما حملك على هذا؟ فقال: مه يا أمير المؤمنين؛ لئلا يقال أنه لا يتوسل إلى عطاء أمير المؤمنين إلا بالحيلة، فضحكنا جميعًا من ظرافة حيلهما، والله أعلم.

الحكاية السابعة والعشرون بعد المائة

في خبر المتمناة بنت الهيثم

«حكى» الأصمعي قال: حضرت موسمًا بالمدينة المنورة فأتانا فقراء البادية من كل ناحية، وإذا صبية وضيئة الوجه تتخلل الرجال وهي تسأل بكلام أرق من الهواء، وأدق من الهباء، فنظرت إلى وجه يملأ العيون حسنًا وجمالاً، فغضضت طرفي عيني وتعوذت بالله من الشيطان، ثم قلت: يا جارية أيحل لك أن تسفري عن هذا الوجه الجميل بين هؤلاء الخلق في هذا الموسم؟ فبكت وأنشدت تقول:

لم أبــــده حتـــى تقـــضت حيلتـــي أبديتـــه وهـــو الأعـــز الأكـــرم
ويعـــز إبـــداؤه عـــلي لأنـــه دهـــر يجـــور كـــما تـــراه ويظلـــم
قـــد صـــنته وحجبتـــه حتـــى إذا لم يبـــق لي ســـند ومـــات الهيـــثم
أبرزتـــه مـــن خـــدره مقهـــورة والله يـــشهد لي بـــذاك ويعلـــم
كـــشف الزمـــان قناعـــه في بلـــدة قـــل الـــصديق بهـــا وعـــز الـــدرهم
أصـــبحت في أرض الحجـــاز غريبـــة وأبـــو ربيعـــة نـــازح ومخـــيم[1]

فدنوت منها ودفعت لها ما تيسر ثم قلت لها: يا جارية ما اسمك؟ فقالت: المتمناة بنت الهيثم، قتل أبي في المحاربة، وبقيت في القوم على حالتي هذه، قال الأصمعي: فتركتها ثم اتفق حضور الرحبة، فذكرت قصتها لأبي كلثوم طوق بن مالك بن طوق[2]، فلما كان في العام القابل استزارني أبو كلثوم المذكور فحضرت عنده، ومكثت أيامًا، فلما كان في بعض الأوقات دخل علينا خادم وضيء الوجه، ومعه دست من الثياب وكيس فوضعهما بين يدي، فلم أدر حالها، فالتفت إلي أبو كلثوم وقال: يا أبا العباس هذا حق دلالتك، هذه

---

(١) انظر الأبيات في: الفرج بعد الشدة للتنوخي (١/ ١٥٥).

(٢) مالك بن طوق بن عتاب التغلبي، أبو كلثوم، (٢٥٩هـ): أمير كان من الأشراف الفرسان الأجواد، ولي إمرة دمشق للمتوكل العباسي، وبنى بمساعدة الرشيد بلدة الرحبة التي على الفرات، وتعرف بـ«رحبة مالك» نسبة إليه، وكثر سكانها في أيامه، وكان فصيحًا له شعر. الأعلام للزركلي (٥/ ٢٦٢).

هدية المتمناة بنت الهيثم، لطف الله بها ببركاتك، فإنك لما أخبرتنا بخبرها أنفذت من جاء بها وتزوجتها، وأخبرتها بحديثك عنها فشكرت فعلك، وأنا أشكر أضعاف شكرها.

الحكاية الثامنة والعشرون بعد المائة

في الإدراك والفصاحة

«حكي» أن رجلاً من دهاة العرب يقال له: شن، قد حلف أنه لا يتزوج إلا بمن تلائمه، وكان يجوب البلاد والقبائل في طلبها، فصاحبه في بعض أسفاره رجل، فلما طال عليهما السفر قال شن للرجل: أتحملني أم أحملك؟ فقال له الرجل: يا جاهل أيحمل الراكب الراكب، فأمسك عنه، فأتيا على زرع قد استوى، فقال شن للرجل: أترى هذا الزرع أكل أم لا؟ فقال: يا جاهل، أما تراه باقيًا في سنبله، فأمسك عنه، ثم استقبلتهما جنازة فقال شن: أترى صاحب هذه الجنازة حيًّا أم لا؟ فقال الرجل: ما رأيت أجهل منك، تراه يحمل إلى المقابر وهو حي، فلما وصل رحله الرجل سار به إلى منزله، وكانت له بنت تسمى: طبقة، فأخذ أبوها يذكر لها حديث شن، فقالت: ما نطق إلا بالصواب، وما استفهمك إلا بما يستفهم عن مثله، أما قوله: «أتحملني أم أحملك؟» فمراده: أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع الطريق، وأما قوله عن الزرع: «أكل أم لا؟» فمراده: هل أصحابه استغلوا ثمنه أم لا؟ وأما قوله في الجنازة فمراده: هل خلف عقبًا يحيا ذكره بهم أم لا؟ فلما خرج الرجل إلى شن حدثه بحديث ابنته وتفسيرها كلامه، فرضيها حليلة له، فخطبها من أبيها وتزوج بها، وذهب بها إلى قومه، وعلموا حالها من الدهاء، فقالوا: وافق شن طبقة، فصار مثلاً، والله أعلم.

الحكاية التاسعة والعشرون بعد المائة

في الالتجاء إلى الله وما يترتب عليه

«حكي» عن بعضهم أنه باع جارية له ثم ندم عليها، واستحيى من الناس أن يظهر حاله ذلك لهم، فكتب على كفيه حاجته، فقال: يا مجيب الدعاء، أنت تعلم ما أريد، ولم يقل بلسانه شيئًا، ورفع يديه إلى السماء، فلما أصبح سمع قارعًا على بابه فقال له: من هذا؟ فقال: هذا مشتري الجارية قد جاء بها إليك، ففرح فرحًا شديدًا، فأخذها وقال له: اصبر حتى أدفع لك الثمن، فقال: لست أريد منك الثمن، وإني قد أخذت بدله خيرًا منه، فإني

رأيت في المنام قائلاً يقول: يا هذا، إن بائع الجارية ولي من أولياء الله تعالى وإنه متعلق قلبه بها، فإن رددتها إليه بلا ثمن أدخلتك الجنة، وأعطيتك بدلها من الحور، وقد آثرت الثواب بذلك على الثمن فلا آخذه، ومضى.

الحكاية الثلاثون بعد المائة

في عدم فائدة الهرب من الموت

«حكي» أن ملكًا من ملوك العادية في الزمن الأول أتاه ملك الموت؛ ليقبض روحه، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا ملك الموت جئت لقبض روحك، فقال: أسألك أن تمهلني سبعة أعوام؛ لأستعد للموت، فأوحى الله إليه قل له: قد أمهلتك ذلك، فقال له ذلك وخرج من عنده، فأمر الملك أن يعمل له حصن وثيق، وعمل وراءه سبع خنادق، وجعل له حوائط من الحجارة، وجعل عليه بابًا من الحديد والرصاص، وجعل له في ذلك الحصن قصرًا عظيمًا يتحصن فيه من الموت، وقال لبوابه وحجابه: لا تتركوا أحدًا يدخل علي أبدًا، فلما فرغت المدة دخل عليه ملك الموت، فلما رآه قال له: من أين جئت؟ ومن أين دخلت؟ ومن أدخلك؟ فقال له ملك الموت: أدخلني صاحب الدار، فدعا الملك بحجابه وبوابيه فقال لهم: لم تركتم هذا حتى دخل علي؟ فحلفوا له أنهم لم يروه، ولا تركوه، ولم يروا أحدًا، وهذه الأبواب مغلقة والمفاتيح محفوظة، فقال له ملك الموت: إن صاحب الدار لا يحتاج إلى حائط، ولا يمنع رسله جدران ولا أسوار ولا خنادق، فقال له الملك: فماذا مرادك يا هذا؟ فقال: أقبض روحك، فقال له: ولابد من ذلك، فقال: نعم، فقال: وإلى أين أذهب إذا قبضت روحي؟ قال: إلى البيت الذي بنيته، والمهد الذي مهدته لنفسك، فقال: إني ما بنيت لنفسي بيتًا، قال: بلى، قال: وأين البيت؟ قال: في ﴿لَظَى * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ [المعارج:١٥-١٨] ثم قبض روحه ومضى.

الحكاية الحادية والثلاثون بعد المائة

في عدم إمكان التخلص من الموت

«حكي» عن وهب بن منبه أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم ﷺ أن تزود زادًا وسر في الأرض ترَ عجبًا، فتزود ثم سار حتى انتهى إلى ساحل البحر فإذا هو بعبد أسود يرعى غنمًا، فقال: يا غلام، أعندك ماء أو لبن؟ قال: عندي، فأيهما شئت سقيتك منه، فقال: اسقني شربة من الماء، فانطلق الغلام ومعه عصا حتى أتى صخرة فقال: عزمت عليك أيتها الصخرة بحق خليل الرحمن إلا ما تفجرت لي عينًا من الماء ثم ضربها بالعصا فانفجرت بقدرة الله تعالى، فأتاه بماء منها، فشرب ﷺ ثم صار ينظر إلى الغلام، فقال له الغلام: أتعجب من هذا؟ فقال: كيف لا أعجب منه ولم أر مثله، فقال له: أنا أحدثك بأعجب منه، بلغني أن الله تعالى اتخذ من الأنبياء خليلاً، وإني ما سألت ربي شيئًا بحق ذلك الخليل إلا أعطاه لي، فقال له: يا غلام، أنا ذلك الخليل، فقال له: أنت ذلك الخليل، قال: نعم، فشهق ذلك الغلام شهقة فمات مكانه، فنزل من السماء عمود من نور فاختطفه، فلم يدر هل السماء رفعته أو الأرض ابتلعته.

ثم مشى إبراهيم ﷺ حتى صعد جبلاً فإذا بيت له بابان بمصراعين، فدخل فيه، فإذا فيه سرير عليه رجل ميت، وعليه سبعون حلة، وعند رأسه لوح مكتوب عليه: أنا شداد بن عاد[1]، عشت ألف سنة، وهزمت ألف جيش، وتزوجت ألف بكر، وولد لي ألف ولد ذكر، وبنيت أرم ذات العماد، فلما كان عند موتي احتلت بالحيل كلها، وجمعت أطباء الأرض في مملكتي، فلم يقدروا على أن يردوا عني الموت، فمن نظر إلي فلا يغتر بالدنيا، ثم قال: هونوها على أنفسكم أيها الناس، فإنكم لا تملكون أكثر مما ملكت، ولا تعيشون أكثر مما عشت، ولا تجمعون أكثر مما جمعت، ولا ترزقون من الأولاد أكثر مما رزقت، ألا وإن

(١) شداد بن عاد بن ملطاط بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن حمير، من قحطان، ملك يماني جاهلي قديم، من ملوك الدولة الحميرية، اتفقت عليه كلمة أولي الرأي من حمير وقحطان بعد وفاة النعمان بن يعفر، فولوه الملك في صنعاء، فكان حازمًا مغوارًا، غزا البلاد إلى أن بلغ أرمينية، وعاد إلى الشام فزحف إلى المغرب يبني المدن ويتخذ المصانع، ولما رجع إلى اليمن مضى إلى مأرب فبنى فيه قصرًا بجانب السد لم يكن في الدنيا مثله، ولما مات نقبت له مغارة في جبل «شبام» ودفن بها ومعه جميع أمواله. الأعلام للزركلي (٣/ ١٥٩).

الدنيا خداعة قتالة، لعابة بأهلها، ثم خرج إبراهيم من ذلك المكان، فأوحى الله إليه يقول له: كيف رأيت؟ فقال: يا رب، رأيت أمورًا عجيبة، فقال له الله تعالى: ارجع يا إبراهيم، فإن عجائبي كثيرة لا طاقة لك على رؤيتها.

الحكاية الثانية والثلاثون بعد المائة

فيما وقع للمأمون مع عمه إبراهيم

«حكي» عن الواقدي مما شحنت به الكتب قال: كان إبراهيم بن المهدي أخو هارون الرشيد ادعى الخلافة بالري بعد موت أخيه في زمن ابن أخيه أمير المؤمنين المأمون، ومكث مالكًا للري نحو ثلاثين شهرًا، ثم دخل المأمون إلى الري فاختفى عمه إبراهيم المذكور، فجد في طلبه وجعل لمن أتى به مائة ألف درهم أو دينار، فقال إبراهيم: فخفت على نفسي وتحيرت في أمري وضاقت علي الأرض، فما أدري أين أتوجه؟ فخرجت من داري متنكرًا وقت الظهيرة وكان يومًا شديد الحرّ، فوقعت في شارع غير نافذ، فقلت: ﴿إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦] قد عرضت نفسي للعطب، إن عدت على أثري يرتاب في أمري وأنا على حالة المنكر، فرأيت في صدر الشارع عبدًا أسود قائمًا على باب داره، فذهبت إليه وقلت: هل عندك موضع أقيل فيه ساعة من النهار؟ فقال: نعم، ففتح الباب وقال: ادخل، فدخلت إلى بيت نظيف فيه فرش وبسط، ومخادع من الجلود النظيفة، ثم أغلق علي الباب ومضى، فتوهمت أنه طمع في الجعالة[1] وأنه خرج يدل علي فصرت أتقلى على الجمر، فبينما أنا كذلك إذ أقبل ومعه حمال معه كل ما يحتاج إليه من: خبز، ولحم، وقدر جديدة، وجرة جديدة، وكيزان جدد، فحط من الحمال وصرفه، ثم التفت إلي وقال: جعلني الله فداءك يا سيدي، أنا رجل حجام، وأنا أعلم أنك تعرف ما أتولاه من معيشتي، وربما لا تقبله نفسك، فشأنك وهذه الأشياء التي لم تقع عليها يد، فافعل ما تريد بها.

وولى عني، وكنت في جوعة عظيمة، فطبخت لنفسي قدرًا ما أذكر أني أكلت ألذ منها، فلما قضيت أربي من الأكل قال لي: يا مولاي هل لك في الشراب فإنه يسلي الهم، ويطيب النفس، ويذهب الغم؟ فقلت: لا أكره ذلك رغبة في مؤانسته، فجاء بأواني زجاج جديدة لم تمسها يد، وجرة مطينة وقال: يا مولاي روق لنفسك كما تحب، فروقت شرابًا في

---

(١) الجعالة بالفتح: الرَّشْوة. لسان العرب (١١/ ١١٠).

غاية الحسن والجودة، وأحضر لي قدحًا جديدًا، وفاكهة وزهورًا في طسوس فخار جديدة، فقال: أتأذن لي أن أجلس وأشرب وحدي سرورًا بك، فقلت له: افعل، فشربت وشرب، فلما أحس بالشراب دبَّ فينا، قام ودخل خزانة وأخرج منها عودًا مصفحًا، ثم قال لي: يا سيدي ليس من قدري أن أتهجم عليك وأسألك الغناء، ولكن قد وجب على مروءتك حق حرمتي، فإن رأيت أن تسر عبدك فلك علو الرأي، فقلت له: ومن أين لك أني أحسن الغناء؟ فقال: سبحان الله يا مولاي، أنت بذلك أشهر من كذا وكذا، أنت مولاي إبراهيم بن المهدي خليفتنا بالأمس الذي جعل المأمون لمن يدل عليك مائة ألف من المال، وعليك مني الأمان، فلما قال لي ذلك عظم في عيني، وبانت مروءته عندي، فتناولت العود وأصلحته، وقد مرَّ بخاطري فراق أولادي ووطني، وهذا والله لا يحمله كل أسير فقلت:

وعسى الذي أهدى ليوسف أهله ... وأعزه في السجن وهو أسير

أن يستجيب لنا ويجمع شملنا ... والله رب العالمين قدير[1]

فاستولى على الحجام الطرب المفرط خصوصًا مع الشراب اللذيذ، وكان يقال: إن إبراهيم إذا قال لغلامه يا غلام شد البغلة، يحصل لسامعه طرب بذلك، ولما طابت نفس الحجام وتحكم فيه الانبساط قال: يا سيدي أتأذن لي أن أغني بما سنح بخاطري وإن كنت غير أهل لذلك، فقلت: إن هذا من زيادة مروءتك علي، وكمالك، وحسن أدبك، فأخذ العود وقال:

شكونا إلى أحبابنا طول ليلنا ... فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا

ومازال فرط النوم يغشى عيونهم ... سريعًا ولا يغشي لنا النوم أعينا

إذا ما دنا الليل المضر بذي الهوى ... جزعنا وهم يستبشرون إذا دنا

فلو أنهم كانوا يلاقون مثل ما ... نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

فداخلني من الطرب ما لا مزيد عليه حتى حسبت أن البيت كاد أن يسير بي من الطرب، وذهب عني كل ما كان عندي من الجزع، ثم سألته أن يغني أيضًا فقال: يا سيدي

---

(١) انظر: المستجاد من فعلات الأجواد (ص٢١)، وثمرات الأوراق (ص٧٢).

حبًا وكرامة، فأنشد:

تُعَيِّرُنـــا أَنّـــا قَليـــلٌ عَديـــدُنا فَقُلـــتُ لَهـــا إِنَّ الكِـــرامَ قَليـــلُ
وَمـــا ضَرَّنـــا أَنّـــا قَليـــلٌ وَجارُنـــا عَزيـــزٌ وَجـــارُ الأَكثَـــرينَ ذَليـــلُ
وَإِنّـــا لَقَـــومٌ لا نَـــرى القَتـــلَ سُـــبَّةً إِذا مـــا رَأَتـــهُ عـــامِرٌ وَسَـــلولُ
يُقَـــرِّبُ حُـــبُّ المَـــوتِ آجالَنـــا لَنـــا وَتَكرَهُـــهُ أعمارهـــم[1] فَتَطـــولُ

قال إبراهيم: فاشتد علي الطرب ونمت، ولم أستيقظ إلا بعد العشاء، فغسلت وجهي وعاودني فكري في نفاسة هذا الحجام، وحسن أدبه، وظرفه، فأيقظته وأخرجت كيسًا كان معي فيه دنانير فرميتها كلها إليه، وقلت له: أستودعك الله تعالى، وأسألك أن تتصرف في هذا، ولك عندي المزيد إذا أنا أمنت من خوفي، فأعاد علي الحجام الكيس وقال: يا سيدي، إن الصعاليك مثلنا لا قدر لهم عندك، آخذ على ما وهبني الزمان من قربك وحلولك عندي ثمنًا! والله لئن راجعتني في ذلك لأقتلن نفسي، فأخذت الكيس وقد أثقلني حمله، فلما خرجت من عنده بعد أيام اتسع علي الخيال، وأخذتني هواجس الخوف، وقد جربت أنا اتساع خوف من يجني فإنه يخيل إليه وهمه وخوفه أن كل أحد ينظر إليه، وأن كل أحد يعرفه ويعرف مكانه، فلا تستقر نفسه بمكان واحد، وإن استقرت فيكون اضطرارًا، ولقد تحولت في نحو ثمان ليال إلى كذا وكذا موضعًا في ظلمات الليل، وبي من الأوجاع ما الله يعلمه، قال إبراهيم: فجئت لأعبر الجسر وكان الجسر إذ ذاك موضع تنزه الناس، وفيه يقول ابن الجهم الشاعر:

عُيـــونُ المَهـــا بَـــينَ الرُصـــافَةِ وَالجِســـرِ جَلَبنَ الهَوى مِن حَيثُ أَدري وَلا أَدري

وكان الجسر مرشوشًا رشًا مزلقًا، فنظر إلي جندي كان يخدمني فعرفني، فقال: هذا طلبة أمير المؤمنين، فتعلق بي فمن حلاوة الروح دفعته مع فرسه دفعة مزعجة فرميتها في ذلك الزلق، فصار عبرة، فاجتمع الناس عليه فاجتهدت في الإسراع حتى قطعت الجسر ودخلت شارعًا فوجدت باب دار مفتوحة وبدهليزه امرأة فقلت لها: يا سيدة النساء، ارحميني واحفظي دمي، فإني رجل خائف، فقالت: على الرحب والسعة والإكرام،

---

(١) الأبيات من قصيدة لـ«السموأل» بلفظ: آجالهم، من بحر الطويل، ولكنها غير مرتبة.

وأطلعتني غرفة، وفرشت لي فرشًا، وقدمت لي طعامًا، وقالت: أهدئ روعك، فما علم بك أحد، ثم إن بابها طرق طرقًا مزعجًا، فخرجت، وفتحت الباب، فإذا هو زوجها الذي دفعته بفرسه على الجسر، وهو معصوب الرأس ودمه يجري على ثيابه، وليس معه فرسه، فقالت له امرأته: ما دهاك؟ فقال: ظفرت اليوم بالغنى وانفلت مني، وقصَّ عليها القصة، فأخرجت له خرقًا، وحشت له جراحه وعصبته، وفرشت له ونام ضعيفًا، وطلعت إلي وقالت: لعلك صاحب القضية مع زوجي، فقلت لها: نعم، فقالت: لا بأس عليك، وأنت في كرامتي ما دام زوجي عليلاً.

فأقمت عندها ثلاثة أيام في أعز إكرام ثم قالت لي: إن زوجي عوفي وأخاف أن يطلع عليك، فينم بك، فانج بنفسك سالمًا، فصبرت إلى الليل ولبست زي النساء فخرجت، وأتيت إلى بيت مولاة لي كانت جارية لي وأعتقتها، فلما رأتني بكت، وتوجعت، وحمدت الله على سلامتي، وخرجت كأنها تريد السوق؛ لتأتيني بطعام، فإذا هي دلت علي وأحضرت لي إبراهيم الموصلي بخيله ورجاله، وهي معه حتى سلمتني إليه، فلما شاهدت الموت عيانًا وحملت بالهيئة التي أنا عليها في زي النساء إلى المأمون فجلس مجلسًا عامًا وأدخلني إليه، فلما مثلت بين يديه سلمت عليه بالخلافة، فقال: لا سلمك الله ولا حياك، فقلت: على رسلك، إن ولي الثأر محكم في القصاص والعفو، وأنت تعلم أن العفو أقرب للتقوى، وقد جعل عفوك فوق كل عفو، كما جعل ذنبي فوق كل ذنب، فإن أخذت فبحقك، وإن عفوت فبفضلك، كما قيل:

ذنبـــــي إليـــــك عظـــــيم   وأنـــــت أعظـــــم منـــــه
فخـــــذ بحقـــــك أولاً   فاصـــــفح بحلمـــــك عنـــــه[1]
إن لم أكـــــن في فعـــــالي   مـــــن الكـــــرام فكنـــــه

---

(١) هناك بيتان مشابهان للبيتين الأولين منسوبان لـ«إسحاق الموصلي» من بحر المجتث، وهما:

أتيـــتُ ذَنْبًـــا عظـــيمًا   وأنـــتَ أعظـــمُ مِنـــهُ
فَخُـــذ بِحقِّـــكَ أولاً   فاصـــفح بِفَـــضلِكَ عَنـــهُ

فرفع رأسه إلي في صورة المغضب فبادرت وقلت:

أذنبـــت ذنبًـــا عظـــيمًا وأنـــت للعفـــو أهـــل

فـــإن عفـــوت فمـــن وإن أبيـــت فعـــدل

قال: فرقَّ لي المأمون واستروحت منه روائح الرحمة في شمائله، فالتفت إلى العباس وأخيه أبي إسحاق ومن حضر من خاصته من بني العباس وغيرهم وقال: ما ترون في أمره؟ فكل منهم أشار بالقتل، لكن اختلفوا في عينه على جاري عوائد محاضر الخير عند الملوك الذين ما فيهم من يقرض الله قرضًا حسنًا خصوصًا من يعلم أن الأيام مداولة، فقال المأمون لأحمد بن خالد: ما تقول يا أحمد؟ وكان يقظًا فطنًا، سريع الإدراك لإشارات الخلفاء ومقاصدهم، وفهم أن غرض المأمون العفو، ولكن قصده من يعول على كلامه، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك إن قتلته وجدت مثلك فعل ذلك مع مثله، وإن عفوت عنه لم تجد مثلك فعل ذلك مع مثله، فنكس المأمون رأسه في الأرض طويلاً وأنشد يقول:

قـــوم هـــو قتلـــوا أمـــيم أخـــي فلـــئن رميـــت أصـــابني ســـهمي

فلما رأيت ذلك رميت المقنعة عن رأسي وكبرت تكبيرة ضجَّ لها المجلس، وقلت: عفا الله عن أمير المؤمنين، فالتفت المأمون إلي وقال لي: لا بأس عليك يا عم، فقلت: يا أمير المؤمنين، ذنبي أعظم من أن أتفوه معه بعذر، وعفوك أعظم من أن أنطلق معه بشكر، ثم طفقت أقول:

إن الـــذي خلـــق المكـــارم حازهـــا في صـــلب آدم للإمـــام الـــسابع

ملئـــت قلـــوب النـــاس منـــك مهابـــة وتظـــل تكـــاؤهم بقلـــب خاشـــع

مـــا إن عـــصيتك والغـــوات تمـــد لي أســـبابها إلا بنيـــه طـــائع

فعفـــوت عمـــن لم يكـــن عـــن مثلـــه عفـــو ولم يـــشفع إليـــك شـــافع

ورحمـــت أفراخًـــا كـــأفراخ القطـــا وحنـــين والـــدة بقلـــب جـــازع[1]

فقال: يا عم لا تثريب عليك، فقد عفوت عنك، ورددت عليك جميع ما أخذ منك،

(١) انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب (٦/ ٢١٢).

وأذنت لك في ملازمتي متى شئت، ثم قال: يا عم، أمنت حقدي بحياة عفوي فعفوت عنك، ولم أجرعك مرارة امتنان المتشفعين لك، ثم سجد المأمون طويلاً ورفع رأسه وقال: يا عم، أتدري لماذا سجدت؟ فقلت: شكرًا لله تعالى الذي ظفرك بعدو دولتك، فقال: ما أردت هذا، ولكن شكرًا لله الذي ألهمني العفو عنك، وصفاء الخاطر عليك، فحدثني الآن بما جرى لك، فشرحت له صورة أمري وما جرى لي مع الحجام، والجندي زوجته، ومولاتي، فأمر بإحضار الجميع، وكانت مولاتي في بيتها تنتظر الجائزة على قبضي، فقال لها المأمون لما أحضرها: ما حملك على ما فعلت بسيدك؟ فقالت: الرغبة في المال، فقال لها المأمون: هل لك ولد أو زوج؟ قالت: لا، فأمر بضربها مائتي سوط، وتخليد حبسها، ثم التفت إلى الجندي وقال له: أنت تصلح أن تكون حجامًا، ووكل به من يلزمه بحانوت الحجام إلى أن يتعلم الحجامة في أقفية اليتامى، وأكرم زوجته، وأدخلها قصر حرمه، وقال: هذه امرأة عاقلة تصلح للمهمات، ثم قال للحجام: ظهر لي من مروءتك ما يوجب المبالغة في إكرامك، وأمر أن يسلم له دار الجندي وما فيها، وخلع عليه، وأنعم له برزق كثير، وزيادة ألف دينار في كل سنة، فرحمهم الله أجمعين، وعفا عنهم إن كانوا من الخاطئين، والحمد لله رب العالمين.

الحكاية الثالثة والثلاثون بعد المائة

في الكرم والفصاحة

«حكي» عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وكان من أكابر الأجواد الكرام أنه نزل منزلاً وكان منصرفًا من الشام إلى الحجاز، فطلب من غلمانه طعامًا فلم يجدوا، فقال لوكيله: اذهب في هذه البرية فلعلك تجد راعيًا أو حيًّا فيه لبن أو طعام، فمضى بالغلمان فوقعوا على عجوز في حي، فقالوا لها: أعندك طعام نبتاعه؟ فقالت: أما طعام للبيع فلا، ولكن عندي ما به حاجة لي ولأبنائي، قالوا: فأين بنوك؟ قالت: في رعي لهم، وهذا أوان تأويبهم، قالوا: فما أعددت لك ولهم؟ قالت: خبزة تحت ملتها، تعني: الرماد الحار، قالوا: وما هو غير ذلك؟ قالت: لا شيء، قالوا: فجودي لنا بشطرها، فقالت: أما الشطر فلا أجود به، وأما الكل فخذوه، فقالوا لها: تمنعين النصف وتجودين بالكل، فقالت: نعم؛ لأن إعطاء الشطر نقيصة، وإعطاء الكل كمال وفضيلة، فأنا أمنع ما يضعني، وأمنح ما يرفعني،

فأخذوها، ولم تسألهم من هم ولا من أين جاءوا، فلما جاءوا إلى عبد الله وأخبروه بخبرها عجب من ذلك ثم قال لهم: احملوها إلي الساعة، فرجعوا إليها وقالوا لها: انطلقي معنا إلى صاحبنا فإنه يريدك، فقالت: ومن صاحبكم؟ قالوا: عبد الله بن عباس، قالت: ما أعرف هذا الاسم، ومن هذا العباس؟ قالوا: عم رسول الله ﷺ، قالت: وأبيكم هذا هو الشرف العالي وذروته الرفيعة، وماذا يريد مني؟ قالوا: مكافأتك وبرك، فقالت: أواه والله لو كان ما فعلت معروفًا ما أخذت له بدلاً! فكيف وهو شيء يجب على الخلق أن يشارك فيه بعضهم بعضًا؟! فلم يزالوا بها إلى أن أخذوها إليه، فلما وصلت إليه سلمت عليه فرد عليها السلام، وقرب مجلسها، ثم قال لها: ممن أنت؟ قالت: من بني كلب، قال: فكيف حالك؟ قالت: أسهر اليسير، وأهجع أكثر الليل، وأرى قرة العين في شيء، فلم يك من الدنيا شيء إلا وقد وجدته، قال: فما ادخرت لبنيك إذا حضروا؟ قالت: وأدخر لهم ما قاله حاتم طيء:

وَلَقَدْ أَبِيتُ عَلَى الطَّوى وَأَظَلُّهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ المَأْكَلِ[1]

فازداد عبد الله منها تعجبًا ثم قال لها: لو جاء بنوك وهم جياع ما كنت تصنعين، فقالت: يا هذا، لقد عظمت عندك هذا الخبزة حتى أكثرت فيها مقالك، وأشغلت بها بالك، الهِ عن هذا فإنه يفسد النفس ويؤثر في الخسة، فقال عبد الله: أحضروا لي أولادها، فأحضروهم، فلما دنوا منه رأوا أمهم وسلموا فأدناهم إليه، وقال: إني لم أطلبكم وأمكم لمكروه وإنما أحب أن أصلح من شأنكم وألم شعثكم[2]، فقالوا: إن هذا قل إلا أن يكون عن سؤال أو مكافأة لفعل قديم، قال: ليس شيء من ذلك، ولكن جاورتكم هذه الليلة فأحببت أن أضع بعض ما لي فيكم، قالوا: يا هذا، نحن في خفض عيش وكفاف من الرزق، فوجهه نحو من يستحقه، وإن أردت النوال مبتدأ من غير سؤال تقدم، فمعروفك مشكور، وبرك مقبول، فقال: نعم، هو ذاك، وأمر لهم بعشرة آلاف درهم وعشرين ناقة، فقالت العجوز لأولادها: ليقل كل واحد منكم شيئًا من الشعر، وأنا أتبعكم في شيء منه،

---

(١) البيت منسوب لـ«عنترة بن شداد» من بحر الكامل.

(٢) الشَّعَثُ بفتحتين: انتِشارُ الأَمْرِ، يقال: لَمَّ اللهُ شَعَثَكَ؛ أي: جَمَعَ أَمْرَكَ المُنْتَشِر. مختار الصحاح (١/ ١٦٢).

فقال الأكبر:

شهدت عليك بطيب الكلام وطيب الفعال وطيب الخبر

وقال الأوسط:

تبرعت بالجود قبل السؤال فعال عظيم كريم الخطر

وقال الأصغر:

وحق لمن كان ذا فعله بأن يسترق رقاب البشر

وقالت العجوز:

فعمرك الله من ماجد ووقيت كل الردى والحذر

الحكاية الرابعة والثلاثون بعد المائة

في فضل الصدقة

«روي» أن عبد الله بن المبارك دخل الكوفة وهو قاصد الحج، فرأى امرأة تنتف بطة على مزبلة، فوقع في نفسه أنها ميتة، فوقف عليها فقال لها: يا هذه هل هذه ميتة أو مذبوحة؟ فقالت: ميتة وأريد أن آكلها أنا وعيالي، فقال لها: إن الله قد حرم الميتة، وأنت في هذه البلدة تأكلينها، فقالت له: يا هذا انصرف عني، فلم يزل يراجعها حتى قالت له: إن لي أطفالاً ولهم ثلاثة أيام لم أجد ما أطعمهم به، فانصرف عنها ثم حمَّل بغلته طعامًا وكسوة وزادًا وجاء بها حتى طرق باب المرأة، ففتحت له الباب، فضرب البغلة فدخلت الباب، وقال للمرأة: هذه نفقة وكسوة وطعام، فخذي البغلة وما عليها فهو لك، ثم أقام لكون الحج قد فات حتى رجع الحاج إلى بلده، فرجع معهم، فجاء الناس يهرعون إليه ويهنئونه بالحج، فقال لهم: إني لم أحج في هذا العالم، فقال رجل: سبحان الله، ألم أودعك نفقتي ونحن ذاهبون، ثم أخذتها بعرفة منك، وقال آخر: ألم تسقني بموضع كذا، وقال آخر: ألم تشتر لي كذا وكذا، فقال لهم: لا أدري ما تقولون، وأنا ما حججت في هذه السنة، فلما كان الليل ونام رأى في منامه قائلاً يقول له: يا عبد الله، إن الله قد قبِّل صدقتك، وبعث ملكًا على صورتك فحجَّ عنك.

الحكاية الخامسة والثلاثون بعد المائة

فيما وقع لأم النبي ﷺ قبل ولادته

«نفيسة» روي أن آمنة أم النبي ﷺ رأت في منامها قائلاً يقول لها: قد حملت بسيد البرية وخير العالمين، فإذا ولدتيه فسميه محمدًا، وعلقي عليه هذه التميمة، قالت: فانتبهت فإذا عند رأسي لوح من ذهب مكتوب فيه:

أعيـــــذه بالواحـــــد
مـــن شر كـــل حاســـد
وكـــل خلـــق رائـــد
مـــن قـــائم وقاعـــد
وكـــل جـــن مـــارد
يأخـــذ بالمراصـــد
في طـــرق المـــوارد[1]

أنهاهم عنه بالعلي الأعلى، وأحوطه منهم باليد العليا، والكف التي لا ترى يدي الله فوق أيديهم، وحجاب الله دون عاديهم، ولا يطرقونه، ولا يضرونه في ليل ولا نهار، ولا مقعد، ولا مقام، في أجزاء الليل وأجزاء النهار مدى الليالي والأيام، وسمعت حين ولدته مناديًا يقول: طوفوا بمحمد جميع الأرضين، وموالد النبيين، واعرضوه على كل روحاني من الإنس والجن والملائكة، والطير والوحش، وأعطوه خلق آدم، ومعرفة شيث، وشجاعة نوح، وخلة إبراهيم، ولسان إسماعيل، ورضا إسحاق، وفصاحة صالح، وحكمة لوط، وبشرى يعقوب، وجمال يوسف، وشدة موسى، وصبر أيوب، وطاعة يونس، وجهاد يوشع، وصوت داود، وحب دانيال، ووقار إلياس، وعصمة يحيى، وزهد عيسى، واغمسوه في جميع أخلاق النبيين[2].

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن كثير (١/ ٢٠٦).

(٢) انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب (٤/ ٢٣٣).

الحكاية السادسة والثلاثون بعد المائة

فيما وقع للخضر من العجائب

«حكي» أنه قيل للخضر عليه السلام: ما أعجب ما رأيت في عمرك؟ فقال: أعجب ما رأيت أنني مررت على برية موحشة معطشة، ثم غبت عنها خمسمائة سنة، ومررت بها فوجدتها مدينة عجيبة عظيمة مملوءة بالأشجار والأنهار، فقلت لبعض من فيها: من كم سنة عمرت هذه المدينة؟ فقال: سبحان الله إنا وآباءنا وأجدادنا لا نعرفها إلا على هذه الحالة، فغبت عنها خمسمائة سنة، ثم مررت بها فوجدتها بحرًا عظيمًا، ورأيت فيه صيادًا فقلت: يا هذا، أين المدينة التي كانت هنا؟ فقال: سبحان الله، وهل كان هنا مدينة؟ ما سمعنا بهذا نحن ولا آباؤنا ولا أجدادنا، ثم غبت عنها خمسمائة عام ثم مررت بها فإذا هي مدينة عامرة كما كانت أول مرة، فسبحان من لا يزول ولا يتغير. انتهى.

الحكاية السابعة والثلاثون بعد المائة

في بعض معجزات عيسى عليه السلام

«عجيبة شريفة» قيل: إن عيسى عليه السلام كان يخبر الأولاد بما يأكل آباؤهم، فتأتي الأولاد إلى آبائهم ويطلبون منهم الأكل مما أكلوه، فيقولون لهم: من أخبركم بذلك؟ فيقولون: أخبرنا به عيسى، فمنعوا صبيانهم عن عيسى وجعلوهم في بيت واسع، فقال لهم عيسى: أين صبيانكم؟ هل هم في هذا؟ فقالوا: لا، ليس في البيت إلا قردة وخنازير، فقال: هم يكنون كذلك إن شاء الله، ففتحوا البيت فإذا هم قردة وخنازير.

الحكاية الثامنة والثلاثون بعد المائة

في أصل وجود بزر الريحان الفارسي

«حكي» أن حية دخلت تحت سرير كسرى، فأرادوا قتلها، فنهاهم عنه وأمر بعض مقدميه أن يتبعها فتبعها، فجاءت إلى بئر وصارت تنظر إليها وإلى الرجل، فعلم الرجل مرادها، فنظر في البئر فرأى حية مقتولة وفوقها عقرب، فعمد الرجل إلى العقرب وقتله، فأقبلت الحية على كسرى وألقت من فمها بين يديه بزرًا، فزرعه كسرى، فنبت منه الريحان

الفارسي، وكان كسرى كثير الزكام فاستعمله، فنفعه وبرأ منه، والله أعلم[١].

الحكاية التاسعة والثلاثون بعد المائة

في فضل الصدقة

«لطيفة» روي أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ اشترت جارية، فنزل جبريل عليه ﷺ وقال: يا محمد، أخرج هذه الجارية من بيتك، فإنها من أهل النار، فأخرجتها عائشة ـ رضي الله عنها ـ ودفعت لها شيئًا من التمر، فأكلت نصف تمرة وهي في الطريق، فمرَّ بها فقير فأعطته نصف التمرة الباقية، فجاء جبريل له ﷺ وأمره برد الجارية؛ لأنها صارت من أهل الجنة بتلك الصدقة، والله أعلم.

الحكاية الأربعون بعد المائة

في فضل الصدقة أيضًا

«ظريفة» روي عن ابن عباس أنه قال: حصل في المدينة قحط شديد ومجاعة، فجاء لعثمان ﷺ عير بميرة من الشام، فجاء تجار المدينة إليه يشترونه منه، فقال لهم: كم تربحوني؟ فقالوا له: نربحك درهمين لكل عشرة، فقال: قد زادوني، فقالوا: نربحك لكل عشرة أربعة دراهم، فقال: قد زادوني، فقالوا له: نحن تجار المدينة فمن زادك؟ فقال: إن الله زادني بكل درهم عشرة، قد جعلت هذا الطعام للفقراء، فقال ابن عباس: فرأيت النبي ﷺ في المنام وهو راكب على برذون[٢] أبلق وعليه حلة حرير من نور وهو مستعجل، فقلت له: يا رسول الله، إني مشتاق إليك، فقال: يا ابن عباس، إن عثمان قد تصدق بصدقة وإن الله قد قبلها منه، وزوَّجه عروسًا في الجنة، وقد دعينا إلى عرسه.

---

(١) انظر: المستطرف في كل فن مستظرف (١/ ٣٣٧)، وحياة الحيوان الكبرى (١/ ٢٧٩).

(٢) الْبِرْذَوْنُ بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ، قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: يَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَرُبَّمَا قَالُوا فِي الْأُنْثَى: بِرْذَوْنَةٌ، قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: بَرْذَنَ الرَّجُلُ بَرْذَنَةً إذَا ثَقُلَ، وَاشْتِقَاقُ الْبِرْذَوْنِ مِنْهُ. قَالَ الْمُطَرِّزِيُّ: الْبِرْذَوْنُ التُّرْكِيُّ مِنْ الْخَيْلِ وَهُوَ خِلَافُ الْعِرَابِ. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٢٣٨).

الحكاية الحادية والأربعون بعد المائة

في كرامة بعض الأولياء

«حكي» أنه دخل بعض الشيوخ الكبار ﷺ إلى تاجر من تجار الإسكندرية، فرحب به، وأكرم مجلسه، فرأى الشيخ في إيوان يجلس فيه التاجر بساطين ثمينين من بلاد الروم على قدر الإيوان، فطلبهما من التاجر، فصعب عليه ذلك، وقال: يا سيدي، أعطيك عنهما ما تريد، فامتنع الشيخ وقال: ما أطلب شيئًا غيرهما، فقال التاجر: إن كان ولابد فخذ أحدهما، فأخذ الشيخ أحدهما وخرج به، وكان للتاجر ابنان مسافران في بلاد الهند كل واحد منهما في مركب، فبعد مدة وصل الخبر إلى أبيهما أن أحدهما غرق بمركبه وجميع ما فيه، ووصل الآخر إلى أبيه سالمًا بعد مدة، ولما وصل الولد إلى قرب الإسكندرية خرج أبوه إلى لقائه بظاهر البلد، فرأى التاجر البساط الذي أخذه الشيخ بعينه محملاً على بعض الجمال، فسأله أبوه عن قصة البساط ومن أين هو؟ فقال: يا أبت، إن لهذا البساط قصة عجيبة وآية عظيمة، فقال له: أخبرني بذلك يا ولدي.

فقال له: سافرت أنا وأخي بريح طيبة من بلاد الهند، كل منّا في مركب، فلما توسطنا البحر عصفت علينا الريح، واشتد الأمر، وانفتح المركبان، واشتغل أهل كل مركب بمركبهم، وسلم كل منهم أمره إلى الله تعالى، فظهر لنا شيخ وبيده هذا البساط فسد به مركبنا، فسرنا مع السلامة، والمركب مسدود إلى بعض المراسي، فحولنا ما في المركب وأصلحنا شأنه، فقال له التاجر: يا بني، أتعرف الشيخ إذا رأيته؟ فقال: نعم، فذهب به إلى الشيخ، فلما رآه صرخ وصاح صيحة عظيمة، وقال: يا أبت هو هذا والله، وخرَّ مغشيًا عليه، فجعل الشيخ يده عليه حتى أفاق وسكن روعه، فقال التاجر للشيخ: لم لا عرفتني يا سيدي بحقيقة الأمر حتى كنت أدفع إليك البساطين ـ أستغفر الله العظيم ـ فقال الشيخ: هكذا أراد الله تعالى.

الحكاية الثانية والأربعون بعد المائة

في فضل الصدقة على الأموات

«حكي» أن صالحًا المرسي ﷺ قال: خرجت ليلة جمعة أريد صلاة الفجر في المسجد الجامع، فمررت بمقبرة فقلت: هلا أقمت حتى يطلع الفجر، فصليت ركعتين ثم حصل لي سنة نوم، فرأيت كأن أهل القبور قد خرجوا منها عليهم ثياب بيض وقد جلسوا حلقًا حلقًا يتحدثون، وإذا شاب عليه ثياب دنسة وهو جالس وحده مغمومًا، فلم يلبثوا حتى جاءهم أطباق مغطاة بمناديل، فكل واحد أخذ طبقًا ودخل قبره، وبقي الفتى لم يأته شيء، فقام ليدخل قبره وهو حزين، فقلت له: يا عبد الله ما لي أراك حزينًا، وما هذا الذي رأيت؟ فقال لي: يا صالح هل رأيت الأطباق؟ قلت: نعم، فما هي؟ قال: هي أطباق الأحياء لموتاهم، كلما تصدقوا عنهم ودعوا لهم جاءهم ذلك في يوم الجمعة في أطباق كما رأيت، وأنا رجل غريب من أهل الهند أقبلت إلى البصرة بوالدتي أريد الحج، فتوفيت هنا، وتزوجت والدتي واشتغلت بزوجها، فلم تذكرني بصدقة ولا دعاء وكأنها لم يكن لها ولد، وقد ألهتها الدنيا فحق لي أن أحزن إذ ليس لي من يذكرني من بعدي، فقلت له: وأين منزل والدتك؟ فوصفه لي، فلما أصبحت وأديت صلاتي أقبلت أسأل عن منزلها، فأرشدت إليه، فطرقت الباب فقالت: من الطارق؟ فقلت لها: صالح المرسي، فأذنت لي بالدخول فدخلت، فقلت لها: أريد ألَّا يسمع أحد كلامي معك، فدنوت نحو ستر ثم قلت لها: يرحمك الله، هل لك من ولد؟ فقالت: لا، فقلت لها: هل كان لك ولد؟ فتنفست الصعداء ثم قالت: نعم، كان لي ولد وقد مات وهو شاب، فقصصت عليها القصة فبكت حتى تحدرت دموعها على خديها، ثم قالت: ذلك من كبدي والحشا، كيف وقد كانت بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حواء، ثم دفعت لي ألف درهم وقالت لي: تصدق بها عن حبيبي وقرة عيني، والله لا أنساه بعدها بالصدقة والدعاء بقية عمري، قال صالح: فانطلقت وتصدقت بالألف درهم عنه، ثم لما كان يوم جمعة أخرى أقبلت أريد صلاة الفجر في المسجد الجامع، فمررت بالمقبرة، فصليت ركعتين في مكاني الأول ثم نمت، فرأيت أهل القبور كالحالة الأولى، ورأيت الفتى عليه ثياب بيض نقية وهو فرح مسرور، فدنا مني ثم قال لي: يا صالح، جزاك الله عني خيرًا، وقد وصلت الهدية إلي، فقلت له: وهل تعرفون نهار الجمعة؟ قال: نعم، وإن الطيور لتعرفها وتقول: سلام سلام خشية من القيامة فيها.

لطيفة: قالت عائشة: يا رسول الله، ما الذي لا يحل منعه؟ قال: «الماء والملح والنار» قالت: يا رسول الله، هذا الماء قد عرفناه، فما بال الملح والنار؟ فقال لها: «من أعطى الملح فكأنما تصدق بجميع ما طيبه الملح، ومن أعطى النار فكأنما تصدق بجميع ما أنضجته تلك النار، ومن سقى مسلمًا شربة ماء حيث يوجد الماء فكأنما أحياه، وقال: أربع بركات أنزلها الله من السماء إلى الأرض: «الماء، والملح، والنار، والحديد»[1].

الحكاية الثالثة والأربعون بعد المائة

في ذمِّ الدنيا ومدح الآخرة

«فائدة» روي أن الله تعالى ناجى موسى عليه السلام بمائة ألف كلمة، وأربع عشرة ألف كلمة في ثلاثة أيام، وكان منها أن قال له: يا موسى، لم يتصنع إلي المتصنعون بمثل الزهد في الدنيا، ولم يتقرب إلي المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم، ولم يتعبد إلي المتعبدون بمثل البكاء من خشيتي، فقال موسى: يا رب، فماذا أعددت لهم؟ وبماذا جازيتهم؟ فقال له: يا موسى، أمَّا الزهاد: فقد أبحت لهم جنتي يبيتون فيها حيث شاءوا، وأمَّا الورعون: فأدخلهم الجنة بغير حساب، وأمَّا البكاءون: فلهم الرفيق الأعلى لا يشاركهم أحد فيه، قال بعضهم: إن إبليس يعرض الدنيا كل يوم على الناس ويقول: من يشتري شيئًا يضره ولا ينفعه، ويهمه ولا يسره؟ فيقول أصحابها وعشاقها: نحن، فيقول: إن ثمنها ليس دراهم ولا دنانير، وإنما هو نصيبكم من الجنة، فإن اشتريتها بأربعة أشياء: بلعنة الله، وغضبه، وسخطه، وعذابه، وبعت الجنة بها، فيقولون: رضينا بذلك، فيقول: أريد أن أربح عليكم فيها، فيقولون: نعم، فيبيعهم إياها، ثم يقول: بئست التجارة، والله أعلم.

---

(١) رواه الديلمي (١/ ١٧٥) حديث رقم: (٦٥٦).

الحكاية الرابعة والأربعون بعد المائة

في فضل العدل وعفة الملوك

«حكي» أن الخليفة المأمون بلغه ما كان عليه الملك كسرى من العدل، فقال: بلغني أن الأرض لا تبلي أجساد الملوك العادلة، وقد عزمت على أن اختبر ذلك في حق كسرى، فتوجه بنفسه إلى بلاد كسرى وفتح عن قبره ونزل إليه بنفسه، وكشف عن وجهه، فإذا هو في غاية الجمال، والثياب التي عليه باقية على جدتها لم تتغير، ورأى في إصبعه خاتمًا من الياقوت الأحمر ليس في خزائن الملوك مثله وعليه كتابة بالفارسية، فتعجب المأمون غاية العجب وقال: هذا رجل مجوسي عابد النار ولم يضيع الله ما كان يفعله من العدل في الرعية، ثم أمر بأن يغطى بثوب من الديباج مرقوم بالذهب، وأعاد عليه قبره كما كان قبل، وكان مع المأمون خادم خصي، فغافل المأمون وأخذ الخاتم المذكور، فلما علم المأمون بذلك ضرب ذلك الخادم ألف سوط، ونفاه إلى السند، وأعاد الخاتم إلى إصبع كسرى كما كان، وقال: إن هذا الخادم أراد أن يفضحنا بين ملوك العجم حتى يقولوا: كان المأمون نبّاشًا للقبور، ثم أمر أن يسبك على قبر كسرى بالرصاص حتى لا يفتح بعد ذلك.

الحكاية الخامسة والأربعون بعد المائة

في أصل وجود كتاب «ألف ليلة وليلة»

«حكي» أن ملكًا من ملوك الفرس كان كلما تزوج بامرأة وبات عندها ليلة قتلها من الغد، فتزوج بجارية من بنات الملوك ذات عقل ودراية، فلما دخل بها ابتدأته بخرافة من كلام الخرافات، واستمرت فيها حتى فرغ الليل، وبقي منها ما يحمل الملك على طلب تمامها، فلما كانت الليلة القابلة سألها عن تمامها واستمرت معه على ذلك مدة ألف ليلة وليلة، وهو مع ذلك يجامعها، فحملت منه بولد، وأظهرته له، وأوقفته بين يديه، وأطلعته على حيلتها عليه، فاستعقلها ومال إليها وأبقاها، فدون ذلك وجعل كتابًا، وسمي بذلك الاسم وكله كذب مختلق.

قال بعضهم: وهذا أصل منشأ الخرافات في الفرس، والله أعلم.

الحكاية السادسة والأربعون بعد المائة

في الإخلاص في الفعل ابتغاء مرضاة الله تعالى

«حكي» أن عليًا ﷺ صرع رجلاً في بعض حروبه وقعد على صدره؛ ليجتز رأسه، فبصق الرجل في وجهه، فقام عنه وتركه، فسئل عن ذلك فقال: إنه بصق في وجهي فخفت أن يكون قتلي له إغاظة مني عليه بذلك، وما كنت أقتل إلا خالصًا لوجه الله تعالى.

الحكاية السابعة والأربعون بعد المائة

في إكرام الضيف

«عجيبة» قال بعض الصالحين: كان من عادتنا ألّا نزور النساء، فسمعت أن امرأة من الصالحات في بلد كذا اشتهرت عنها كرامة، فاقتضت الحاجة أن أذهب إلى زيارتها؛ لأطلع على تلك الكرامة، وهي: شاة عندها تحلب لبنًا وعسلاً، فلما وصلت إلى القرية التي هي فيها اشتريت قدحًا وجئت إليها، فسلمت عليها ثم قلت لها: أريد أن أنظر هذه الكرامة التي في الشاة عندك، فقالت: حبًا وكرامة، ودفعت إلي الشاة فحلبت منها لبنًا وعسلاً، وشربنا منهما، فلما رأيت ذلك عجبت منه ثم سألتها عن قصتها فقالت: نعم، كان عندنا شاة تحلب على أولادنا وليس عندنا شيء، فحضر يوم عيد فقال زوجي: أذبح هذه الشاة؛ لأجل العيد، فقلت له: لا تفعل، فإن الله قد رخص لنا في الترك وهو يعلم حاجتنا إليها فتركها، وكان رجلاً صالحًا، فاتفق أنه استضافنا في ذلك اليوم ضيف وليس عندنا قراه، فقلت له: هذا رجل ضيف وقد أمرنا بالكرامة، فخذ هذه فاذبحها وخفت أن تبكي عليها صغارنا فقلت له: اخرج بها خارج الدار وراء الجدار حتى لا يروها، فخرج بها، فلما أراق دمها قفزت شاة من وراء الجدار فصارت تعدو في الدار، فقلت: لعلها قد انفلتت منه، فخرجت لأنظر إليه، فإذا هو يسلخها، فقلت له: يا رجل، هذا أمر عجيب وذكرت له القصة، فقال: لعل الله أن يكون قد أبدلنا خيرًا منها، فحلبتها فحلبت لبنًا وعسلاً، فقلت: يا هذا، إن تلك الشاة كانت تحلب لبنًا، وهذه تحلب لبنًا وعسلاً ببركة إكرامنا لضيفنا، والله أكرم الأكرمين.

الحكاية الثامنة والأربعون بعد المائة

في معنى قول الله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ...﴾ [الزلزلة:٧])

«موعظة لطيفة» روي أنه التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر: إلى أين تذهب؟ فقال: لأمر عجيب، وهو أن في البلد الفلاني رجلاً يهوديًا دنت وفاته، وقد اشتهى سمكة، فلم توجد في بحرهم، فأمرني ربي أن أسوق الحيتان إليه ليصطادوا له سمكة منها، وذلك لأنه لم يعمل حسنة إلا كافأه الله عليها في الدنيا، ولم يبق له إلا حسنة واحدة، فأراد الله أن يبلغه شهوته؛ ليخرج من الدنيا وليس له حسنة، فقال الملك الآخر: أنا بعثني ربي لأمر عجيب، وهو أن في البلد الفلاني رجلاً صالحًا لم يعمل سيئة إلا كافأه الله عليها، وقد دنت وفاته فاشتهى زيتًا وليس عليه إلا ذنب واحد، وقد أمرني ربي أن أريق الزيت حتى يعلم بذلك فيحرم، فيكفر الله عنه ذلك الذنب، حتى يأتي الله وليس عليه ذنب أصلاً، قال محمد بن كعب: وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...﴾ [الزلزلة:٧] أي: الكافر إذا عمل مثقال ذرة خيرًا رأى ثوابه في الدنيا، والمؤمن إذا عمل مثقال ذرة شرا رأى جزاءه في الدنيا قبل الآخرة، والله أعلم.

الحكاية التاسعة والأربعون بعد المائة

فيما وقع لسيدنا سليمان عليه السلام مع النملة

«ظريفة غريبة» روي أن سليمان عليه السلام لما مرَّ بوادي النمل سمع نملة تقول لأصحابها خوفًا عليهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا...﴾ [النمل:١٨] فسلم عليها، فقالت له: عليك السلام أيها الفاني المشتغل بملكه، والله إني نملة ضعيفة ولي أربعون ألف مقدم، تحت يد كل مقدم أربعون صفًا، كل صف كما بين المشرق والمغرب، فقال: لم تلبسون السواد؟ فقالت: لأن الدنيا دار المصيبة، والسواد لباس أهل المصائب، فقال: فما هذا الحر الذي في أوساطكم؟ قالت: هو منطقة الخدمة للعبودية، قال: فما بالكم تبعدون عن الخلق؟ قالت: لأنهم في غفلة، فالبعد عنهم أولى، قال: فما لكم عراة؟ قالت: هكذا وردنا إلى الدنيا، وهكذا نخرج منها، قال: فكم تأكل النملة منكم؟ قالت: حبة أو حبتين، قال: ولم؟ قالت: لأنا على سفر، والمسافر كلما خفَّ حمله خف ظهره، قال: هل لك من حاجة؟ قالت: أنت عاجز، والطلب من العاجز غير جائز، قال: لا بد أن تطلبي مني حاجة، قالت له: زد في

رزقي أو عمري، قال: اطلبي شيئًا يكون في يدي، قالت: إن قضاء الحوائج من الله، قال لها: ما اسمك، قالت: منذرة، أنذر أصحابي من الدنيا الساحرة.

ثم قالت: يا سليمان ما أفخر ما أوتيت في الملك؟ قال: الخاتم؛ لأنه من الجنة، قالت: تعلم معناه، قال: لا، قالت: معناه أن الذي ملكت من الدنيا في يدك بقدر فص الخاتم، قالت: هل غير هذا؟ قال: بساط من الجنة على ظهر الريح، قالت: هذا دليل على أن جميع ما معك مثل الريح، اليوم معك وغدًا يكون مع غيرك، قال: فإن ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ:١٢] قالت: هذا دليل على أن عمرك قصير، وأنت مستعجل بالمسير، قال: علمت منطق الطير، قالت: اشتغل بمناجاة الله عن مناجاة الغير، قال: خدمتني الجن والإنس، قالت: فيه إشارة إلى أنه يقول: «اشغلت الخلق بخدمتك فاشتغل أنت بخدمتي» قال: إني استأنس بالخاتم؛ لأن عليه اسم الله، قالت: استأنس بالمسمى لا بالاسم.

صفة العرش(١)

قال وهب: خلق الله العرش قبل الكرسي بألفي عام، وخلق له ثلاثمائة برج، بين كل برجين ثلاثمائة عام، وطول كل برج ألف عام، وبينهما ملائكة كالإنس والجن، يستغفرون لعصاة أمة محمد ﷺ.

وقال النسفي: خلق للعرش ثلاثمائة وستون قائمة، كل قائمة قدر الدنيا، وبين كل قائمتين خمسمائة عام، وفي رواية: خلق الله اللوح بين الكرسي والعرش، وخلق من نوره أربعة أنوار، وخلق من واحد منها العرش، وجعل له ثلاثمائة وستين ألف قائمة، طول كل قائمة اثنا عشر ألف عام، وبين كل قائمتين سبعون ألف مدينة، في كل مدينة سبعون ألف قصر، في كل قصر سبعون ألف صنف من الملائكة، وليس لطوله ولا لعرضه منتهى، ويكسى في كل يوم سبعين ألف ثوب من النور لا يقدر أحد أن ينظر إليه، وهو كالقبة على العالم، وفي دوائره مناديل معلقة لا يعلم عددها إلا الله، وفيه تماثيل جميع المخلوقات من حيوان وغيره، ويحمله أربعة أملاك في الدنيا، ويحمله في الآخرة ثمانية، وروي أن له سبعين ألف لسان، يسبح الله بها بأنواع اللغات.

(١) انظر: تفسير الخازن (٥/ ٣٢٧).

وفي رواية: أنه من ياقوتة حمراء، وقيل: خضراء، وبين أذن كل ملك من حملته إلى عاتقه مسيرة خمسمائة عام، وفي رواية: سبعمائة عام، وفي رواية: أن أحدهم على صورة إنسان، والثاني: على صورة ثور، والثالث: على صورة نسر، والرابع: على صورة أسد، وقيل: لما خلق الله العرش تطاول واهتز، وقال: لم يخلق الله خلقًا أعظم مني، فطوقه الله بحية لها سبعون ألف جناح، في كل جناح سبعون ألف ريشة، في كل ريشة سبعون ألف وجه، في كل وجه سبعون ألف فم، في كل فم سبعون ألف لسان، يخرج منها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر، وعدد ورق الشجر، وعدد الحصى والثرى، وعدد أيام الدنيا، وعدد الملائكة أجمعين، فالتفت الحية بالعرش فهو إلى نصفها.

صفة اللوح[1]

وهو من درة بيضاء، مصفح بالياقوت الأحمر، والزمرد الأخضر، عرضه كعرض السماء والأرض، ولا منتهى لطوله، وهو بين العرش والكرسي، وروي أن الله تعالى ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، يخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويعزل ويولي، ويذل ويعز، ويمحو ويثبت وهكذا، وقال بعض الصوفية: طوله كما بين السماء والأرض، وعرضه كما بين المشرق والمغرب، وأن المكتوب فيه عشرة أسطر فقط، وخلق الله القلم قبل اللوح من نور، طوله كما بين السماء والأرض، ثم نظر إليه نظرة الهيبة فانشق وقطرت منه قطرة على اللوح، فصارت ألفًا، ثم قال له: اكتب، فقال: وما أكتب؟ فقال له: اكتب ما كان، وما يكون إلى يوم القيامة.

---

(١) نطقت الأخبار في صفة اللوح المحفوظ: إنه جسم كتب فيه ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة. وأما إذا قيل فيه غير ذلك انجر البحث إلى وراء ما سمعت واتسعت الدائرة، ومن ذلك قولهم: إن الألواح أربعة، لوح القضاء السابق على المحو والإثبات وهو لوح العقل الأول، ولوح القدر؛ أي: لوح النفس الناطقة الكلية التي يفصل فيها كليات اللوح الأول وهو المسمى باللوح المحفوظ، ولوح النفس الجزئية السماوية التي ينتقش فيها كل ما في هذا العالم شكله وهيئته ومقداره وهو المسمى بالسماء الدنيا وهو بمثابة خيال العالم كما أن الأول بمثابة روحه، والثاني بمثابة قلبه، ولوح الهيولى القابل للصورة في عالم الشهادة. تفسير الألوسي (٢٠/ ٢٩٦).

صفة الكرسي[١]

وهو من لؤلؤة بيضاء، لا يعلم طوله إلا الله، وله ثلاثمائة وستون قائمة، طول كل قائمة اثنا عشر ألف سنة، وسمكها عشرة آلاف سنة، وفي الخبر: **«إن السماوات السبع، والأراضين السبع في الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة»**[٢].

صفة البيت المعمور

وهو من الذهب الأحمر، له ثلاثمائة وسبعون بابًا، بين البابين منها مسيرة ألف عام، وعرض كل باب مسيرة خمسمائة سنة، وطوله كذلك، تطوف به الملائكة، ويستغفرون لبني آدم، ويبكون على العاصي منهم، وفوقه السقف المرفوع، وفوقه البحر المسجور، وهو مملوء بالملائكة، وموكل بهم ملك يسمى: كلكيائيل، وفوق ذلك سبعون ألف حجاب من الحديد لا منتهى لطول كل حجاب منها ولا لعرضه، سمكه ألف عام، وفوق ذلك سبعون ألف حجاب من الياقوت الأحمر، وفوق ذلك سبعون ألف حجاب من الزينة، وجميع تلك الحجب مملوءة بملائكة على صورة بني آدم يسبحون الله لا يفترون.

صفة الكوثر

وهو من جنة عدن، عرضه مائة سنة، وطوله ثلاثة آلاف سنة، يجري بلا أخدود تحت قصر صاحبه محمد ﷺ، وله أربعة أركان مكتوب على أحدها: أبو بكر، أنا للمصدقين والطائعين، وعلى الثاني: عمر، أنا للشهداء والصالحين، وعلى الثالث: عثمان، أنا للفقراء المطيعين آناء الليل وأطراف النهار، وهم أهل الله وخاصته، وعلى الرابع: علي، أنا للمجاهدين والغزاة أنصار الله، وطينه من المسك الأذفر، وكيزانه عدد نجوم السماء، وعلى حافتيه قباب اللؤلؤ والمرجان.

---

(١) قِيلَ: كُرْسِيٌّ حَقِيقَةٌ وَهُوَ جِسْمٌ عَظِيمٌ نُورَانِيٌّ بَيْنَ يَدَيْ الْعَرْشِ مُلْتَصِقٌ بِهِ لَا قَطْعَ لَنَا بِحَقِيقَتِهِ، وَالْمَاءُ كُلُّهُ فِي جَوْفِ الْكُرْسِيِّ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ، وَالْكُرْسِيُّ غَيْرُ الْعَرْشِ عَلَى الْمُعْتَمَدِ لَا قَطْعَ لَنَا بِتَعْيِينِ حَقِيقَتِهِ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ، خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا لَا لِاحْتِيَاجٍ إلَيْهِ. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ١٦٢).

(٢) ذكره البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (١/ ٧٥)، وابن حجر في المطالب العالية (١٠/ ٨٩).

صفة الصور الموكل به إسرافيل

قال أبو هريرة ﷺ: قال ﷺ: «خلق الله الصور له فم كالقصبة كسعة الدنيا، وله أربع شعب: شعبة منها بالمشرق، وشعبة بالمغرب، وشعبة تحت الأرض السابعة، وشعبة فوق السماء السابعة، وفي الصور أبواب بعدد الأرواح، واحد منها لأرواح الأنبياء، وواحد لأرواح الملائكة، وواحد لأرواح الجن، وواحد لأرواح الإنس، وكذا لأرواح الشياطين والسباع والوحوش والهوام، حتى النملة والبقة إلى تمام سبعين صنفًا، وأعطاه إسرافيل ؈ فهو واضعه على فيه، ينتظر متى يؤمر بالنفخ، فينفخ فيه ثلاث مرات: أولها: نفخة الفزع فيفزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ويأمره فيمدها ويطيلها فتصير الجبال سرابًا، وتمور السماء مورًا، وترجف الأرض رجفًا مثل السفينة في الماء، وتضع الحوامل، وتذهل المراضع، وتشيب الولدان، وتهرب الشياطين حتى يأتوا الأقطار، فتلقاهم الملائكة فيضربون وجوههم ويرجعون، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ...﴾ [غافر:٣٢-٣٣] وتصدع الأرض، وينظرون إلى السماء، فتناثر النجوم عليهم، وتكسف الشمس، ويخسف القمر، وكشطت السماء سماء سماء، والأموات في ذلك كله في غفلة، ويدوم ذلك أربعين سنة أو ما شاء الله.

ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق فيقول: أيتها الأرواح العارية، والأجساد البالية، اخرجي بأمر الله تعالى، فيصعق، أي: يموت أهل السماوات وأهل الأرض إلا من شاء الله، وهم الشهداء، وهم اثنا عشر نفسًا: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، وحملة العرش الثمانية، فتمكث الدنيا بلا إنس، ولا جن، ولا وحش، وهذه النظرة التي أنظرها إبليس لعنه الله، ثم يقول الله تعالى لملك الموت: إني خلقت لك بعدد الأولين والآخرين أعوانًا، وجعلت فيك قوة أهل السماوات والأرضين، وإني ألبسك اليوم أثواب الغضب، فانزل بغضبي وسطوتي على إبليس فأذقه الموت، واحمل عليه في الموت مرارة الأولين والآخرين من الجن والإنس أضعافًا مضاعفة، وليكن معك من الزبانية سبعون ألفًا، مع كل واحد سلسلة من سلاسل لظى، وتنادي لمالك فيفتح أبواب النيران فينزل ملك الموت في صورة لو نظر إليها فيها أهل السماوات وأهل الأرضين لماتوا، فينزل إلى إبليس فيزجره زجرة فإذا هو قد صعق منها، وله خرخرة لو سمعها أهل السماوات وأهل الأرضين لصعقوا، فيقول له ملك الموت: قف يا خبيث، لأذيقنك الموت كم من عمر أدركت، وكم

من قرون أضللت؟ فيهرب إلى المشرق، فيرى ملك الموت بين عينيه فيهرب إلى المغرب، فيراه بين عينيه فيغوص في البحار، فلا تقبله.

ولا يزال يهرب ولا محيص له حتى يقوم في وسط الدنيا على قبر آدم ويقول: يا آدم، من أجلك صرت رجيمًا ملعونًا، ثم يقول لملك الموت: بأي كأس تسقيني؟ وبأي عذاب تقبض روحي؟ فيقول له: بكأس لظى والسعير، وإبليس يتمرغ في التراب، تارة يصيح، وتارة يهرب، حتى إذا كان في الموضع الذي أهبط فيه ولعن وقد نصبت له الزبانية الكلاليب صارت الأرض كالجمرة فتحوشه الزبانية ويطعنونه بالكلاليب، فيبقى في النزع وفي غصص الموت ما شاء الله، ويأمر الله البحار أن تفنى فقد انقضت مدتها، فتقول: حتى أنوح على نفسي فأين أمواجي وأين عجائبي؟ فيصيح عليها ملك الموت صيحة فتفارق مياهها كأن لم تكن.

ثم يأمر الله ملك الموت أن يأمر الجبال أن تفنى فقد انقضت مدتها، فيقول لها كذلك، فتقول: حتى أنوح على نفسي، فأين عرضي؟ وأين طولي؟ فيصيح عليها صيحة فتذوب، ثم يأمر الأرض أن تفنى فقد انقضت مدتها فتقول: حتى أنوح على نفسي، أين ملوكي، وأشجاري، وأنهاري؟ فيصيح عليها صيحة فتتساقط حيطانها، وتغور مياهها، ثم يصعد إلى السماء فيصيح عليها صيحة فتكسف شمسها وقمرها وتنكدر نجومها، ثم يقول الله: يا ملك الموت، من بقي من خلقي؟ فيقول: بقي جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، فيقول الله له: اقبض روح جبريل، فيقبضها، فيقع كالطود العظيم، ثم يقول له: اقبض روح ميكائيل، فيقبضها كذلك، ثم يقول له: اقبض روح إسرافيل، فيفعل كذلك، ثم يقول الله له: يا ملك الموت اذهب فمت بين الجنة والنار، فيذهب فيموت.

ثم يقول الله تعالى: لمن الملك اليوم؟ فلا يجيب أحد، فيقول ذلك ثانيًا، وثالثًا، فلا يجيبه أحد، فيقول: لله الواحد القهار، ثم يقول: أين الملوك؟ أين الجبابرة؟ ثم يجعل الجبال كالعهن ـ أي: القطن ـ المنفوش، ثم يضم هذه الأرض التي عمل عليها المعاصي وينصب عليها جهنم، ويأتي بدلها بأرض بيضاء فتنصب عليها الجنة، وتحشر عليها الخلائق، ثم يأمر الله تعالى بإحياء جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، فأولهم إسرافيل، فيأخذ الصور من العرش، ثم يأتي إلى رضوان ويقول له: زين الجنان إلى محمد وأمته، ثم يأتي جبريل بالبراق

مسرجًا وملجمًا من الجنة، وبلواء الحمد، وبحلتين من حلل الجنة، ويمضون قصصًا فلا يرون قبره ﷺ، فيظهر من قبره عمود من نور إلى عنان السماء، فيقول جبريل: يا إسرافيل، ناد محمدًا، فإن الخلائق تحشر بندائك، فيقول: أنت يا جبريل خليله في الدنيا فناده أنت، فيقول: أنا أستحي منه، فيقول إسرافيل: ناده أنت، فيقول: السلام عليك يا محمد، فلا يجيبه أحد، فيقول لعزرائيل: ناده أنت، فيقول: أيتها الروح الطيبة، قومي إلى فصل القضاء والحساب، وللعرض على الرحمن.

فينشق القبر، فإذا هو جالس فيه ينفض التراب عن رأسه ولحيته، فيتقدم إليه جبريل ويدفع له الحلتين، فيقول: يا جبريل ما هذا اليوم؟ فيقول: هذا يوم القيامة، هذا يوم الحسرة والندامة، فيقول: يا جبريل بشرني، فيقول: معي البراق، ولواء الحمد، والتاج، فيقول: ما عن هذا أسالك، فيقول: قد زخرفت الجنة لقدومك، وأغلقت النيران، فيقول: ما عن هذا أسألك، وإنما أسألك عن أمتي المذنبين، فلعلك تركتهم على الصراط، فيقول إسرافيل: وعزة ربي يا محمد ما نفخت في الصور، فيقول: الآن طابت نفسي وقرت عيني، فيأخذ التاج ويدنو من البراق فيقول: وعزة ربي لا يركبني إلا محمد بن عبد الله النبي التهامي صاحب القرآن، فيقول: إذا أنا محمد، فيركبه، ثم ينطلق إلى باب الجنة، فيخر ساجدًا، فينادي مناد: ارفع رأسك ليس هذا يوم ركوع وسجود، بل هو يوم حساب وعذاب، فارفع رأسك وسل تعطى، فيقول: إلهي، وعدتني في أمتي، فيقول له الله: أعطيك ما ترضى به.

ثم يأمر إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث، فيقول: أيتها العظام النخرة، والأجساد البالية، والجلود المتمزقة، والشعور المتساقطة، قوموا لفصل القضاء، فيقومون بإذن الله، فينظرون السماء قد مزقت، والأرض قد بدلت، والشمس قد خسفت، والعشار قد عطلت، والموازين قد نصبت، والجنة قد أزلفت، وهكذا، فيقولون: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ فيقول لهم المؤمنون: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس:٥٢] فيخرجون من القبور جياعًا، فيرسل الله عليهم نارًا تسوقهم إلى المحشر فيقيمون ثلاثمائة عام يبكون.

صفة صرح فرعون وكيفية عمله

وهو أن فرعون لما خاف من قومه أن يؤمنوا بموسى أراد أن يفعل شيئًا يشتد به سلطانه، وتقوى به أركانه، فأمر وزيره هامان ببناء الصرح، فأمر هامان بطبخ الآجر والجص وما يحتاج إليه من الخشب وغيره، وجمع من في الأرض من العمال فبلغوا خمسين ألفًا سوى الأتباع والأجراء فبناه في سبع سنين، ورفعه ارتفاعًا لم يوجد مثله منذ خلقت السماوات والأرض، وجاء على حسب مراد فرعون، فلما فرغ منه شقَّ ذلك على موسى فأوحى الله إليه: دعه، فإني مدمره في ساعة واحدة، فصعد فرعون وبعض أخصائه فوقه ورموا إلى السماء بالسهام، فعادت ملوثة بالدم، فقالوا: قد قتلنا إله موسى، فأمر الله جبريل فضربه بجناحيه فقطعه ثلاث قطع، فوقعت قطعة منه في البحر، وقطعة في الهند، وقطعة في المغرب، وروي أن واحدة من هذه القطع وقعت على قوم فرعون فقتلت منهم ألف ألف رجل، وروي أنه لم يمت أحد ممن عمل فيه إلا بغرق أو حرق أو عاهة، وكان تدمير الله له فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فلما رأى ذلك فرعون وعلم بإحباط عمله نصب الحرب بينه وبين موسى، فأبلاهم الله بالآيات التسع[1]: العصا، واليد، والطوفان، والجراد،

(١) اتفق المتأولون والرواة أن الآيات الخمس التي في سورة الأعراف هي من هذه التسع، وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، واختلفوا في الأربع، فقال ابن عباس: هي يده ولسانه حين انحلت عقدته، وعصاه والبحر، وقال محمد بن كعب القرظي: هي البحر والعصا والطمسة والحجر، وقال: سألني عن ذلك عمر بن عبد العزيز فأخبرته، فقال لي: وما الطمسة؟ فقلت: دعا موسى وآمن هارون فطمس الله أموالهم وردها حجارة، فقال عمر: وهل يكون الفقه إلا هكذا؟ ثم دعا بخريطة فيها غرائب كانت لعبد العزيز بن مروان جمعها بمصر، فاستخرج منها الجوزة والبيضة والعدسة وهي كلها حجر كانت من بقايا أموال آل فرعون، وقال الضحاك: هي إلقاء العصا مرتين، واليد، وعقدة لسانه. وقال عكرمة ومطر الوراق والشعبي: هي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات. وقال الحسن: هي العصا في كونها ثعبانًا وتلقف العصا ما يأفكون. وقال ابن عباس: هي السنون في بواديهم، ونقص الثمرات في قراهم، واليد والعصا. وروى مطرف عن مالك: إنها العصا واليد، والجبل إذ نتق والبحر. وروى ابن وهب عنه مكان البحر الحجر، والذي يلزم من الآية أن الله تعالى خصَّ من آيات موسى؛ إذ هي كثيرة جدًا تنيف على أربع وعشرين، تسعًا بالذكر ووصفها بالبيان ولم يعينها، واختلف العلماء في تعيينها بحسب اجتهادهم في بيانها أو روايتهم التوقيف في ذلك. المحرر الوجيز (٤/ ٢٧٩).

والقمل، والضفادع، والدم، والطمس، وانفلاق البحر، وكلها مذكورة في محالها من التفاسير وغيرها، والله أعلم.

صفة النَّفخ

النفخ على خمسة أقسام: نفخ القرن من إسرافيل يوم القيامة، ونفخ الروح من جبريل في درع مريم، ونفخ عيسى في الطين لإحياء الطير، ونفخ الله في طينة آدم، ونفخ ذي القرنين في الحديد في سد يأجوج ومأجوج.

فائدة فيما يفتخر به في الدنيا

الافتخار في الدنيا بعشرة أشياء لا تنفع في الآخرة: المال، والأولاد، والجمال، والفصاحة، والعز، والأصدقاء، والتبع، والحسب، والشفاعة، والحيلة.

فائدة فيما يشترك فيه الخلائق

عشرة أشياء يشترك فيها جميع الخلائق: الموت، والحشر، وقراءة الكتب، والحساب، والميزان، والصراط، والسؤال، والجزاء، والبعث، والصعق.

فائدة في أسباب خراب البلاد

خراب مكة بالحبش، والمدينة وبخارى بالجوع، والكوفة والعراق بالترك، واليمن بالجراد، وهمذان بالديلم، وأرمينية بالصواعق، وحلوان بالريح، وبلخ بالماء، وترمذ بالطاعون، ومرو بالرمل، وهراة بمطر حيتان عليهم تأكلهم، وكرمان بجيش يزعزعهم، وسجستان بجبل كبريت تقع فيه النار فتحرقهم، والسند والهند بقتل الزنج لهم لبيعهم الأحرار، ويرفع بيت المقدس وطور سيناء، وأما سمرقند وفرغانة وشاش وأسبيجاب وخوارزم فيقتلهم بنو قنطوراء فتصير بلادهم كجيفة الحمار.

فائدة في أول خلق آدم

قيل: لما خلق الله آدم بهذه الصورة تعجبت السباع والوحوش، والطيور والحيتان، فقالوا لبعضهم: تفرقوا وانصرفوا، فإن هذا الخلق يغلبكم جميعًا، وكان بينهم صداقة،

وكانت الحيتان تخبر حيوان البر بعجائب البحر وعكسه، فقطعوا ذلك، وهربت السباع إلى البر، والوحوش إلى الجبال، والهوام إلى حفر الأرض، والطيور إلى الأوكار، والحيتان إلى قعور البحار.

فائدة في معنى: خلق الإنسان هلوعًا

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج:١٩] قال الطبري: الهلوع: دابة خلف جبل «ق» تأكل في كل يوم عشب سبع براري، وتشرب كل يوم ماء سبع بحار، وتبيت في غم على رزق غد، وقيل: تأكل في كل يوم ثلاث روضات مثل الدنيا من المشرق إلى المغرب، وتشرب مثل ذلك، وعند العشاء تضرب إحدى شفتيها على الأخرى(١).

فائدة في أصل وجود الملح

قيل: إن إبراهيم النبي ﷺ أراد أن يجعل لأمة محمد ﷺ ضيافة إلى يوم القيامة، فقال له الله تعالى: إنك لا تقدر على ذلك، فقال: إلهي أنت أعلم بحالي، وقادر على إجابة سؤالي، فاستجاب له، فأمر جبريل يأتي إليه بكف من كافور الجنة ويصعد به إلى جبل أبي قبيس

---

(١) قال ابن عادل في تفسير اللباب (١٥/ ٤٦٩): قوله : (إِنَّ الإنسان خُلِقَ هَلُوعاً): قال الضحاك: المرادُ بالإنسان هنا الكافر. وقيل: عام لأنه استثنى منه المصلين، فدلَّ على أن المراد به الجنس، فهو كقوله: (إِنَّ الإنسان لَفِى خُسْرٍ إِلاَّ الذين آمَنُواْ) [العصر: ٢ ، ٣]. و« هَلُوعاً » حال مقدرة. والهلع مُفسَّر بما بعده ، وهو قوله « إذَا ، وإذَا ». قال ثعلبٌ : سألني محمد بن عبد الله بن طاهر: ما الهلع؟.
فقلت: قد فسَّره الله، ولا يكون أبينَ من تفسيره، وهو الذي إذا ناله شر أظهر شدة الجزع، وإذا ناله خيرٌ بخل به ومنعه. انتهى.
وأصله في اللغة على ما قال أبو عبيد: أشدّ الحرص وأسوأ الجزع، وهو قولُ مجاهدٍ وقتادة وغيرهما.
وقد هَلِع - بالكسر - يهلع هلعاً وهلاعاً فهو هلِع وهالع وهلوع ، على التكثير.
وقيل: هو الجزع والاضطرابُ السريع عند مسِّ المكروه ، والمنع السَّريعُ عند مسِّ الخير من قولهم: «ناقةٌ هلوَاع»، أي: سريعة السير، قال المفسرون: معناه: أنه لا يصبر في خير ولا شر، حتى يفعل فيهما ما لا ينبغي. روى السدِّي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: الهِلوَاع ، الحريصُ على ما لا يحل له.
وقال عكرمة: هو الضَّجور. وقال الضحاك: هو الذي لا يشبع. والمَنُوع: هو الذي إذا أصاب حق المال منع منه حق الله تعالى. وقال ابن كيسان: خلق اللهُ الإنسان يحبّ ما يسرُّه، ويرضيه، ويهربُ مما يكرهه، ثم تعبّده الله بإنفاق ما يحب والصبر على ما يكرهُ. وقال أبو عبيدة: الهلواعُ الذي إذا مسَّهُ الخيرُ لم يشكر، وإذا مسَّهُ الضُّرُّ لم يَصْبِرْ. وقال ﷺ: « شَرُّ مَا أعْطِيَ العَبْدُ شُحٌّ هَالِعٌ ، وجُبْنٌ خَالِعٌ ».

وينفخه في الجو، ففعل ذلك، فانتشر في الأرض فكل موضع وقع فيه منه شيء صار ملحًا إلى يوم القيامة، فجميع الملح في الأرض من ضيافة إبراهيم.

فائدة في تنوع الأرزاق

خلق الله أرزاق الخلائق وقدرها وبين أسبابها، فجعل رزق صنف في الماء ولو خرج منه لمات، وجعل رزق صنف في البر ولو دخل في البحر لمات، وجعل رزق صنف من العسل كالنحل، ورزق صنف من الروث كالجعل، ورزق صنف من الخل كدود الخل، ورزق صنف من الشم كبعض الجن يعيشون بشم طعامنا، ودوابها بشم روث دوابنا، ورزق صنف في أبدان الناس كالقمل والبعوض، ورزق صنف داخل النبات كدود القصب، ورزق صنف من النار كالنعام، ورزق صنف من الحصى كالقطا، ورزق صنف من الدم كالأجنة، ورزق صنف من الحشيش كالخيل، ورزق صنف من محبة الله وهم العارفون، ورزق صنف ذكر الله وهم الملائكة، ورزق صنف من الدود كالهدهد، فسبحان الحكيم.

فائدة في الاعتناء بالبسملة

حكي عن القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز[1] أنه كان إذا كتب كتابًا بدأ بالبسملة؛ لتعم بركتها جميع الكتاب، ثم يرمله ويحفظ ذلك الرمل ويحترمه.

فائدة في فضل يوم عاشوراء

وكان أول نزول جبريل على النبي ﷺ في يوم عاشوراء، وفيه خلق السماوات، والأرض، واللوح، والقلم، وجبريل، وملائكته، والجبال، والنجوم، والبراق، والحور العين، وغرس شجرة طوبى، وقسمت الرحمة، وخلق آدم وحواء، ودخولهما الجنة، وتوبة الله عليه، ورفع إدريس وولده نوح عليه السلام، واستواء سفينته على الجودي، وتوبة داوود، وملك سليمان، وولادة يونس ونجاته من الظلمات، وكشف البلاء عن قومه، واتخاذ

(١) تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم بن تاج الدين بن محمد الأنصاري المدني المالكي، قاض أديب، يقال له: ابن يعقوب من أهل مكة، أصله من المدينة، (١٠٦٦هـ): كان حسن الإنشاء، وفي شعره رقة، له ديوان إنشاء وفتاوي فقهية جمعها ولده أحمد في مجموع سماه: «تاج المجاميع». الأعلام للزركلي (٢/ ٨٢).

إبراهيم خليلاً، ونجاته من النار، وابتداء بناء الكعبة، وولادة إسحاق وإسماعيل، وفداؤه بالكبش، ورد يوسف على يعقوب، وخروجه من الجب، ومن السجن، وتزويج زليخا به، وولادة عيسى ورفعه، وولادة سيدنا محمد ﷺ، وتزويجه بخديجة، ودخول المدينة، وولادة فاطمة والحسن والحسين، وولادة موسى، وكلام الله له، وإلقاؤه في اليم، وتزويجه بنت شعيب، وغرق فرعون، ونجاة بني إسرائيل، وهو يوم الزينة في الآية، هذا ما ذكره بعض المؤرخين، فليراجع.

وأما طبخ الحبوب المشهور في مصر فأصله أن نوحًا لما فرغ الطوفان أخرج ما بقي معه من الحبوب وهو سبعة: الفول، والشعير، والبر، والبصل، والعدس، والحمص، والأرز، فطبخها وكان في يوم عاشوراء، ويندب فيه الصوم، والصدقة، والغسل، والاكتحال[1]، ومسح رأس اليتيم، وزيارة العلماء، والصلاة، والتوسعة على العيال، وتقليم الأظافر، وقراءة سورة الإخلاص ألفًا، وقد نظمتها بقولي:

زر عالـمًا وصم تصدق واكتحل وسع على العيال صل واغتسل

رأس اليتيم امسح وقلّم ظفرًا وسورة الإخلاص ألفًا تقرأ

وصامه نوح وموسى، قالوا: وصامته الطير والهوام، وذكر أن أسيرًا هرب من الكفار يوم عاشوراء، فركبوا في طلبه فأدركوه، فحال بينه وبينهم الليل، فلما علم أنه مأخوذ رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم بحرمة هذا اليوم المبارك نجني منهم، فأعمى الله أبصارهم عنه حتى نجا منهم، وكان صائمًا في ذلك اليوم، فلم يجد شيئًا يفطر عليه فنام، فجاءه ملك وسقاه شربة ماء، فعاش بعدها عشرين سنة لم يحتج إلى طعام ولا شراب.

(١) حَدِيثُ الاِكْتِحَالِ هُوَ مَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَضَعَّفَهُ: «مَنْ اكْتَحَلَ بِالْإِثْمِدِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ لَمْ يَرَ رَمَدًا أَبَدًا» وَرَوَاهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْمَوْضُوعَاتِ: «مَنْ اكْتَحَلَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ لَمْ تَرْمَدْ عَيْنُهُ تِلْكَ السَّنَةَ». قُلْت: وَمُنَاسَبَةُ ذِكْرِ هَذَا هُنَا أَنَّ صَاحِبَ الْهِدَايَةِ اسْتَدَلَّ عَلَى عَدَمِ كَرَاهَةِ الاِكْتِحَالِ لِلصَّائِمِ بِأَنَّهُ ﷺ قَدْ نُدِبَ إلَيْهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَإِلَى الصَّوْمِ فِيهِ. قَالَ فِي النَّهْرِ: وَتَعَقَّبَهُ ابْنُ الْعِزِّ بِأَنَّهُ لَمْ يَصِحَّ عَنْهُ ﷺ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ غَيْرُ صَوْمِهِ، وَإِنَّمَا الرَّوَافِضُ لَمَّا ابْتَدَعُوا إقَامَةَ الْمَأْتَمِ وَإِظْهَارَ الْحُزْنِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ لِكَوْنِ الْحُسَيْنِ قُتِلَ فِيهِ ابْتَدَعَ جَهَلَةٌ. رد المحتار (٧/ ٤٧٨).

فائدة في فضل الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة

روي عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليَّ في يوم الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة، وثلاثين من حوائج الدنيا، ويوكل الله بصلاته عليَّ ملكًا حتى يدخلها على قبري كما تدخل على أحدكم الهدايا، ويخبرني باسمه، فأثبته عندي في صحيفة بيضاء، وأكافئه بها يوم القيامة»[١].

فائدة في فضل العلماء

روي في الأخبار أن يوم القيامة يؤتى بعالم من علماء أمة محمد ﷺ فيوقف به بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى: يا جبريل، خذ بيده واذهب به إلى محمد، فيأتي به إليه وهو على شاطئ حوضه يسقي الناس بالأواني، فيقوم ﷺ ويسقيه بكفه، فيقول الناس: يا رسول الله، تسقي الناس بالآنية، وتسقي هذا بكفك، فيقول: نعم؛ لأن الناس كانوا مشتغلين في الدنيا بالتجارة، وكان هذا مشتغلاً بالعلم، ثم يؤمر بالمرور على الصراط فيناديه من تحته يا فلان أغثني فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا من جملة أصدقائك، فيقول: يا رب صديقي، فيرفع إليه، والله أعلم.

فائدة في الزيارة في الجنة

قال أبو محمد الهروي ﷺ: إن أهل الجنة يتزاورون فيها في أيام الأسبوع، فيوم السبت يزور الأولاد آباءهم، ويوم الأحد يزور الآباء أبناءهم، ويوم الاثنين يزور التلامذة علماؤهم، ويوم الثلاثاء يزور العلماء تلامذتهم، ويوم الأربعاء تزور الأمم أنبياءهم، ويوم الخميس تزور الأنبياء أممهم، ويوم الجمعة تزور جميع الخلائق ربهم تعالى وتقدس.

فائدة في شِقاق أهل العراق

ذكر عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه سأله رجل عن دم البعوض فقال له: من أين أنت؟ قال: من أهل العراق، فقال عبد الله لجلسائه: انظروا إلى هذا الرجل يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبي ﷺ، وقد سمعته يقول: «هما ريحانتاي من الدنيا»[٢].

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٥).

(٢) رواه البخاري (٢٠/ ٩٣)، والترمذي في «سننه» (١٣/ ٣٩٠)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥/ ٢٧٩)، وفي «حلية الأولياء» (٥/ ٧٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (١/ ٤٩٥)، والبزار في «مسنده» (٣/ ٢٨٦)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٠٩).

فائدة في الأجساد التي لا تبلى

ذكر أن عشرة لا تبلى أجسادهم: الغازي، والعالم، والمؤذن، وحامل القرآن، والنبي، والشهيد، والمرأة إذا ماتت في نفاسها، وأهل السنة، ومن قتل مظلومًا، ومن مات يوم الجمعة، وفي الأخبار: إن الله أكرم الشهداء بخمسة أمور لم يكرم بها أحد من الأنبياء، وهو: أن يتولى قبض أرواحهم بيده، ولا يغسلون، ولا يصلى عليهم، ويكفنون في ثياب الآخرة، ويسمون أحياء في قبورهم، ويشفعون كل يوم بخلاف غيرهم.

فائدة في استحسان أربعة من كل شيء

قال الحكماء: جعل الله الأشهر الحرم أربعة، كما أن خيار الملائكة أربعة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وخيار الكتب أربعة: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وفروض الوضوء أربعة: غسل الوجه واليدين ومسح الرأس والرجلين، وكلمات التسبيح أربعة: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وعلم الحساب أربعة: آحاد وعشرات ومئات وألوف، والأوقات أربعة: الساعة واليوم والشهر والسنة، والفصول أربعة: ربيع وخريف وصيف وشتاء، والطبائع أربعة: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، والأخلاط أربعة: الصفراء والسوداء والبلغم والدم، والعناصر أربعة: الهواء والنار والماء والتراب، والخلفاء الراشدون أربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ أجمعين، وسادات الجبال أربعة: طور سيناء ولبنان وأحد والجودي.

وزين الأنبياء أربعة: الخليل والكليم والروح والحبيب ﷺ، وزين السماء أربعة: العرش والكرسي والجنة والملائكة، وزين الخلائق في الأرض أربعة: العلماء والشهداء والأولياء والأتقياء، وزين النفوس أربعة: الوضوء والصلاة والصوم والحج، وزين القلب أربعة: المعرفة والعلم والعقل والتوحيد، وزين الأعضاء أربعة: العين والأذن واليد والرجل، ويرسل الله تعالى للعبد عند حمل جنازته ملائكة أربعة على قبره أحدهم ينادي: انقضت الآجال وانقطعت الأعمال، والثاني ينادي: ذهبت الأموال وبقيت الأعمال، والثالث ينادي: زال الاشتغال وبقي الوبال، والرابع ينادي: طوبى لمن كان مطعمه من الحلال، ومشغولاً بخدمة ذي الجلال.

فائدة في استحسان خمسة من كل شيء

اعلم أن الله تعالى أخفى خمسة أشياء في خمسة أشياء: أخفى رضاه في طاعة من الطاعات؛ ليجتهد الناس في جميع الطاعات رجاء أن يصادفوها، وأخفى سخطه في معصية من المعاصي؛ ليجتنبها الناس كلها خشية الوقوع فيه، وأخفى ليلة القدر في رمضان؛ ليجتهد الناس في إحياء لياليه رجاء أن يصادفوها، وأخفى اسمه الأعظم في جميع أسمائه؛ ليجتهد الناس في الدعاء بجميعها رجاء أن يصادفوه، وأخفى أولياءه في جملة خلقه حتى لا يحتقروا أحدًا منهم ويطلبون الدعاء منهم رجاء أن يصادفوه بحصول بركته بدعائه، وزاد بعضهم: أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة؛ ليجتهد الناس بالدعاء فيه، وأخفى الصلاة الوسطى في الخمس؛ ليحافظوا على جميعها.

فائدة في قسم الأرزاق

وهو أن الذئب يأكل الثعلب، وهو يأكل القنفذ، وهو يأكل الأفعى، وهي تأكل العصفور، وهو يأكل الجراد، وهو يأكل فراخ الزنابير، وهي تأكل النحل، وهو يأكل الذباب، وهو يأكل البعوض، وهو يأكل النمل، وهو يعيش بشم ما يتيسر له.

فائدة في أن الجراد يشبه عشرة من جبابرة الحيوانات

قالوا في صورة الجراد شبه من عشرة حيوانات جبابرة وهو: وجه فرس، وعين فيل، وعنق ثور، وقرن أيل، وصدر أسد، وبطن حية، وأجنحة نسر، وأفخاذ جمل، وأرجل نعامة، وذنب عقرب، وقيل في ذلك:

لها فخذ أيل ثم ساقا نعامة ... وقائمتا نسر وجؤجؤ ضيغم
حبتها أفاعي الأرض بطنا فأنعمت ... عليها جياد الخيل بالوجه والفم
حكت عين فيل عينها ثم قرنها ... يحاكي قرون الأيل يا ذا التفهم
وعنق كعنق الثور يبدو لناظر ... وذنب لها كالعقرب الحي فاعلم[1]

وقال بعضهم:

---

(١) الأبيات منسوبة لـ«القاضي محيي الدين الشهرزوري». انظر: حياة الحيوان الكبرى (١/ ١٨٣).

فسد الزمان وقد فشا فيه الريا … بين الخلائق فالجميع مرائي

مثل الجراد يعف عن أهل الغنى … ويتلف ما يلقاه للفقراء

فائدة في أن لابن آدم حصونًا لا ينبغي خرقها

قال بعض العارفين: جعل الله لابن آدم سبعة حصون هو داخل فيها، والشيطان خارج عنها ينبح كالكلب، فإذا خرق الإنسان واحدًا منها دخل منه الشيطان، فينبغي المحافظة عليها والاعتناء بها خصوصًا أولها، وما دام سادسها عامرًا فلا بأس، فأول الحصون من لؤلؤ رطب وهو: أدب النفس، وداخله حصن من زمرد وهو: الصدق والإخلاص، وداخله حصن من فخار وهو: القيام بالأمر والنهي، وداخله حصن من حجر وهو: الشكر والرضا، وداخله حصن من حديد وهو: التوكل، وداخله حصن من فضة وهو: الإيمان، وداخله حصن من ذهب وهو: معرفة الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل:٩٩].

فائدة في ذمِّ المرأة السوء

ذكر أنه عرض على أبي مسلم الخولاني فرس جواد مضمر فقال لقواده: لماذا يصلح هذا؟ فقالوا: للجهاد في سبيل الله، فقال: لا، فقالوا: للقاء العدو، فقال: لا، فقالوا له: فلماذا يصلح أصلحك الله؟ فقال: أن يركبه الرجل ويهرب من المرأة السوء، والجار السوء.

فائدة في علامات الأنبياء

روي عن وهب بن منبه قال: لم يبعث الله نبيًا إلا وله شامة بيضاء على يده اليمنى علامة للنبوة إلا نبينا، فله الخاتم المعروف.

فائدة في بعض كرامات سلطان الأولياء وغيره

روي عن سيدي عبد القادر الجيلي - قدس الله سره - أنه كان جالسًا على كرسي يعظ الناس، فمرت حدأة طائرة فصاحت، فشوشت على الحاضرين، فقال الشيخ: يا ريح، خذ رأسها، فطار رأسها في ناحية، وبدنها في ناحية، فنزل الشيخ عن الكرسي وأخذهما بيده وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فأحييت وطارت، والناس ينظرونها كرامة له ﷺ ونفعنا ببركاته.

ومثلها ما روي عن شبل المروزي أنه اشترى لحمًا بنصف درهم، فأخذته منه حدأة، فمر بمسجد فدخل وصلى فيه، فلما رجع إلى بيته قدمت زوجته لحمًا، فقال: من أين هذا؟ فقالت له: تنازع حدأتان على بيتنا فسقط هذا من بينهما، فطبخته، فقال شبل: الحمد لله الذي لا ينسى شبلاً وإن كان شبل ينساه.

الحكاية الخمسون بعد المائة

في الجواب المسكت

«**نادرة**» قال بعضهم: دخلت دار صديق لي لأعوده وتركت حماري على الباب؛ لعدم غلام معي يحفظه، فلما خرجت فإذا صبي راكب عليه، فقلت له: ركبت حماري من غير إذني، فقال: خفت أن يذهب فحفظته لك، فقلت له: لو ذهب لكان أسهل علي من بقائه، فقال لي: إن كان هذا رأيك فقدر أنه ذهب وهبه لي، واربح شكري، فلم أدر بماذا أجيبه.

الحكاية الحادية والخمسون بعد المائة

في حسن الجواب

«**عجيبة**» ركب المعتصم إلى خاقان يعوده وكان الفتح بن خاقان[1] صبيًا عنده، فقال له الخليفة المعتصم: يا فتح، أيهما أحسن: دار أمير المؤمنين، أم دار أبيك؟ فقال: دار أبي فيها خير من دار أمير المؤمنين، فأظهر المعتصم له فصًا في يده وقال: يا فتح، هل رأيت أحسن من هذا الفص؟ قال: نعم، اليد التي هو فيها.

فائدة في الفرق بين: البحتري والبختري

البحتري بالحاء المهملة: شاعر معروف، والبختري بالخاء المعجمة: قاضي مدينة

---

(١) الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج، أبو محمد، أديب شاعر فصيح، (٢٤٧هـ): كان في نهاية الفطنة والذكاء. فارسي الأصل من أبناء الملوك، اتخذه المتوكل العباسي أخًا له، واستوزره وجعل له إمارة الشام على أن ينيب عنه، وكان يقدمه على جميع أهله وولده، واجتمعت له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن، وألف كتابًا سماه: «اختلاف الملوك» وكتابًا في «الصيد والجوارح» وكتاب: «الروضة والزهر» وقتل مع المتوكل. الأعلام للزركلي (٥/ ١٣٣).

الرسول ﷺ، وولي بغداد بعد أبي يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة، ومات في سنة ثمانين ومائة في خلافة المأمون.

الحكاية الثانية والخمسون بعد المائة

في طلب الإحسان بالإشارة

«لطيفة» روي أنه كان بين ابن عنين[1] وابن الملك المظفر صاحب دمشق مؤانسة ومصاحبة، فحصل لابن عنين توعك فكتب إلى ابن الملك المظفر يقول:

انظُـــر إليَّ بِعَيـــنِ مَـــولىً لَم يَـــزَل يُـــولي النَّـــدى وَتَـــلافَ قَبـــلَ تَـــلافي

أنـــا كَالَّـــذي أَحتـــاجُ مـــا يَحتاجُـــهُ فَـــاغنَم ثَـــوابي وَالثَّنـــاءَ الـــوافي[2]

فجاء إليه بنفسه بثلاثمائة دينار وقال له: هذه الصلة، وأنا العائد، وهذا من جودة حذقه وفهمه، حيث فهم أن «الذي»: اسم موصول يحتاج إلى صلة وعائد، وأنه شبه نفسه به، فالصلة: ما وصله به، والعائد: هو ابن الملك، ويحتمل أن العائد؛ أي: الذي يعود إليه بالصلة مرة بعد أخرى، أو من العيادة بمعنى: الزيارة للمريض، والله أعلم.

نكتة في أسباب التوافق

قال مالك بن دينار: لا يتفق اثنان في معاشرة إلا ويكون بينهما وصف مجانس، ولا يتفق نوعان من الطير إلا كذلك، فرأى يومًا حمامة وغرابًا فتعجب من اتفاقهما مع اختلاف النوع، فلما مشيا إذا هما أعرجان فقال: من هاهنا اتفقا؛ لأن كل إنسان لا يألف إلا شكله، وكل طير لا يألف إلا جنسه، وإلا فلا بد من تفرقهما كما قال:

---

(١) هو محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسن ابن عنين، أبو المحاسن شرف الدين الزرعي الحوراني الدمشقي الأنصاري، (٥٤٩-٦٣٠هـ) أعظم شعراء عصره، مولده ووفاته في دمشق، كان يقول: إن أصله من الكوفة من الأنصار، وكان هجَّاء قلَّ من سلم من شره في دمشق حتى السلطان صلاح الدين والملك العادل، ونفاه صلاح الدين فذهب إلى العراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان والهند واليمن ومصر، وعاد إلى دمشق بعد وفاة صلاح الدين فمدح الملك العادل وتقرب منه، وكان وافر الحرمة عند الملوك. الأعلام للزركلي (٧/ ١٢٥).

(٢) انظر: حياة الحيوان الكبرى (١/ ٢٦١)، وديوان الصبابة (١/ ٥٣)، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٧/ ٣٤٩).

وقائـــــل كيـــــف تفــــرقتما فقلـــــت قــــولاً فيـــــه إنـــــصاف

لم يـــــك مـــــن شــــكلي ففارقتـــــه والنـــــاس أشـــــكال وأصـــــناف(١)

الحكاية الثالثة والخمسون بعد المائة

في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ..﴾ [الجن:٦]

«غريبة» قال بعضهم: كنت في سفر مع رفقة فآوانا الليل إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء الذئب فاحتمل خروفًا من غنمه، فوثب الراعي وقال: يا عامر الوادي، آذاني جارك، فنادى مناد: يا سرحان، أرسله، فجاء الخروف يشتد عدوًا حتى دخل في الغنم فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ...﴾ [الجن:٦].

الحكاية الرابعة والخمسون بعد المائة

في النسر والحوت وقت نزولهما من الجنة

«لطيفة» قيل: لما هبط آدم من الجنة إلى الأرض لم يكن فيها غير النسر في البر، والحوت في البحر، وكان النسر يأوي إلى الحوت ويبيت عنده، فلما رأى النسر آدم أتى إلى الحوت وقال له: قد وجدت اليوم في الأرض من يمشي على رجليه، ويبطش بيده، فقال له الحوت: إن كنت صادقًا فما لنا منه ملجأ لا في البر ولا في البحر، فافترقا من ذلك الوقت.

الحكاية الخامسة والخمسون بعد المائة

في بعض أسئلة عجيبة

«لطيفة» قيل: جاء رجل إلى إمام الحرمين فشكا له أن عليه ألف دينار وجلس عنده، فسئل الإمام: هل للباريء ﷻ جهة؟ فقال: تعالى الله عن ذلك، فقالوا له: ما دليل ذلك؟

---

(١) هناك بيتان مشابهان للبيتين الأولين منسوبان لـ«الظاهري» من بحر السريع، وهما:

وقائــلٍ كيــف تهاجرتمــا فقلــت قــولاً فيــه إنــصاف

لم يــك مــن شــكلي فناكرتــه والنــاس أشــكالٌ وآلاف

فقال: قوله ﷺ: «لا تفضلوني على يونس بن متى»(١) فقالوا له: ما وجه ذلك؟ فقال: لا أقول لكم وجهه حتى تعطوا ضيفي هذا ألف دينار يقضي بها دينه فقام بها رجلان منهم، فقال: إنه ﷺ لما وصل إلى الرفرف الأعلى وانتهى إلى سماع صرير الأقلام في تصريف الأقدار، وناجاه بها ناجاه، وأوحى إليه ما أوحى، لم يكن أقرب إلى الله من يونس عليه السلام في بطن الحوت في ظلمة البحر في ظلمة اللّيل، والله أعلم.

الحكاية السادسة والخمسون بعد المائة

في قدرة الله تعالى

«ظريفة» قيل: إن سليمان عليه السلام سأل الله تعالى أن يأذن له أن يضيف جميع الحيوانات يومًا، فأذن له، فجمع طعامًا مدة طويلة ثم سأل إنجاز الوعد، فأجابه، فطلع حوت من البحر فأكل جميع الطعام ثم قال له: زدني يا سليمان، فإني ما شبعت، فقال له: لم يبق عندي شيء، وهل كل يوم رزقك مثل هذا؟ فقال له: إن رزقي في كل يوم ثلاثة أضعاف هذا، ولكن الله لم يطعمني في هذا اليوم غير هذا، وأبقى بقية يومي جائعًا، فليتك لم تضيفني، فانظر يا أخي إلى كمال قدرة الله تعالى وسعة فضله؛ إذ سيدنا سليمان مع قوته وسلطانه وملكه عجز عن قوت حيوان واحد.

حكمة طريفة: إنما خص الله تعالى الحيوان بالاقتيات والتغذية دون غيره؛ لأن فيه من صفات الله، ولو ترك بلا قوت ولا غذاء لادعى الألوهية، فجعل الله تعالى من حكمته العجيبة احتياجه وافتقاره إلى القوت سببًا في عدم تلك الدعوى، وهو الحكيم الخبير.

نكتة لطيفة في أنواع الخلق: قد ورد في الحديث: «إن الله خلق الجن ثلاثة أصناف: صنف كالحيات، وصنف كالعقارب وخنافس الأرض، وصنف كالريح في الهواء، وخلق الإنس ثلاثة أصناف أيضًا: صنف كالبهائم ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف:١٧٩] وصنف أجسادهم أجساد بني

---

(١) رواه البخاري (١٢/ ٧٩)، ومسلم (١٥/ ٤٤٧)، وأحمد في «مسنده» (٥/ ٣٦٥)، والترمذي في «سننه» (١/ ٣١٩)، وأبو داود في «سننه» (١٣/ ٣٩٧)، بلفظ «لاَ يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى» والدارمي في «سننه» بلفظ «لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى» (٨/ ٤٦٩).

آدم وأرواحهم أرواح الشياطين، وصنف كالملائكة في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله»(١).

الحكاية السابعة والخمسون بعد المائة

«إشارة حسنة لطيفة» قيل: اجتمع إبليس مع يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ فقال له: أنصحك، فقال يحيى: لا أريد ذلك، ولكن أخبرني عن أحوال بني آدم عندكم، فقال: هم عندنا على ثلاثة أصناف: صنف هو أشدهم علينا؛ لأنا نقبل عليه لنفتنه في دينه فتتمكن منه فيفزع إلى الاستغفار فنيأس منه ولا نقدر عليه، فنحن معه في عناء وتعب، وصنف مثلك معصومون منا لا نقدر معهم على شيء، وصنف في أيدينا كالكرة نلعب بهم كيف نشاء.

لطيفة في مزية الخطاطيف(٢): قيل: لما أهبط آدم إلى الأرض شكا من الوحشة، فآنسه الله بالخطاطيف، وألزمها البيوت إيناسًا لبني آدم، ومعها آيات من كتاب الله تعالى هي قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ [الحشر: ٢١] إلى آخر السورة، وتمد صوتها بالعزيز الحكيم.

لطيفة في كساء عيسى عليه السلام: قيل: لما رفع الله عيسى عليه السلام كساه الريش، وألبسه النور، وقطع عنه حاجة الطعام، فهو يطير مع الملائكة حول العرش.

---

(١) رواه الديلمي (٢/ ١٨٩) رقم: «٢٩٤٢»، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٣٩) رقم: (١٠٨١١)، وابن أبي الدنيا في «الهواتف» (٩٩) رقم: (١٥٦).

(٢) الخُطَّافُ كرُمَّانٍ: طَائِرٌ أَسْوَدُ. قال ابنُ سِيدَه: وهو العُصْفُورُ الذي تَدْعُوهُ العَامَّةُ: عُصْفُورَ الجَنَّةِ، والجَمْعُ: الخَطَاطِيفُ. تاج العروس (١/ ٥٨١٠).

الحكاية الثامنة والخمسون بعد المائة

في سبب قتل المتنبي

«عزيزة» قيل: إن أبا الطيب المتنبي(١) كان راجعًا من بلاد فارس إلى بغداد بجائزة أجازه بها عضد الدولة ومعه جماعة من الفرسان، فخرج عليه قطاع الطريق فهرب المتنبي منهم، فقال له غلامه: أتهرب وأنت القائل في شعرك:

فَالخَيلُ وَاللَيلُ وَالبَيداءُ تَعرِفُني ... وَالسَيفُ وَالرُمحُ وَالقِرطاسُ وَالقَلَمُ

فكر راجعًا فقتل في سنة ثلاثمائة وأربع وخمسين، فكان ذلك البيت سببًا لقتله فلذلك استحسنوا قول الخطائي في «العزلة»:

أَنِستُ بِوَحدَتي وَلَزِمتُ بَيتي ... فَدامَ الأُنسُ لي وَنَما السُرورُ

فَأَدَّبَني الزَمانُ فَلا أُبالي ... هُجِرتُ فَلا أُزارُ وَلا أَزورُ

وَلَستُ بِسائِلٍ ما دُمتُ حَيًّا ... أَسارَ الخيلُ أَم رَكِبَ الأَميرُ(٢)

---

(١) أبو الطيب المتنبي (٣٠٣-٣٥٤هـ) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب المتنبي الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي، له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة، وفي علماء الأدب من يعده أشعر الإسلاميين، ولد بالكوفة في محلة تسمى «كندة» وإليها نسبته، ونشأ بالشام، ثم تنقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس، وقال الشعر صبيًّا، وتنبأ في بادية السماوة ـ بين الكوفة والشام ـ فتبعه كثيرون، وقبل أن يستفحل أمره خرج إليه لؤلؤ ـ أمير حمص ونائب الإخشيد ـ فأسره وسجنه حتى تاب ورجع عن دعواه، ووفد على سيد الدولة ابن حمدان صاحب حلب سنة ٣٣٧هـ فمدحه وحظي عنده، ومضى إلى مصر فمدح كافور الإخشيدي وطلب منه أن يوليه فلم يوله كافور، فغضب أبو الطيب وانصرف يهجوه، وقصد العراق فقرئ عليه ديوانه، وزار بلاد فارس فمر بأرجان ومدح فيها ابن العميد وكانت له معه مساجلات، ورحل إلى شيراز فمدح عضد الدولة ابن بويه الديلمي، وعاد يريد بغداد فالكوفة، فعرض له فاتك بن أبي جهل الأسدي في الطريق بجماعة من أصحابه، ومع المتنبي جماعة أيضًا، فاقتتل الفريقان فقتل أبو الطيب وابنه محسد وغلامه مفلح بالنعمانية بالقرب من دير العاقول في الجانب الغربي من سواد بغداد. الأعلام للزركلي (١/ ١١٥).

(٢) الأبيات منسوبة لـ«الخليل بن أحمد الفراهيدي» من بحر الوافر بلفظ: «فَطابَ الأُنسُ» بدلاً من «فدام الأنس»، ولفظ: «أَسارَ الجَيشُ» بدلاً من «أسار الخيل».

الحكاية التاسعة والخمسون بعد المائة

في أسباب عدم التقدم في غير أوانه

«**نكتة**» هي أن الإمام ابن جني(١) قد قرأ على الإمام أبي علي الفارسي، وجلس ابن جني للتدريس بالموصل، فمر عليه يومًا أبو علي فرآه في حلقته، فقال له: تزببت وأنت حصرم، فترك التدريس وذهب إلى شيخه ولم يفارقه حتى مهر، رحمة الله عليهما.

مسألة لطيفة في أن الخيل قبل آدم أو بعده: سئل الإمام تقي الدين السبكي ـ رحمه الله تعالى ـ عن الخيل هل كانت قبل آدم أو بعده؟ وقد خلقت ذكورها قبل إناثها، وهل العربيات قبل البراذين؟ وهل ورد في ذلك شيء من الكتاب أو السنة، أفتونا؟ فأجاب بأنها خلقت قبل آدم بنحو يومين، واستدل بآيات وأحاديث منها كون خلق الدواب في يوم الثلاثاء أو الأربعاء وخلق آدم في يوم الجمعة، وأن الذكور قبل الإناث؛ لشرفها وحرارتها والانتفاع بها، وأن العراب قبل البراذين؛ لأن وجود البراذين لعلة في الأب أو الأم، ولهذا كانت حثالة الخيل، والحثالة لا تتقدم على غيرها، وقد وردت أحاديث كثيرة(٢) في شرف الخيل وفي بركتها، وطلب النفقة عليها، وخدمتها ومسح وجوهها ونواصيها، والتماس عينهاوإنمائها، والنهي عن خصيها وجز نواصيها، وغير ذلك، وأول المخلوقات مطلقًا الجماد، ثم النبات، ثم الحيوان، ثم الإنسان، انتهى كلامه.

«**غريبة في أن الرغيف لا يستدير... إلخ**: قد روي في الأخبار أنه لا يستدير الرغيف ويوضع بين يدي آكله حتى يتداول عليه ثلاثمائة وستون صانعًا، أولهم: ميكائيل الذي

---

(١) عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح من أئمة الأدب والنحو وله شعر، (٣٩٢هـ) ولد بالموصل وتوفي ببغداد عن نحو ٦٥ عامًا، وكان أبوه مملوكًا روميًّا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي. الأعلام للزركلي (٤/ ٢٠٤).

(٢) قَوْلُهُ ﷺ: «الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» يُرِيدُ ـ وَاللهُ أَعْلَمُ ـ الْأَجْرَ وَالْغَنِيمَةَ، وَقَدْ رُوِيَ ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» الْأَجْرُ وَالْغَنِيمَةُ وَهَذَا حَضٌّ عَلَى ارْتِبَاطِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاتِّخَاذِهَا لِلْجِهَادِ، وَقَوْلُهُ: «إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ بَاقٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَنَّ الْإِسْلَامَ لَا يَذْهَبُ جُمْلَةً، وَلَا يَغْلِبُ عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْ أَهْلِهِ مَنْ يُجَاهِدُ عَنْ الدِّينِ، وَيَدُلُّ أَيْضًا أَنَّ أَهْلَ الْكُفْرِ وَمَنْ يُجَاهِدُ عَلَى الدِّينِ لَا يَخْلُو مِنْهُمْ وَقْتٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَهَذَا ظَاهِرُ هَذَا اللَّفْظِ إِلَّا أَنْ يَرِدَ تَخْصِيصُهُ بِبَعْضِ الْأَزْمَانِ. المنتقى شرح الموطأ (٣/ ٧١).

يكيل الماء من خزانة الرحمة، ثم الملائكة التي تزجي السحاب، ثم الشمس، والقمر، والأفلاك، وملوك الهواء، ودواب الأرض، وآخرها الخباز.

الحكاية الستون بعد المائة

في تهذيب الأخلاق

«لطيفة» روي أن الربيع الجيزي صاحب الإمام الشافعي ﷺ مر يومًا في أزقة مصر وإذا إجانة مملوءة رمادًا طرحت على رأسه، فنزل عن دابته وأخذ ينفض ثيابه، فقيل له: ألا تزجرهم؟ فقال: من استحق النار وصولح بالرماد فليس له أن يغضب، مات سنة مائتين وخمسين.

دقيقة فيما ينبغي العمل به: في الحديث: «**إذا انفلتت دابة أحدكم في أرض فلاة فليناد: يا عباد الله، احبسوا، فإن الله ﷻ يرسل حابسًا يحبسها عليه، وإذا ساء خلق دابة أحدكم أو رفيقه أو صبيه فليقرأ في أذنه: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ....﴾** [آل عمران:٨٣]»[1].

«وروي» أن من ركب دابة فحرنت فأمر أن يقرأ رجل في أذنها: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾ [الفلق:١] فقرأها سكنت.

«وروي» أن من ركب دابة وقال: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا....**﴾ [الزخرف:١٣] الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، قالت الدابة: بارك الله عليك من مؤمن، خففت عن ظهري، وأطعت ربك، وأحسنت إلى نفسك، بارك الله لك، وأنجح حاجتك.

فائدة فيما ينبغي العمل به: قال بعض العلماء: من أكل كثيرًا وخاف على نفسه من التخمة، فلمسح بيده على بطنه وليقل: الليلة ليلة عيدي يا كرشي، رضي الله عن سيدي أبي عبد الله القرشي يفعل ذلك ثلاث مرات فلا يضره الأكل بإذن الله تعالى.

لطيفة في مدح الفقر وذم الغنى: روي أن الله تعالى قال لموسى ؈: إذا رأيت الفقر مقبلاً عليك فقل: مرحبًا بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلاً عليك فقل: هو ذنب عجلت عقوبته في الدنيا، واعلم أن الله إذا كان يعطي العبد في الدنيا على معاصيه ما يحب فإنه استدراج منه إليه. انتهى.

---

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (١١/ ٣٢)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ٦٨).

نبذة شريفة في ولادة عيسى وموته: روي أن مريم أم عيسى عليه السلام حملت به وعمرها ثلاث عشرة سنة، وولدته ببيت لحم بأرض الشام، وأوحى الله إليه وهو ابن ثلاثين سنة، ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وعاشت أمه بعده ست سنين.

الحكاية الحادية والستون بعد المائة

في ذمِّ العجب

«**غريبة**» روي أن مقاتل بن سليمان[1] جلس يومًا فأعجبته نفسه فقال: سلوني عما دون العرش، فقال له رجل: آدم لما حج من حلق رأسه؟ وقال آخر: أمعاء النملة في مقدمها أو مؤخرها؟ فلم يدر ما يقول؟ ثم قال: هذا ليس من علمكم، ولكن أعجبتني نفسي فابتليت. انتهى.

فائدة في عدد أعضاء الإنسان

قال جالينوس: جملة خرزات الإنسان من دماغه إلى عجزه أربع وعشرون خرزة: سبع في العنق، واثنا عشر في الظهر، وخمس في العجز متصلة. وفي البطن والأضلاع أربعة وعشرون في كل جانب اثنا عشر، وجملة العظام في بدنه مائتان وثمانية وأربعون عظمًا، ما عدا عظم القلب وحشو المفاصل المسماة: بالسمسمية، شبهها لصغرها بالسمسم، وذكر بعضهم أنها ستة وثلاثون، وجميع الثقب المنفتحة في بدنه اثنتا عشرة: الأذنان، والعينان، والمنخران، والفم، والثديان، والفرجان، والسرة، وأما المسام فلا حصر لها. انتهى.

وقال سهل بن عبد الله التستري في الإنسان ثلاثمائة وستون عرقًا: نصفها ساكن، ونصفها متحرك، وقال بعضهم كما في الحديث: «إن مفاصل البدن ثلاثمائة وستون مفصلاً» ورواية: ستمائة وستين مردودة، وأن فيه خمسمائة وستين عضلة مركبة من لحم وعصب.

---

(١) (...-١٥٠هـ / ...- ٧٦٧م) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي أبو الحسن، من أعلام المفسرين، أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها، وتوفى بالبصرة، كان متروك الحديث. الأعلام للزركلي (٧/ ٢٨١).

الحكاية الثانية والستون بعد المائة

في الحِلم والجود

«نكتة» جاءت امرأة إلى قيس بن سعد بن عبادة فقالت له: مشت جرذان بيتي على العفاء، فقال: سأدعهم يثبون وثب الأسود، ثم أرسل لها ما ملأ بيتها من سائر الحبوب والأطعمة، وكان حليمًا جوادًا، والعفاء: التراب، ومرادها أنه لم يبق في بيتها شيء يأكله الفأر.

الحكاية الثالثة والستون بعد المائة

في بعض الغرائب اللطيفة

«غريبة» كان لركن الدولة سنورة[1] تحضر مجلسه وإذا تعسر حضور بعض إخوانه ودعت حاجة كتب ورقة وعلقها في عنقها، فتذهب إليه، فيحضر أو يكتب جوابها ويعلقه في عنقها، فتعود إليه، وإذا ألفت منزلاً طردت غيرها عنه وحاربته أشد المحاربة، والله أعلم.

الحكاية الرابعة والستون بعد المائة

في حسن التدبر

ذكر أن لقمان النوبي الحكيم بن عنقاء بن بروق من أهل أيلة أعطاه سيده شاة وأمره أن يذبحها، ويأتيه بأخبث ما فيها، فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها، ثم أعطاه شاة أخرى وأمره بذبحها وأن يأتيه بأطيب ما فيها، فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها، فسأله عن ذلك فقال له: يا سيدي، لا أخبث منهما إذا خبثا، ولا أطيب منهما إذا طابا.

(١) السِّنَّوْرُ: الْهِرُّ، وَالْأُنْثَى: سِنَّوْرَةٌ. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَهُمَا قَلِيلٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَالْأَكْثَرُ أَنْ يُقَالَ: هِرٌّ وَضَيْوَنٌ، وَالْجَمْعُ: سَنَانِيرُ. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٤/ ٣٤٢).

الحكاية الخامسة والستون بعد المائة

في نكات بعض الظرفاء

«نوادر» حكيت عن سليمان بن مهران[1] المشهور بالأعمش وهو من أجل التابعين أخذ عن أنس بن مالك ﷺ، وكان لطيفًا ظريفًا مزَّاحًا.

* منها: إن هشام بن عبد الملك بعث إليه أن اكتب لي مناقب الخليفة عثمان بن عفان، ومساوئ علي بن أبي طالب، فأخذ القرطاس من الرسول وأدخله في فم شاة فلاكته، ثم قال له: هذا جوابه، فذهب الرسول ثم عاد إليه وقال له: إنه قد صمم على قتلي إن لم أعد إليه بجواب في قرطاس، واستعان عليه بأخوته، فقالوا: أفده من القتل، فأخذ قرطاسًا وكتب فيه: أما بعد، فلو كان لعثمان مناقب أهل الأرض ما نفعتك، ولو كان لعلي مساوئ أهل الأرض ما ضرتك، فعليك بخويصة نفسك والسلام.

* ومنها: إن زوجته كانت جميلة فنشزت عليه، فقال لواحد من تلامذته: اذهب إليها وأخبرها بمكاني لعلها تتوب، فذهب الرجل إليها وقال لها: إن الله ﷻ قد أحسن قسمتك حيث جعل زوجك سيد الناس وشيخهم، يأخذون عنه العلم والدين، والحلال والحرام، وينقادون إليه، ولا يضرك عموشة عينيه، ولا خموشة ساقيه، وكان الأعمش يسمعه فغضب منه ونهره، وقال له: يا خبيث، أرسلتك لتذكر محاسني، فأخبرتها بعيوبي، قاتلك الله، وأخرجه من بيته.

* ومنها: إنه كان جالسًا بجانب النهر وعليه فروة، فجاء رجل وجذبه وقال له: قم عد بي هذا الخليج وركبه، وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا....﴾ [الزخرف:١٣] فمشى به الأعمش إلى وسط الخليج وألقاه، وقال: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا....﴾ [المؤمنون:٢٩].

---

(١) سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، أبو محمد، الملقب بالأعمش، تابعي مشهور، (٦١-١٤٨هـ) أصله من بلاد الري، ومنشأه ووفاته في الكوفة، كان عالـمًا بالقرآن والحديث والفرائض، يروي نحو ١٣٠٠ حديث، قال الذهبي: كان رأسًا في العلم النافع والعمل الصالح، وقال السخاوي: قيل: لم ير السلاطين والملوك والأغنياء في مجلس أحقر منهم في مجلس الأعمش مع شدة حاجته وفقره. الأعلام للزركلي (٣/ ١٣٥).

الحكاية السادسة والستون بعد المائة

«عجيبة» قال الحسن البصري ﷺ: أضجعت شاة لأذبحها فمرَّ بي أبو أيوب السجتياني، فألقيت الشفرة وقمت لأتحدث معه، وأخذنا ننظر الشاة، فذهبت إلى جانب حائط وحفرت حفرة وأخذت الشفرة وألقتها فيها، وردت التراب عليها، فقال لي أبو أيوب: أما ترى، فتعجبنا غاية العجب، ثم آليت على نفسي ألّا أذبح حيوانًا بعد ذلك أبدًا.

الحكاية السابعة والستون بعد المائة

«ظريفة غريبة» ذكر أن جعفرًا الصادق سمي صادقًا لصدقه في مقاله، وهو الذي وضع الجفر المشهور خلافًا لمن نسبه لجده علي الأعلى، وكتب في جلد جفر، فنسب إليه، وفيه ما تحتاج ذريته إليه إلى يوم القيامة، وله كلام في الكيمياء وغيرها، ومن وصاياه لابنه موسى الكاظم: يا بني، من قنع بما قسم الله له استغنى، ومن مد عينه لما في أيدي الناس افتقر، ومن لم يرض بما قسم الله له فقد اتهم الله في قضائه، ومن كشف حجاب الناس انكشفت عورات بيته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن احتفر لأخيه بئرًا سقط فيها، ومن داخل السفهاء حقر، ومن خالط العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره.

وقال ابن شبرمة: دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر الصادق فقلت له: هذا رجل من فقهاء العراق، فقال: لعله الذي يقيس الدين برأيه، أهو النعمان بن ثابت؟ وكنت لا أعرف اسمه، فسكت أنا، فقال أبو حنيفة: نعم، هو أنا ذاك، أصلحك الله، فقال له: اتق الله ولا تقس الدين برأيك، فإن أول من قاسه برأيه إبليس حيث قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [ص:٧٦] فأخطأ في قياسه وضل، ثم قال له: أتحسن أن تقيس رأسك من جسدك؟ فقال: لا، ثم قال له: يا هذا، أخبرني لم جعل الله الملوحة في العينين، والمرارة في الأذنين، والماء في الأنف، والعذوبة في الشفتين، فقال: لا أدري، فقال جعفر: إن الله جعل ذلك منًّا على عباده؛ لأن العينين شحمتان لو لم تملحا لذابتا، والأذنين للهوام، فلو لم تمررا لأكلتها، والمنخرين لاستنشاق الريح الطيب والرديء، فلولا الماء فيهما لم يشما، والشفتين للطعم، فلولا العذوبة فيهما لما حصل الذوق بهما.

ثم قال له: يا هذا، أخبرني عن كلمة أولها شرك وآخرها إيمان؟ فقال: لا أدري،

فقال: هي: «لا إله إلا الله» ثم قال له: أخبرني أي الأمرين أعظم: القتل أو الزنا؟ فقال أبو حنيفة: القتل أعظم، فقال له: فلم قبل الله في القتل شاهدين، ولم يقبل في الزنا أقل من أربع؟ فسكت، فقال له جعفر: أي الأمرين أفضل الصوم أو الصلاة؟ فقال أبو حنيفة: الصلاة، فقال: فلم أن الله أوجب على الحائض قضاء الصوم وأسقط عنها قضاء الصلاة؟ فسكت، ثم قال: يا هذا، اتق الله ولا تقل في الدين برأيك، فإنا نقف غدًا بين يدي الله ونقول: قال الله وقال رسوله، وتقول أنت وأصحابك: شفنا ورأينا، ويفعل الله بنا وبكم ما يشاء، انتهى قولهما، وأقول: إنما طلب زيادة الشهود في الزنا لطلب الستر فيه، وسقوط الصلاة عن الحائض لكثرتها وتكررها، فناسب فيها التخفيف.

فائدة: لم يثبت حنين الجذع وتسليم الحجر لأحد من الأنبياء غير نبينا محمد ﷺ وقال بعضهم فيه نظمًا وهو هذان البيتان:

وحنَّ إليه الجذع شوقًا ورقة ... ورجع صوتًا كالعشار ورددا
فبادره ضمًّا فقرَّ لوقته ... لكل امرئ من دهر مما تعودا

الحكاية الثامنة والستون بعد المائة
فيما يجب على الرسول والمرسل

«ظريفة» قال يحيى البرمكي: ثلاثة تدل على عقول الرجال: الهدية، والكتاب، والرسول، وسمع أبو الأسود الدؤلي رجلاً ينشد:

إِذا كُنت في حاجَة مرسِلاً ... فَارِسِل حَكيمًا وَلا توصِه(١)

فقال: قد أخطأ قائل هذا، أيعلم الرسول الغيب، وإذا لم توصه أنت فكيف يعلم ما في نفسك؟ ثم قال:

إِذا أَرسَلتَ في أَمرٍ رَسولاً ... فَأَفهِمهُ وَأَرسِلهُ أَديبا
وَلا تَترُك وَصيَّتَهُ لِشَيءٍ ... وَإِن هوَ كانَ ذا عَقلٍ أَريبا

---

(١) البيت منسوب لـ«صالح بن عبد القدوس» من بحر المتقارب.

وَإِن ضَيَّعتَ ذاكَ فَلا تَلُمهُ ... عَلى أَن لَم يَكُن عَلِمَ الغيوبا

نبذة: قال العلامة جمال الدين الأسنوي: أنشدني شيخنا أبو حيان قال: أنشدني الحافظ رضي الدين عبد الله الشاطبي قال: أنشدني أبو الربيع سليمان الفاقد قال: أنشدني أبو عبد الله رافع قال: أنشدني أبو القاسم بن حسين قال: أنشدني أبو عبد الله الفرا الضرير الخطيب لنفسه قال:

يا حسنًا ما لك لم تحسن ... إلى نفوس في الهوى متعبه
رقمت بالورد وبالسوسن ... صفحة خد بالسنا مذهبه
وقد أبى صدغك أن أجتني ... منه وقد ألدغتني عقربه
يا حسنه إن قال ما أحسني ... ويا لذاك اللفظ ما أعذبه
قلت له كلك عندي سنا ... وكل ألفاظك مستعذبه
ففوق السهم ولم يخطني ... ومذ رآني ميتًا أعجبه
وقال كم من عاشق قد ضني ... وحبه إياي قد أتعبه
يرحمه الله على أنني ... قتلي له لم أدر من أوجبه[1]

الحكاية التاسعة والستون بعد المائة

في أصل من وضع الشطرنج والنرد[2]

«عجيبة» اسم واضع الشطرنج «صصة» ـ بمهملتين أولهما مكسورة، والثانية

---

(١) انظر الأبيات في: المستطرف في كل فن مستظرف (١/ ٤١٣)، وحياة الحيوان الكبرى (٢/ ٦)، والتذكرة الفخرية (١/ ٣٥).

(٢) النَّرْدُ أَهمله الجوهريُّ. وقال الصاغانيُّ: هو معروف شيءٌ يُلْعَب به. قال ابنُ دُرَيْد: فارسي مُعَرَّبٌ، واخْتُلِف في واضِعه كما اخْتُلِف في واضِع الشِّطْرَنْج، فقيل: وضَعَه أَرْدَشِيرُ بنُ بَابَك من مُلوكِ الفُرْسِ، ولهذا يُقَالُ له: النَّرْدَ شير إِضافَةً له إِلى واضِعِه، وقد ورد هكذا في الحَديث: «مَن لَعِبَ بالنَّرْدَ شِيرِ فكأَنَّمَا غَمَسَ يَدَه في لَحْمِ الخِنْزِير ودَمِه» وقال ابنُ الأَثير: النَّرْدُ اسمٌ أَعجميٌّ مُعَرَّب، وشِير بمعنى حُلْوٍ. تاج العروس (١/ ٢٢٩٦).

مفتوحة مشدودة ـ وهو حكيم هندي على الأصح، وضعه للملك بلهت، أو بلهيت، وأصل وضعه أنه لما افتخرت ملوك فارس على ملوك الهند بوضع النرد من الملك أردشير لنفسه، ولذلك سمي: نردشير، نسبة إليه، فوضع الحكيم المذكور الشطرنج، فقضى حكماء عصره بفضله على النرد، وافتخر الملك الموضوع له بذلك، فقال لواضعه: تمن علي ما تريد، فقال: يأمر الملك بوضع درهم في أول بيوته، ويضاعفه إلى آخرها، فاستخف الملك بذلك وقال: لقد أفسد عقلك علينا ما صنعت فقال له الوزير: مه أيها الملك، فإن هذا شيء ينفد خزائنك وخزائن الملوك دونه، فعجب من ذلك وقال: إن تمنيتك أعجب من صنعتك.

وعن بعضهم أنه وضع قمحة بدل الدرهم، فاستغرق آخره سبعة أقاليم، وبعضهم فضل النرد عليه؛ لأن واضعه جعله مثلاً للدنيا، فبيوته اثنا عشر كشهور السنة، مقسمة أربعة أقسام كفصول السنة، وعدد قطعه ثلاثون كأيام الشهر، مقسمة بيضاء وسوداء كأيام الشهر ولياليه، وعدد فصوصه ستة بعدد الجهات، وعدد نقط كل جهة من فصوصه سبعة كالأرضين، والسماوات، والأفلاك، والنجوم السيارة، وأيام الأسبوع، والعدد الذي تأتي به الفصوص قلة وكثرة كالقضاء والقدر، وتصرف الملاعب مبين لحسن اختياره، وعقله وجودة حذقه، والشطرنج يشارك النرد في هذا الأخير فقط، والله أعلم.

الحكاية السبعون بعد المائة

في أسباب عدم إجابة الدعاء

«غريبة» روي أن موسى ﷺ رأى رجلاً يدعو ويتضرع في حاجة، فقال: يا رب، لو كانت حاجته بيدي لقضيتها، فأوحى الله إليه: يا موسى، إن له غنمًا، وإن قلبه عند غنمه، وأنا لا أستجيب دعاء عبد يدعوني وقلبه عند غيري، فأخبر موسى الرجل بذلك، فانقطع إلى الله فقضى حاجته.

الحكاية الحادية والسبعون بعد المائة

فيمن نوع الناس من أرباب العقول

«لطيفة»: قال بعضهم: دخلت على سفيان الثوري بمكة، ووجدته مريضًا وقد شرب دواء، فقلت له: إني أريد أن أسألك عن أشياء، فقال لي: قل ما بدالك، فقلت له: أخبرني من الناس؟ قال: الفقهاء، قلت له: فمن الملوك؟ قال: الزهاد، قلت له: فمن

الأشراف؟ قال: الأتقياء، قلت: فمن الغوغاء[1]؟ قال: من يكتب الحديث، ويأكل به أموال الناس، قلت: فمن السفلة؟ قال: الظلمة، أولئك هم كلاب النار.

الحكاية الثانية والسبعون بعد المائة

في إقامة الدليل على رحمة الله لعباده

«ظريفة»: روي أن عربيًا جاء إلى النبي ﷺ فقال له: يا رسول الله إني لما أتيتك مررت بغيضة، فسمعت فيها أصوات أفراخ طير، فأخذتهن ووضعتهن في كسائي، فجاءت أمهن واستدارت على رأسي، فكشفت لها عنهن، فوقعت عليهن، فلففتها في كسائي، فقال له: ضعهن عنك فوضعهن، فجعلت أمهن تزفهن، فقال ﷺ لأصحابه: **«أتعجبون فوالذي بعثني بالحق نبيًّا إن الله أرحم بعباده من أم هذه الأفراخ بأفراخها، ثم قال للرجل: ارجع فضعهن في مكانهن»**[2] قال: فرجعت بهن وأمهن ترفرف على رأسي حتى وضعتهن.

الحكاية الثالثة والسبعون بعد المائة

في سبب وصول ذي النون وتوبته

«دقيقة»: قيل لذي النون المصري: ما سبب توبتك؟ فقال: خرجت من مصر مسافرا إلى بعض القرى، فنمت في بعض الطريق في الصحراء فإذا أنا بقنبرة عمياء وقعت من وكرها، فانشقت الأرض، وخرج منها سكرجتان[3]: إحداهما من فضة، والأخرى من ذهب، وفي إحداهما سمسم، وفي الأخرى ماء، فجعلت تأكل من السمسم، وتشرب من

---

(١) أصل الغَوْغاءِ: الجَرادُ حين يَخِفُّ للطَّيرانِ ثم استعير للسَّفِلةِ من الناسِ والمُتَسَرِّعين إلى الشرِّ، ويجوز أن يكون من الغَوْغاءِ: الصوتِ والجَلَبةِ؛ لكثرة لَغَطِهم وصِياحِهم. لسان العرب (٨/ ٤٤٤).

(٢) رواه أبو داود في «سننه» (٩/ ٢٣٨)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٤/ ٤٥١) بلفظ «أَتَعْجَبُونَ لِرُحْمِ أُمِّ الأَفْرَاخِ فِرَاخَهَا، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: فَوَالَّذِى بَعَثَنِى بِالْحَقِّ اللهَ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ أُمِّ الأَفْرَاخِ بِفِرَاخِهَا ارْجِعْ بِهِنَّ حَتَّى تَضَعَهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُنَّ وَأُمُّهُنَّ مَعَهُنَّ».

(٣) لفظة السُّكُرُّجَة وهو في حديث أنس: «لا آكُلُ في سُكُرُّجَةٍ». قال عياض في «المشارِق» وتابعه ابن قُرْقُول في المطالع، هي بضمّ السين والكاف والرّاءِ مشدّدة وفتح الجيم، كذا قيدنا، وقال ابنُ مَكّيّ: صوابه بفتح الراءِ: قِصَاعٌ يُؤكَل فيها صِغارٌ، وليست بعربيّة وهي كُبْرَى وصُغْرَى؛ الكُبْرَى تَحْمِلُ سِتَّ أَوَاقٍ، والصُغْرَى ثَلاَثَ أواقٍ، وقيل: أَرْبَعَ مَثَاقِيلَ، وقيل: ما بينَ ثُلُثَيْ أُوقِيَة. تاج العروس (١/ ١٤٣٥).

الماء، فتبت إليه، ولزمت بابه حتى قبلني.

لطيفة في أن العالم خمسة أنواع فإذا فسد ذلك فسد العالم

قيل: إن الله تعالى قسم الأمة خمسة أقسام: علماء، ثم زهاد، ثم غزاة، ثم ولاة أمور، ثم تجار. فالعلماء ورثة الأنبياء، والزهاد ملوك الأرض، والغزاة أنصار الله، والأمراء رعاة الله على خلقه، والتجار أمناء الله، فإذا طمع العلماء في جمع المال فبمن يهتدى؟ وإذا راءى الزهاد فبمن يقتدى؟ وإذا غل الغزاة فبمن يكون الظفر؟ وإذا خان التجار فبمن يؤتمن؟ وإذا كان الرعاة كالذئاب فبمن تحاط الرعية؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقال بعضهم: خلق الله الناس أصنافًا: صنف للخطابة، وصنف للعبادة، وصنف للنجدة، وصنف للمعاش، وصنف للإمامة، وما عدا ذلك رجرجة يكدرون الماء، ويغلون الأسعار، ويضيقون الطرق، والرجرجة بمهملتين وجيمين هم: الأرذال من الناس، والسفلة منهم.



الحكاية الرابعة والسبعون بعد المائة

في ذكر بعض محاسن أهل البيت

«نكتة»: روي أن سيدنا محمدًا الجود بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب سأل يحيى بن أكثم[1] بحضرة المأمون عن مسألة فقال له: ما تقول في رجل نظر إلى امرأة أول النهار حرامًا، ثم حلت له عند الارتفاع، ثم حرمت عليه عند الظهر، ثم حلت له عند العصر، ثم حرمت عليه عند المغرب، ثم حلت له عند العشاء، ثم حرمت عليه نصف الليل، ثم حلت له عند الفجر؟ فقال يحيى: لا أدري ذلك أصلحك الله، فقال له المأمون: أخبرنا عن تلك يا ابن أمير المؤمنين، فقال: إن هذه المرأة جارية نظرها أجنبي أول النهار، ثم اشتراها عند الارتفاع، ثم أعتقها عند الظهر، ثم تزوجها عند العصر، ثم ظاهر منها عند المغرب، ثم كفر عند العشاء، ثم طلقها نصف الليل رجعيًا، ثم راجعها عند الفجر، فقال له المأمون: أحسنت، أنت ولد الرضا حقًا، فزوَّجه المأمون ابنته في المجلس، فتوجه بها إلى المدينة.

ثم أرسلت لأبيها تشكو له أنه يتسرى عليها، فأرسل إليها أبوها يقول: إنا لم نزوجكِ له لنحرم عليه ما أحل الله له، فلا تعودي لمثلها، ثم بعد موت أبيها، قدم بها إلى المعتصم ببغداد؛ لبعثه إليه يطلبه لليلتين بقيتا من شهر المحرم سنة ٢٠٢، واستمر بها حتى مات سنة ٢٠٣، ودفن بمقبرة قريش في قبر جده الكاظم، وخلف ابنين وابنتين، أحسنهم

---

(١) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي الأسَيدي المروزي، أبو محمد، (١٥٩-٢٤٢هـ): قاضي رفيع القدر عالي الشهرة، من نبلاء الفقهاء، يتصل نسبه بأكثم ابن صيفي حكيم العرب، ولد بمرو، واتصل بالمأمون أيام مقامه بها، فولاه قضاء البصرة سنة ٢٠٢ ثم قضاء القضاة ببغداد، وأضاف إليه تدبير مملكته، فكان وزراء الدولة لا يقدمون ولا يؤخرون في شيء إلا بعد عرضه عليه، وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه عنده أحد، وكان مع تقدمه في الفقه وأدب القضاء، حسن العشرة، حلو الحديث، استولى على قلب المأمون حتى أمَر بألا يحجب عنه ليلاً ولا نهارًا، وله غزوات وغارات، منها أن المأمون وجَّهه (سنة ٢١٦) إلى بعض جهات الروم، فعاد ظافرًا، ولما مات المأمون وولي المعتصم، عزله عن القضاء فلزم بيته، وآل الامر إلى المتوكل فردَّه إلى عمله ثم عزله سنة ٢٤٠هـ وأخذ أمواله، فأقام قليلاً وعزم على المجاورة بمكة، فرحل إليها، فبلغه أن المتوكل صفا عليه، فانقلب راجعًا، فلما كان بالربذة - من قرى المدينة- مرض وتوفي فيها. الأعلام للزركلي (٨/ ١٣٨).

وأجلهم وأجملهم الحسن العسكري، وصف بذلك؛ لأنه سكن في مدينة سر من رأى ويقال لها: مدينة العسكر، وكان قد ورث أباه علمًا ومعرفة وشجاعة، وكان والده ولد سنة ١٥٣، ومات سنة ٢٠٣ كما تقدم.

وقد اتفق أن المتوكل حبسه فحصل للناس قحط، فاستسقوا ثلاثة أيام، ولم يسقوا، فأمر المتوكل بإخراج اليهود والنصارى مع الناس، فخرجوا ومعهم راهب، فرفع ذلك الراهب يده إلى السماء، فهطلت، ثم في اليوم الثاني كذلك، فشكَّ بعض العامة في دين الإسلام، وارتد بعضهم، وحصل للناس هرج عظيم، وشقَّ ذلك على المتوكل، وأمر بإحضار الحسن المحبوس، وقال له: أدرك أمة جدك رسول الله ﷺ قبل أن يهلكوا، فقال: مرهم بالخروج غدًا، ويزول الإشكال إن شاء الله، فكلم الناس الخليفة في إطلاقه من السجن فأطلقه، وخرج مع الناس في الاستسقاء، فلما رفع الراهب يده مع النصارى حصل الغيم في السماء، فأمر الحسن بقبض يد الراهب، فقبضت فإذا فيها عظم آدمي، فأخذه من يده، ثم قال له: ارفع يدك، فرفعها فزال الغيم، وطلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك، ثم قال الخليفة للحسن: ما هذا يا أبا محمد؟ فقال له: هذا عظم نبي من الأنبياء ظفر به هذا الراهب، وإنه ما كشف عظم نبي إلى السماء إلا هطلت بالمطر، فامتحنوا ذلك فوجدوه كما قال، فزالت الشبهة عن الناس، وعاد من كان ارتد إلى الإسلام، ورجع الحسن إلى داره عزيزا مكرما، وواصله الخليفة حتى مات.

وقد وقع في زمن المتوكل المذكور أن امرأة ادعت أنها شريفة في حضرته، فسأل عمن يخبره بذلك، فدلوه على الحسن العسكري المذكور، فأحضره وأجلسه معه على سريره، وسأله عن تلك المرأة، فقال له: إن الله حرم على السباع أن يأكلوا أولاد الحسنين، فألقوها لها، فإن لم تأكلها فهي صادقة، فعرضوا ذلك على المرأة، فأقرت بأنها كاذبة، فقال بعض الناس للخليفة: هلا اختبرت الحسن بما قاله؟ فأمر المتوكل المذكور بثلاثة من السباع ووضعها في ساحة تحت قصره، وجلس هو في القصر بحيث ينظرها، وأغلق باب القصر، ثم أمر بإحضار الحسن المذكور ليدخل من الساحة إلى القصر عند الخليفة، وأمر بإغلاق باب الساحة عليه مع السباع، فأدخلوه إلى الساحة، وأغلقوا عليه الباب، وكانت السباع قد أصمت الأسماع من زئيرها، فلما رأته السباع سكنت ومشت إليه، وتمسحت به، ودارت حوله، وصار يمسح ظهورها بيده وكمه، ثم عادت إلى مرابضها، ففتح باب القصر وصعد

إلى الخليفة، وتحدث معه ساعة، ثم نزل ففعل السباع معه كفعله الأول حتى خرج، فأتبعه الخليفة بجائزة، ثم قالوا للخليفة: هلا فعلت مثله؟ فلم يجسر على ذلك، ثم قال لهم: أتريدون قتلي؟ ثم أمرهم ألَّا يفشوا هذا الأمر لأحد، والله أعلم.

الحكاية الخامسة والسبعون بعد المائة

في أن أمر الآمر لا ينفذ إلا إذا فعله

«لطيفة»: روي أن سعيد بن عمر بن حليم ـ بمهملتين مكسورة فساكنة ثم تحتية مفتوحة ـ وعظ عمر بن الخطاب يومًا، فقال عمر: ومن يطيق ذلك؟ قال: أنت يا أمير المؤمنين، ما هو إلا أن تقول فتطاع، ولا يجسر أحدا على مخالفتك.

فائدة جامعة، ولمعة ساطعة، ومقالة نافعة

ذكرها في «الترغيب» الأصبهاني في باب: «قضاء الحوائج» عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«للمسلم على أخيه المسلم ثلاثون حقًّا، لا براءة له منها إلا بالأداء أو العفو، يغفر زلته، ويرحم عبرته، ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويرد غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلته، ويرعى ذمته، ويعود مرضته، ويشهد منيته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافئ صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حرمته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويقبل شفاعته، ولا يخيب مقصده، ويشمت عطسته، وينشد ضالته، ويرد سلامه، ويطيب كلامه، ويزيد إنعامه، ويصدق إقسامه، وينصره ظالـمًا برده عن ظلمه، ومظلومًا بإغاثته على وفاء حقه، ويواليه ولا يعاديه، ولا يخذله ولا يشتمه، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه، فلا يترك واحدًا منها إلا طالبه به يوم القيامة»**[1] والله الموفق.

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» (٢/ ٢٢).

فائدة في بعض مجربات البوني[1]

قال البوني في «اللمعة النورانية من السر البديع والحرز المنيع»: إن الإنسان إذا خاف على نفسه من قتل أو غيره كعذاب، فليأخذ كبشًا ثمينًا يجزئ في الأضحية، ويذبحه سريعًا متوجهًا إلى القبلة، ويقول عند ذبحه: اللهم هذا لك ومنك، اللهم إنه فداي فتقبله مني، ويكون قد حفر لدمه حفرة فيردمه فيها حتى لا يوطأ، ثم يبعضه ستين جزءًا: جلده جزء، ورأسه جزء، وبطنه جزء وكذا، ولا يأكل منه هو ولا من في نفقته شيئًا، ويدفعه لستين مسكينًا، فذاك فداؤه مما يخافه، وذلك مجرب معمول به، فإن كان خائفًا مما دون القتل فليطعم ستين مسكينًا من أفضل الطعام ويشبعهم، ويقول: اللهم إني أستكفي هذا الأمر الذي أخافه لهؤلاء، وأسألك بأنفاسهم وأرواحهم أن تخلصني مما أخاف وأحذر، فيفرج الله عنه، متفق عليه.

لطيفة فيها ذكر صنائع بعض الصحابة وغيرهم

كان أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف بزازين، وكان عمر بن الخطاب دلالاً يسعى بين المتبايعين، وسعد بن أبي وقاص يبري النبل، والوليد بن المغيرة حدادًا وكذا أبو العاص أخو أبي جهل، وكان عقبة بن أبي معيط خمَّارًا، وأبو سفيان بن حرب يبيع الزيت والأدم، وعبد الله بن جدعان يبيع الجواري، والنضر بن الحارث يضرب بالعود، والحكم بن العاص وحريث بن عمرو والضحَّاك بن قيس الفهري وابن سيرين يحفظون ـ أي: يجزون الغنم ـ والعاص بن وائل بيطارًا، وابنه عمرو والعباس، وأبو حنيفة ـ صاحب الرأي ـ جزازين، والزبير بن العوام وقيس بن مخرمة وعثمان بن طلحة ـ صاحب مفتاح الكعبة ـ خياطين، ومالك بن دينار وراقًا، ويزيد بن مهلب بستانيًا، وقتيبة جمَّالاً، وسفيان بن عيينة والضحَّاك بن مزاحم وعطاء بن أبي رباح والكميت الشاعر والحجاج بن يوسف الثقفي وعبد الحميد والقاسم بن سلام والكسائي معلمون.

---

(١) البوني سيدي أحمد بن علي بن يوسف، أبو العباس البوني، صاحب المصنفات في علم الحروف، متصوف مغربي الأصل، نسبته إلى بونة بإفريقية على الساحل، توفي بالقاهرة، سنة ٦٢٢هـ. له «شمس المعارف الكبرى والوسطى والصغرى» ويسمى: «شمس المعارف ولطائف العوارف في علم الحروف والخواص» أربعة أجزاء، وله «اللمعة النورانية» الأعلام للزركلي (١/ ١٧٤).

الحكاية السادسة والسبعون بعد المائة

فيما استحسن من بعض الظرفاء

«لطيفة»: اتفق أن بعض الملاحين الحذَّاق أشرفت سفينته على الغرق، وفيها مسلمون وكفار، فتحير في أمره، ثم اتفق معهم على أن يمزج بعضهم ببعض، ويجعلهم حلقة، ويدور فيهم بعدد مخصوص، وكل من وقع عليه آخر العدد يلقيه في البحر، ففعل ذلك، فوقع العدد على جميع الكفار فألقاهم في البحر، ونجا المسلمون، وصورة المزج تعلم من هذا البيت:

الله يقضي بكل يسر ويرزق الضيف حيث كان

فكل حرف مهمل مكان مسلم، وكل حرف منقوط مكان كافر، والعدد فيهم تسعة بعد تسعة من أول البيت المذكور، يدور فيهم مرة بعد أخرى، والله أعلم، وبعضهم أبدل مكان البيت بيتًا آخر مثله فيما تقدم بقوله:

ولما فتنت بلحظ له عذلت فما خفت من شامتِ

الحكاية السابعة والسبعون بعد المائة

فيما وقع لأبي بكر الصديق ﷺ في منامه

«نادرة طريفة»: روي أن أبا بكر الصديق ﷺ نام ليلة فرأى منامًا عجيبًا، فبكى في منامه حتى سمعه من خارج الدار، فمرَّ عمر بن الخطاب ﷺ ـ اتفاقًا ـ فسمع البكاء، فدقَّ الباب فانتبه الصديق، وبادر الباب فتحه ودمعه يسيل، فرآه عمر ﷺ فقال له عمر: ما هذا البكاء؟ فقال أبو بكر: اجمع الصحابة عندنا لأخبرك به، فجمعهم كلهم، فقال أبو بكر: إني رأيت القيامة قد قامت، ورأيت رجالاً على منابر من نور بوجوه كالأنجم الزاهرة، فسألت ملكًا: من هؤلاء؟ فقال: الأنبياء ينتظرون محمدًا، فإن بيده زمام الشفاعة، فقلت: وأين محمد احملني إليه، فأنا خادمه وصاحبه أبو بكر؟ فحملني إليه، فوجدته تحت ساق العرش، وعمامته بين يده، وقد مدَّ يده اليمنى إلى ساق العرش، ومدَّ اليسرى فأغلق بها باب النار، وهو يقول: «إلهي أمتي، إلهي أمتي، إلهي أمتي، فيهم العلماء والصالحون، والحجاج والمعتمرون، والغزاة والمجاهدون، وإذا النداء يا محمد، تذكر الطائفة الطائعين، ولا تذكر

الطائفة الأخرى، اذكر الظلمة، وشرَّاب الخمر، والزناة، وأكلة الربا، فقال: يا رب، هم كما قلت، ولكن ما فيهم أحد أشرك بك، ولا عبد صنمًا، ولا جعل لك ولدًا، ولا حاد عن التوحيد، فاقبل إلهي شفاعتي فيهم، وارحم جريان عبرتي عليهم، واردد عليّ لهفتي إليهم» فقلت من فرط شفقتي عليه: ارفق بنفسك يا محمد، فقال: يا أبا بكر قد تضرعت لربي فشفعني في أمتي، فسألته الكل أو البعض، وإذا أنت طرقت علي الباب يا ابن الخطاب قبل الجواب، وإذا بمناد ينادي من داخل الباب: الكل ثلاثًا يا أبا بكر، فقالا: الحمد لله.

الحكاية الثامنة والسبعون بعد المائة

في التفقه في أحوال الآخرة

«لطيفة»: قيل لإبراهيم بن أدهم: لو جلست لنا بالمسجد؛ لنسمع منك شيئا، فقال: إني مشغول بأربعة أشياء لو تفرغت منها لجلست لكم، قيل: وما هي؟ قال:

أولها: إني تذكرت حين أخذ الله الميثاق على بني آدم فقال: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي، فلم أدرِ أنا من أي الفريقين.

ثانيها: إني تذكرت أن الولد إذا قضى الله بخلقه في بطن أمه، ونفخ فيه الروح، يقول الملك الموكل به: يا رب شقي أم سعيد؟ فلم أدرِ من أيهما سهمي.

ثالثها: إني تذكرت أنه حين ينزل ملك الموت لقبض الروح يقول: مع أهل السلامة أم مع أهل الكفر؟ فلا أدري كيف يخرج الجواب لي.

رابعها: إني تذكرت في قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧] فلا أدري من أي الفريقين أكون.

الحكاية التاسعة والسبعون بعد المائة

في بعض لطائف ورقائق مضحكة، وضرب مثل للعاقل

«لطيفة»: ذكر أن ابن عرس تبع فأرة فصعدت شجرة، فلم يزل يتبعها حتى انتهت إلى رأس غصن ولم يبق لها مهرب، فنزلت إلى ورقة وعضت طرفها، وعلقت نفسها، فلم يجد ابن عرس سبيلاً إليها، فدعا بزوجته، فحضرت، فلما صار تحت الشجرة قطع ابن عرس عنق الورقة التي عضتها الفأرة فوقعت، فأخذتها زوجته، فنزل إليها وأخذ الفأرة، ومضيا إلى محلهما، وهذه من شدة فطنته، وقوة إدراكه.

ومن إدراكه أيضًا: إن رجلاً اصطاد فرخه وحبسه في قفص، فجاءت أمه فرأته فذهبت، ثم جاءت بدينار في فمها، فألقته بين يدي الرجل تريد أن تفتدي ولدها به، فلم يتركه لها، ففعلت كذلك إلى خمسة دنانير، فلم يتركه لها، فذهبت وجاءت بخرقة في فمها كأنها تشير إلى فراغ حاصلها، فلم يكترث بها، فلما رأت ذلك عادت إلى الدنانير فأخذت منها واحدًا وذهبت، فخشي الرجل أن تأخذ جميعها؛ لكونها أيست من إطلاق ولدها، فأطلقه لها، فعادت بالدينار فوضعته عند الدنانير، وذهبت خلف ولدها سريعًا.

ظريفة: قال الفضيل بن عبد الرحمن لرقية بنت عتبة بن أبي لهب: انظري لي امرأة معروفة النسب، كريمة الحسب، فائقة الجمال، مليحة الدلال، إن قعدت أشرفت، وإن قامت أضعفت، وإن مشت ترقرقت، تروع من بعيد، وتفتن من قريب، تسرُّ من عاشرت، وتكرم من جاورت، ودودًا ولودًا، لا تعرف إلا أهلها، ولا تسر إلا بعلها، فقالت له: يا ابن العم اخطب هذه من ربك في الآخرة، فإنك لا تجدها في الدنيا.

أخرى مثلها: قال أبو موسى المكفوف لنخاس الحمير: اطلب لي حمارًا ليس بالصغير المحتقر، ولا بالكبير المشتهر، إن خلا الطريق تدفق، وإن كثر الزحام ترفق، لا يصدم بي السواري، ولا يدخل بي تحت البواري[1]، إذا كثر علفه شكر، وإذا قلَّ عنه صبر، إن ركبته هام، وإن ركبه غيري نام، فقال له النخاس: اصبر أعزك الله، فعسى الله أن يمسخ القاضي حمارًا فتدرك حاجتك والسلام.

---

(١) الْبَوَارِي: جَمْعُ: بَارِيٍّ، وَهُوَ الْحَصِيرُ، وَيُقَالُ لَهُ: الْبُورِيَاءُ بِالْفَارِسِيَّةِ. المغرب (١/ ١٤١).

الحكاية الثمانون بعد المائة

في مسارات الأخلاق

قيل: إن الله لما خلق الأخلاق قالت القناعة: أنا أذهب إلى الحجاز، فقال الصبر: وأنا معك، وقال العلم: أنا أذهب إلى العراق، فقال العقل: وأنا معك، وقال الكرم: أنا أذهب إلى الشام، فقال العز: وأنا معك، وقال الغنى: أنا أذهب إلى مصر، فقال الذل: وأنا معك، وقال سوء الخلق: أنا أذهب إلى المغرب، فقال البخل: وأنا معك، وقال حسن الخلق: أنا أذهب إلى اليمن، فقال الحلم: وأنا معك، وقال الشفاء: أنا أذهب إلى البادية، فقالت المروءة: وأنا معك، وقال الفسق: أنا أذهب إلى الروم، فقال البغي: وأنا معك.

الحكاية الحادية والثمانون بعد المائة

في بعض موافقات صادفت مع ذوي المروآت وفيها ظريفة لطيفة

«نكتة»: كان لأعرابي امرأتان، فولدت واحدة غلامًا، والأخرى جارية، فرقصت الغلام أمه، وقالت معاندة لضرتها شعرًا:

الحمد لله الحميد العالي ... أنقذني الآن من الخوالي
من تل شوهاء كشن بالي ... لا تدفع الضيم عن عيالي

فسمعته الأخرى، فأقبلت ترقص بنتها وتقول:

وما عليّ أن تكون جارية ... تغسل رأسي وتكون الفالية
وترفع الساقط من خماريه ... حتى إذا ما بلغت ثمانية
أزرتها بنفيسة يمانية ... ينكحها مروان أو معاوية

أصهار صدق ومهور غالية[1]

فبلغ ذلك إلى مروان فتزوجها بمائة ألف دينار وقال: إن أمها لحقيقة ألَّا يكذب ظنها، ولا يخيب عهدها، ثم بلغ معاوية فقال: لولا أن مروان سبقنا إليها لضاعفنا لها المهر، ولكنها لا تحرم الصلة منا، فبعث إليها مائتي ألف دينار.

---

(١) انظر: المستطرف في كل فن مستظرف (١/ ٣٨٥)، وربيع الأبرار (١/ ٣٦٢)، وثمرات الأوراق (١/ ٢٠١)، والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٩٨).

لطيفة: روى البيهقي في «الشعب» عن مالك بن دينار ﷺ قال: مثل قرّاء هذا الزمان مثل رجل نصب فخًّا لصيد العصافير، فجاء عصفور إليه، فلما رآه قال له: ما لي أراك متغيبًا في التراب، قال: من التواضع، قال: فمم انحنيت؟ قال: من طول العبادة، قال: فما هذه الحبة عندك؟ قال: أعددتها للصائمين، قال: هل تبيحها لي؟ قال: نعم، فتقدم إليها، فلما لقطها وقع الفخ في عنقه فخنقه، فقال: إن كان العباد يخنقون مثل خنقك هذا فلا خير في العبادة اليوم.

الحكاية الثانية والثمانون بعد المائة

في الغناء مع حسن الصوت، وفيها ظرائف ولطائف

«عزيزة»: روي في الحديث أنه ﷺ قال: **«أتدرون متى كان الحداء؟ قالوا: لا بأبينا أنت وأمنا، قال: إن أباكم مضر خرج في مال له فرأى غلامًا له قد تفرقت عليه إبله، فضربه على يده بالعصا، فقعد الغلام في الوادي وهو يصيح: وايداه، فسمعت الإبل صوته فعطفت عليه، فقال مضر: لو اشتق كلام مثل هذا لكان كلامًا تجتمع عليه الإبل، فاشتق الحداء»**[1]. ذكره في «المستطرف».

قال أبو المنذر هشام: إن الغناء على ثلاثة أوجه:

الأول: النصب، وهو غناء الفتيان والركبان.

الثاني: السناد، وهو الثقيل الترجيع، الكثير النغمات.

والثالث: الهزج، وهو الخفيف يبقر القلوب، ويهيج الحليم، وكان أصل الغناء ومعدنه أمهات القرى: المدينة، والطائف، وخيبر، وفدك، ووادي القرى، ودومة الجندل، واليمامة، والله أعلم.

لطيفة: قال العيني[2] شارح البخاري، اسم جبريل: عبد الجليل، وكنيته: عبد

---

(١) انظر: «المستطرف في كل فن مستظرف» (١/ ٣٨٥).

(٢) هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العينى الحنفي، (٧٦٢-٨٥٥هـ). مؤرخ علّامة من كبار المحدثين والفقهاء، أصله من حلب ومولده في عينتاب وإليها نسبته، أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس، وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وتقرب من

الفتوح. واسم ميكائيل: عبد الرزاق، وكنيته: أبو الغنائم. واسم إسرافيل: عبد الخالق، وكنيته: أبو المنافخ. واسم عزرائيل :عبد الجبار، وكنيته: أبو يحيى، والله أعلم.

الحكاية الثالثة والثمانون بعد المائة

في سؤال الزمخشري للغزالي

«ظريفة»: روي أن الزمخشري سأل الإمام الغزالي بقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] فأجاب بقوله:

قل لمن يفهم عني ما أقول ... قصر القول فذا شرح يطول
ثم سر غامض من دونه ... قصرت والله أعناق الفحول
أنت لا تعرف إياك ولا ... تدري من أنت ولا كيف الوصول
لا ولا تدري صفات ركبت ... فيك حارت في خفاياها العقول
أين منك الروح في جوهرها ... هل تراها أو ترى كيف تجول
هذه الأنفاس لا تحصرها ... لا ولا تدري متى عنك تزول
أين منك العقل والفهم إذا ... غلب النوم فقل لي يا جهول
أنت أكل الخبز لا تعرفه ... كيف يجري فيك أم كيف تبول
فإذا كانت طواياك التي ... بين جنبيك كذا فيها منلول
كيف تدري من على العرش استوى ... لا تقل كيف استوى كيف النزول

=

الملك المؤيد حتى عد من أخصائه، ولما ولي الأشرف سامره ولزمه وكان يكرمه ويقدمه، ثم صرف عن وظائفه، وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة، من كتبه: «عمدة القاري في شرح البخاري» أحد عشر مجلدًا، و«مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار»، و«العلم الهيب في شرح الكلم الطيب» لابن تيمية، و«عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان» كبير انتهى فيه إلى سنة ٨٥٠هـ و«تاريخ البدر في أوصاف أهل العصر» كبير منه جزء مخطوط، و«مباني الأخبار في شرح معاني الآثار» حديث، و«نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار» ثماني مجلدات، و«شرح سنن أبي داود» مجلدان منه، وله بالتركية «تاريخ الأكاسرة». الأعلام للزركلي (٧/ ١٦٣).

فهـــو لا كيـــف ولا أيـــن لـــه وهـــو رب الكيـــف والكيـــف يحـــول
وهـــو فـــوق الفـــوق لا فـــوق لـــه وهـــو في كـــل النـــواحي لا يـــزول
جـــلَّ ذاتًـــا وصـــفاتًا وعـــلا وتعـــالى ربنـــا عـــما تقـــول

الحكاية الرابعة والثمانون بعد المائة

في ذم القضاء

«ظريفة»: روي عن أبي معشر أنه قال: حلف رجل أنه لا يتزوج حتى يستشير مائة نفس؛ لما قاس من بلاء النساء، فاستشار تسعة وتسعين نفسًا، وبقي واحد، فخرج يسأل أي من لقيه، فرأى رجلاً مجنونًا قد اتخذ قلادة من عظام، وسوَّد وجهه، وركب قصبة كالفرس بزحمة، فسلم عليه، وقال له: أسألك عن مسألة، فقال له: سل عم يعنيك، وإياك وما لا يعنيك، قال: فقلت له: إني رجل لقيت من النساء بلاء، وآليت على نفسي ألَّا أتزوج حتى أسأل مائة نفس، وإنك تمام المائة، فماذا تقول؟ فقال: اعلم أن النساء ثلاثة: واحدة لك، وواحدة عليك، وواحدة لا لك ولا عليك؛ فأمَّا التي لك: فشابة ظريفة، لم تمسها الرجال، إن رأت خيرًا حمدت، وإن رأت شرًّا قالت: كل الرجال كذا. وأمَّا التي عليك: فامرأة لها ولد من غيرك، فهي تسلخ الرجال وتجمع لولدها. وأمَّا التي لا لك ولا عليك: فامرأة قد تزوجت بغيرك قبلك، فإن رأت خيرًا قالت: هذا ما نحب، وإن رأت شرًّا حنَّت إلى زوجها الأول[1].

فقلت له: أنشدك الله، ما الذي صير من أمرك ما أرى؟ فقال لي: أما اشترطت عليك ألا تسأل عما لا يعنيك؟ فأقسمت عليه أن يخبرني، فقال: إني طلبت للقضاء فاخترت ما ترى على توليته، ثم انصرف وتركني، قال بعضهم:

تركـــت القـــضاء لأهـــل القـــضا وأقبلـــت أنجـــو إلى الآخـــرة
فـــإن يـــك فخـــرًا جزيـــل الثنـــا فقـــد نلـــت منـــه يـــدًا فـــاخرة

(١) انظر الجليس الصالح والأنيس الناصح (١/ ٤٧١).

وإن يـــك وزرًا فأبعدتـــه فـــلا خـــير في نعمـــة وازرة(١)

الحكاية الخامسة والثمانون بعد المائة

في خصال ينبغي المحافظة عليها

«ظريفة»: روى ابن أبي الدنيا عن وهب بن منبه قال: كان في بني إسرائيل رجلان، بلغت بهما العبادة أن مشيا على الماء، فبينما هما يمشيان عليه إذا هما برجل يمشي على الهواء، فقالا له: يا عبد الله، بأي شيء أدركت هذه المنزلة؟ فقال: بيسير من الدنيا، فطمت نفسي عن الشهوات، وكففت لساني عما لا يعنيني، ورغبت فيما دعيت إليه، ولزمت الصمت، فلو أقسمت على الله لأبر قسمي، وإن سألته أعطاني.

الحكاية السادسة والثمانون بعد المائة

في ذم البخل واللؤم

«نكتة»: اشترى بعض البخلاء إبريقًا وصحنًا، وقال للفخاري: اكتب لي عليهما، فقال له: وماذا تريد أن أكتب؟ وكان بعض الظرفاء واقفًا فقال: اكتب له على الإبريق: «فمن شرب منه فليس مني» وعلى الصحن: «ومن لم يطعمه فإنه مني» فقال: نعم، أصلحك الله تعالى، وأنشد بعضهم:

لنقـــل الحجـــارة والجنـــدل وخـــرط القتـــاد بـــلا منجـــل
ونقـــل القـــلال مـــن الراســـيا ت حتـــى الحـــضيض بـــلا معـــول
وقطـــع اليـــدين مـــن المـــرفقين عـــلى الـــسل مـــن مفـــصل مفـــصل
ونـــزح البحـــار بـــشف الـــشفاه ورد القلـــوص إلى الأجبـــل
وإعمالـــك الكـــف حتـــى تعـــد بتـــسعين كـــرا مـــن الخـــردل
وقطـــع الـــسباسب مـــن غـــير زاد عـــلى الخـــوف مـــن ليلـــة الأليـــل
وهجـــر الخطـــوب غـــداة القطـــوب وحـــشر الجنـــوب مـــع الـــشمال

---

(١) انظر الأبيات في: نشوار المحاضرة (١/ ١٩٨)، ومعجم الأدباء (١/ ٦٨).

لأهـــــون مــــــن حاجـــــة لي إلى ســــــفيه ترجـــــع في المحفـــــل

الحكاية السابعة والثمانون بعد المائة

«عجيبة»: اشترى شقيق البلخي[1] بطيخة لامرأته فوجدتها غير طيبة فغضبت، فقال لها: على من تغضبين: على البائع، أو على المشتري، أو على الزارع، أو على الخالق؟ فأمّا البائع فلو كان منه لكان أطيب شيئًا يرغب فيه، وأمّا المشتري فلو كان منه اشترى أحسن الأشياء، وأمّا الزارع فلو كان منه لأنبت أحسن الأشياء، فلم يبقَ إلا غضبك على الخالق فاتقي الله، وارضي بقضائه، فبكت وتابت، ورضيت بما قضى الله تعالى، والله الموفق.

ظريفة: في الحرص على الخصال الحميدة دون ضدها، قال بعض العلماء: الصبر عشرة أقسام: الصبر على شهوات البطن يسمى: «قناعة» وضده: «الشره». والصبر على شهوة الفرج يسمى: «عفة» وضده: «الشبق». والصبر على المعصية يسمى: «صبرًا» وضده: «الجزع». والصبر على الغنى يسمى: «ضبط النفس» وضده: «البطر». والصبر عند القتال يسمى: «الشجاعة» وضده: «الجبن». والصبر عند الغضب يسمى: «حلمًا» وضده: «الحمق». والصبر عند النوائب يسمى: «سعة الصدر» وضده: «الضجر». والصبر على حفظ السر يسمى: «الكتمان» وضده: «الخرق». والصبر على فضول المعيشة يسمى: «الزهد» وضده: «الحرص». والصبر عند توقع الأمور يسمى: «التؤدة» وضده: «الطيش»، انتهى. والله أعلم.

---

(١) شقيق بن إبراهيم بن علي الأزدي البلخي، (١٩٤هـ): أبو علي، زاهد صوفي من مشاهير المشايخ في خراسان، ولعله أول من تكلم في علوم الأحوال «الصوفية» بكور خراسان، وكان من كبار المجاهدين، استشهد في غزوة كولان بما وراء النهر. الأعلام للزركلي (٣/ ١٧١).

لطيفة في علامات الرجل المتوكل على الله تعالى

قيل: للمتوكل سبع علامات: لا يطلب إذا جاع، ولا يعالج إذا مرض، ولا يتنفس إذا اغتم، ولا يستغيث إذا أوذي، ولا ينتقم إذا ظلم، ولا يبالي بما ابتلي به، ولا يسأل الله شيئًا؛ لأنه عالم بحاله.

ظريفة في تفرق طباع الناس وعلاماتهم، وضرب أمثال لمن يعقل

سئل ابن عباس - رضي الله عنهما - عن خمس من الناس، فقيل له: من أجود الناس؟ ومن أحلم الناس؟ ومن أبخل الناس؟ ومن أسرف الناس؟ ومن أعجز الناس؟ فقال: أجود الناس من أعطى من حرمه، وأحلمهم من عفا عمن ظلمه، وأبخلهم من بخل بالصلاة على النبي ﷺ، وأسرفهم من يسرف في صلاته، وأعجزهم من عجز عن الدنيا لله ﷻ.

قال الحسن البصري: الناس في زمانكم على ستة أقسام: أسد، وذئب، وخنزير، وكلب، وثعلب، وشاة؛ فالأسد: ملوك الدنيا يفترسون الناس ولا يفترسهم أحد، والذئب: التجار يذمون إذا اشتروا ويمدحون إذا باعوا همتهم جمع المال للمواريث يودون لو واصلوا الليل والنهار حرصًا على الدنيا، والخنزير: المتشبه بالنساء يدعى إلى كل زي فيجيب، والكلب: الفاجر يهرع إلى الخلق ولا يتمسك بالحق، والثعلب: المتصنع للناس بدينه يخادع الناس كي ينال دنياهم، والشاة: المؤمن يجز صوفه ويحلب لبنه ويؤكل لحمه ويمزق جلده ويكسر عظمه، فكيف مقاساته بين هؤلاء المؤذيات.

نكتة في أن كل شيء يرجع لأصله

فمن ذلك ما ذكر في صفات الأولاد، ذكر بعضهم عن ولد الرومية فقال: معجب مختال. قيل: فولد الإرمنية، فقال: نكير خوال. قيل: فولد السوداء، فقال: شجاع سخي. قيل: فولد الشقراء، فقال: أنجب الأولاد وألين الأجساد وأطيب الفؤاد. قيل: فولد النوبية، فقال: فاسق زان. قيل: فولد القرشية، فقال: أنف حسود. قيل: فولد اليهودية، فقال: دغل[1] قذر. قيل: فولد الفارسية، فقال: مكار يخادع. وقيل في المعنى:

---

(١) الدَّغَلُ مُحَرَّكَةً: دَخَلٌ في الأَمْرِ مُفْسِدٌ، ومنه قَوْلُ الحَسَنِ: اتَّخَذُوا كِتابَ الله دَغَلاً. وَفي التَّهذِيب: دَخَلٌ في أَمْرٍ مفسِد. تاج العروس (١/ ٧٠٦٠).

إن الليالي لا تبقى على حال ... والناس ما بين آجال وآمال
كيف السرور بإقبال وآخره ... إذا تأملته مقلوب إقبال[1]

فائدة في تنوع اللذات

قال أهل الهند: وجدنا اللذة في ستة أزمان: لذة ساعة وهي في النساء، ولذة يوم وهي في الشرب، ولذة ثلاثة أيام وهي في النورة، ولذة أسبوع وهي في الحمام، ولذة شهر وهي في العروس، ولذة سنة وهي في الولد، ولذة دهر وهي في لقاء الإخوان.

لطيفة في آداب القادم من السفر

قال بعضهم: لا يطيب أن يزار القادم من سفر إلا بعد ثلاثة أيام؛ لأن اليوم الأول لنفسه؛ يستريح فيه من وعثاء[2] السفر، واليوم الثاني لأهله؛ لتجديد عهد طال بهم عنه، واليوم الثالث لخاصته، يستأنس بهم، ويستأنسون به، ومن بعد ذلك له ولأصدقائه، يزورنه ويزورهم؛ لتفرغه لهم، وقيامه بحقهم.

عزيزة في فضل اللحم وخواصه

روي أنه ﷺ قال: **«شكا نبي من الأنبياء إلى ربه ضعفًا في بدنه، ووجعًا في صلبه، فأوحى الله إليه أن اطبخ اللحم بالبرِّ وكله، فإني جعلت القوة فيهما»**[3]. انتهى.

لطيفة في تنوع الفواكه

قيل: خرج مع آدم من ثمار الجنة ثلاثون نوعًا؛ **منها عشرة يؤكل ظاهرها دون باطنها** وهي: الرطب والمشمش والخوخ والإجاص والزعرور والمسبستان والخرنوب والعناب والسدر والعسكر، **ومنها عشرة يؤكل باطنها دون ظاهرها** وهي: الرمان والنارجيل واللوز والجوز والشاهبلوط والفستق والبندق والبلوط والجوز والمسكور، **ومنها عشرة يؤكل**

---

(١) انظر: المدهش (١/ ١٠٥).

(٢) الوَعْثُ من الرّمل: ما غابتْ فيه القوائمُ، ومنه اشتُقّ: وَعْثاء السَّفَر؛ يعني: المشقّة. العين (١/ ١٣٤).

(٣) الزُّعْرُورُ: ثمر شجرة، الواحدة: زُعْرُورَةٌ تكون حمراء وربما كانت صفراء له نَوَى صُلْبٌ مستدير، وقال أبو عمرو: النُّلْكُ الزُّعْرُورُ. قال ابن دريد: لا تعرفه العرب، وفي التهذيب: الزُّعْرُورُ شجرة الدُّبِّ. لسان العرب (٤/ ٣٢٣).

ظاهرها وباطنها وهي: العنب والتين والتفاح والكمثرى والسفرجل والتوت والأترج والنارنج والموز والمجهر.

الحكاية الثامنة والثمانون بعد المائة

في قبول الهدية

«غريبة»: روي عن فتح الموصلي ـ رحمه الله ـ أنه جاءته هدية في صرة خمسون دينارًا فقال: حدثنا عطاء عن النبي ﷺ أنه قال: **«من آتاه رزقه من غير مسألة فردَّه فإنما يرد على الله تعالى»**[1] ثم فتح الصرة وأخذ منها دينارًا وردَّ بقيتها، والله أعلم.

الحكاية التاسعة والثمانون بعد المائة

في حسن التفكر في الأحوال

«لطيفة»: قيل لأبي العتاهية: كيف أصبحت؟ فقال: على غير ما يحب الله، وعلى غير ما أحب، وعلى غير ما يحب إبليس، فقيل له في ذلك، فقال: لأن الله يحب أن أطيعه، وأنا لست كذلك، وأنا أحب أن يكون لي فروة، ولست كذلك، وإبليس يحب مني المعصية، ولست كذلك.

ظريفة في تنوع الأشياء إلى خمس وسبع وتسع

قيل: القبل خمس: قبلة رحمة: وهي قبلة الولد، وقبلة تكرمة: وهي قبلة رأس الوالد، وقبلة إجلال: وهي قبلة يد السلطان، وقبلة تعبد: وهي قبلة الحجر الأسود، وقبلة شهوة: وهي قبلة النساء.

وقال بعضهم: السُّكر خمس: سكر الشراب، وسكر الشباب، وسكر المال، وسكر الهوى، وسكر السلطان.

وقال بعضهم: سبعة لا بقاء لها: ظل الغمام، وسطوة العوام، وخلة الأيام، وعشق النساء، والثناء الكذب، والمال والإرث والسلطان.

وقال بعضهم: تسعة أشياء ضائعة: سلم في مفازة، وسراج في شمس، وقفل على

---

(١) ذكره العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٨/ ٤٤٣).

خربة، وخضاب لشاب، وطاوس في بؤس، وحسناء مع أعمى، ووشوشة الأطرش، وعذل العاشق، وفعل الخير مع اللئام، وقيل: مدار الدنيا على تسع دالات: دين، ودنيا، ودولة، ودينار، ودرهم، ودار، ودابة، ودسم، ودبس. والله أعلم.

الحكاية التسعون بعد المائة

فيمن عصى الله ثم تاب إليه وقبله

«لطيفة»: روي أنه كان في بني إسرائيل رجل شاب عَبَدَ الله تعالى عشرين سنة، وعصاه عشرين سنة، ثم نظر إلى وجهه في المرآة فرأى الشيب في لحيته، فساءه ذلك، فقال: إلهي أطعتك عشرين سنة، وعصيتك عشرين سنة، فإن رجعت إليك تقبلني؟ فسمع هاتفًا من زاوية البيت لا يرى شخصه يقول: إن جئتنا جئناك، وإن تركتنا تركناك، وإن عصيتنا أمهلناك، وإن رجعت إلينا قبلناك، والله أعلم.

نكتة في وصف بعض البلاد

أما «مكة» و«المدينة» فلا يخفى وصفهما، ومنه إنما سميت المدينة: طيبة؛ لطيب رائحة من مكث بها، وتزداد روائح الطيب فيها ولا يوجد بها مجذوم، ولا يدخلها الطاعون، ولا الدجال.

وقيل في بغداد عشرة: الظلمة، والشمطاء الخرقة، والعجوز المتدللة، والعجفاء المكتحلة، والشلاء المختضبة هواؤها دخار، ونسيمها ضرار، وتجارها أسد مفترسون، وصناعها لصوص مختلسون وجارها حاسد، ومزاجها فاسد.

وقيل في العراق: حوى تسعة أعشار الشر، وفيه آية الداء العضال.

وقيل في البصرة: مياهها نضب، وأنهارها عجب، وسماؤها رطب، وأرضها ذهب، وحرها شديد، وشرها عتيد، مأوى كل تاجر، وطريق كل عابر.

وقيل في الكوفة: طاب ليلها، وكثر خيرها.

وقيل في الشام: عروس بين النسوة، أطوع الناس للمخلوق في معصية الخالق.

وقيل في خرسان: ماؤها جامد، وعدوها جاهد، بأسها شديد، وشرها عتيد.

وقيل في كرمان: إن قل الحشيش بها ضاعوا، وإن كثر جاعوا.

وقيل في أصفهان: أرضها زائغة عن الطريق الأعظم، وحشيشها لزعفران، وذبابها النحل.

وقيل في نهاوند: ترابها زعفران، وحيطانها عسل، وسماؤها التمر.

وقيل في الهند: جبله الياقوت، وبحره الدر، وشجره العود، وورقه العطر.

وقيل: لا تخلو تسعة من تسعة: قزويني من دعة، ويمني من جنون، وواسطي من غفلة، وبصري من جدل، وكوفي من كذب، وبغدادي من مخرقة، وخوارزمي من لؤم، وطبري من خفة، وهمداني من جافة.

ظريفة: ليس التقبيل لشيء من الحيوان إلا في الإنسان والحمام، وليس التزويج في شيء منه إلا في الإنسان واللقلق، وليست الرئاسة في شيء منه إلا في الكركي والنحل، وليس الخنثى في شيء منه إلا في الإنسان والأرنب، ولا يولد منه شيء من غير جنسه إلا البغل بين الحجر والحمار، والسبع بين الضبع والذئب، والسقفور بين التمساح والضب، والزرافة بين سبعة أو تسعة.

لطيفة: يطلب في زيارة القبور تسعة أشياء: قصدها اعتبارًا بالفناء، والتبرك بأهلها، والقراءة لهم، واستقبال الميت بوجهه مستدبر القبلة، والسلام عليه إن عرفه، وعدم مسح القبر، وعدم السجود عليه، وعدم الطواف حوله، والقراءة له، والدعاء له ولنفسه.

نفيسة: قال ابن العربي في بعض مؤلفاته: من أراد الفتوة فعليه بالشام، ومن أراد الشرف فعليه بالعراق، ومن أراد الآخرة فعليه بمكة والمدينة والقدس، ومن أراد حسن الخلق فعليه بمصر، ومن أراد الجفاء فعليه بالمغرب.

الحكاية الحادية والتسعون بعد المائة

فيمن فوض أمره لله فكفاه الله

«عجيبة»: روي أن موسى عليه السلام انتهى ذات يوم بأغنامه إلى واد كثير الذئاب، وكان قد بلغ به التعب مداه، فبقي متحيرًا إن اشتغل بحفظ الأغنام عجز من ذلك؛ لغلبة النوم والتعب عليه، وإن طلب الراحة والسكون عدت الذئاب على الأغنام، فرمق بطرفه إلى السماء وقال: إلهي أحاط بكل بشيء علمك، ونفذت إرادتك، وسبق تقديرك، ثم وضع رأسه ونام، فلما استيقظ وجد ذئبًا واضعًا عصاه على عاتقه وهو يرعى الأغنام ويحفظها من غيره، فعجب موسى من ذلك، فأوحى الله إليه: «يا موسى، كن لي كما أريد، أكن لك كم تريد» والله أعلم.

الحكاية الثانية والتسعون بعد المائة

فيمن اعتدى بغير حق فجُوزي وعوتب

«عجيبة»: قال مجاهد: مرَّ نوح عليه السلام رابض، فضربه برجله، فرفع الأسد رأسه إليه فخمس ساقه، فجعل يضرب ساقه عليه من الوجع، فلم ينم ليلته وهو يقول: يا رب كلبك عقرني، فأوحى الله إليه: «إن الله لا يرضى الظلم، أنت بدأته»، والله أعلم.

الحكاية الثالثة والتسعون بعد المائة

فمن أبطل حجته أقل منه

«لطيفة»: ذكر أن صبيًا صغيرًا خرج من المكنب فلقى أبا العلاء المعري فقال له: ألست أنت القائل في شعرك:

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانُهُ ... لآتٍ بما لم تَستَطِعْهُ الأوائلُ[1]

فقال أبو العلاء: نعم، أنا القائل ذلك، فقال له الصبي: إن الأوائل قد أتوا بحروف الهجاء تسعة وعشرين حرفًا، كل حرف لابد في الكلام منه ويختل بدونه، فهل يمكنك أن

(١) انظر الأبيات في: الحلة السيراء (١/ ١٠٩)، والحماسة المغربية (١/ ٧٦).

تزيد فيها حرفًا يحتاج إليه الناس في الكلام كبقية الحروف، وينتظم الكلام به فتكون قد أتيت بها لم تأت به الأوائل؟ فسكت أبو العلاء ثم سأل عن والد ذلك الصبي، فقيل له: هو ابن فلان، فقال: قولوا لوالده يحتفظ به، فإنه عن قليل يموت، فإن ذكاءه يقتله، فما كان إلا أيام قلائل ومات.

الحكاية الرابعة والتسعون بعد المائة

في مجنون أبدى شيئًا مبكتًا

«نادرة مضحكة»: قيل: كان رجل مجنون إذا مرَّ في الأسواق يعبثون به ويرجمه الصغار بالحجارة، فمرَّ به أمير وعلى رأسه تخفيفة وله قرون طوال، فتعلق بها ذلك المجنون، وصار يستغيث به ويقول له: يا ذا القرنين، خلصني من يأجوج ومأجوج، فصار الناس يتعجبون، ويضحكون من لطافته.

الحكاية الخامسة والتسعون بعد المائة

في أن الـمُلك يفنى، والتسبيح[1] يبقى، وينتفع به صاحبه يوم القيامة

«لطيفة»: قيل: مرَّ سليمان بن داود في مركبه على راعي غنم، فقال: قد أوتي سليمان بن داود ملكًا عظيمًا، فألقت الريح تلك الكلمة في أذن سليمان، فنزل عن كرسيه وجاء إلى الراعي، وقال له: أيها الراعي، إن تسبيحة واحدة في صحيفة عبد أفضل عند الله من ملك سليمان؛ لأن ملكه يفنى، والتسبيحة تبقى لصاحبها ينتفع بها يوم القيامة، والله أعلم.

---

(١) من فضل التسبيح والتحميد، والتهليل، والتكبير: قال ﷺ: «من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر»، وقال ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير عشر مرار كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل»، وقال ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»، وقال ﷺ: «لأن أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»، وقال ﷺ: «أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟ فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة»، «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة». حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة (١/ ١٤٥).

لطيفة في ثناء الأنبياء على ربهم ليلة الإسراء

قال آدم عليه السلام: الحمد لله الذي خلقني بيده، وأسجد لي ملائكته، وجعل الأنبياء من ذريتي، وقال نوح عليه السلام: الحمد لله الذي أجاب دعوتي، وفضلني بالنبوة، ونجاني ومن معي من الغرق بالسفينة، فقال إبراهيم ﷺ: الحمد لله الذي اتخذني خليلاً، وأعطاني ملكًا عظيمًا، واصطفاني بالرسالة، وأنقذني من النار، وجعلها علي بردًا وسلامًا، وقال موسى عليه السلام: الحمد لله الذي كلمني تكليمًا، واصطفاني على الناس برسالته، وأنقذني من الغرق، وأنزل علي التوراة، وألقى علي محبة منه، وقال داود عليه السلام: الحمد لله الذي أنزل علي الزبور، وألان لي الحديد، وقال سليمان ﷺ: الحمد لله الذي سخر لي الرياح، والأنس والجن، وعلمني منطق الطير، وأعطاني ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي.

فائدة: خلق الله ميكائيل بعد إسرافيل بخمسمائة عام، وجعل له من رأسه إلى قدمه وجوهًا وأجنحة، في كل ريشة منها ألف عين تبكي رحمة للمذنبين من أمة محمد ﷺ، فيقطر من كل عين سبعون قطرة، فيخلق الله من كل قطرة ملكًا، وهم الملائكة الكروبيون[1]. وفي رواية: أنه لما صعد النبي ﷺ إلى السماء الخامسة وجد فيها ملائكة قد امتلأ ما بين رءوسهم وأرجلهم وجوهًا وأجنحة، وهم يبكون من خشية الله، فقال جبريل: هؤلاء الملائكة الكروبيون.

قال ابن عباس: إن إسرافيل سأل ربه أن يعطيه قوة السماوات والأرض، والجبال والرياح، وقوة الثقلين، فأعطاه ذلك، وأعطاه من رأسه إلى قدميه وجوهًا وشعورًا، وألسنة

---

(١) يقال: لحملة العرش والحافين به: الكروبيون، جمع: كروبي بفتح الكاف وضم الراء المهملة المخففة ـ وتشديدها خطأ ـ ثم واو بعدها باء موحدة ثم ياء، مشددة من كرب بمعنى قرب، وقد توقف بعضهم في سماعه من العرب وأثبته أبو علي الفارسي واستشهد له بقوله: كروبية منهم ركوع وسجد، وفيه دلالة على المبالغة في القرب لصيغة فعول والياء التي تزاد للمبالغة، وقيل: من الكرب بمعنى الشدة والحزن، وكأن وصفهم بذلك؛ لأنه أشد الملائكة خوفًا.

وزعم بعضهم أن الكروبيين حملة العرش، وأنهم أول الملائكة وجودًا ومثله لا يعرف إلا بسماع، وعن البيهقي: إنهم ملائكة العذاب، وكأن ذلك إطلاق آخر من الكرب بمعنى الشدة والحزن، وقال ابن سيناء في رسالة: الملائكة الكروبيون هم العامرون لعرصات التيه الأعلى الواقفون في الموقف الأكرم زمرًا الناظرون إلى المنظر الأبهى نظرًا، وهم الملائكة المقربون والأرواح المبرؤون، وأمَّا الملائكة العاملون فهم حملة العرش والكرسي وعمار السماوات. انتهى. تفسير الألوسي (١٨/ ٤٧).

وأجنحة، لا يعلم عددها إلا الله تعالى، وهو يسبح الله بألف بألف لغة في كل لسان، ويخلق من كل تسبيحة ملكًا وهم الملائكة المقربون.

فائدة: كان محمد بن سيرين(١) بزازًا(٢)، وكان من موالي أنس بن مالك ﷺ وأوصى له أنس أن يغسله ويصلي عليه ففعل، وكان من أعلام التابعين، ومات في سنة عشر ومائة بعد الحسن البصري بمائة يوم، رحمة الله عليهما.

الحكاية السادسة والتسعون بعد المائة

في وفاء النساء

قيل: لما أمر معاوية بقتل هدبة بن الخشرم أرسل خلف زوجته ليلاً فأتته في أثواب من الخز يفوح منها المسك، وكانت من أجمل النساء، فلما اجتمعا تحدثا وتباكيا، وكانا بينهما ما كان، فلما أصبحا وأخرجوه من السجن إلى القتل التفت إلى زوجته فلما رآها أنشأ يقول:

أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّومَ [وارعي لمن رعى](٣) وَلا تَجزَعي مِمّا أَصابَ فأَوجَعا
وَلا تَنكَحي إِن فَرَّقَ الدَهرُ بَينَنا أَغَمَّ القَفا والوَجهِ لَيسَ بِأَنزَعا

فلما سمعت ذلك منه مالت إلى جدار حائط وجدعت أنفها بسكين، ثم التفتت إليه وقالت له: هل بعد هذا نكاح؟! فقال: الآن طاب الموت.

---

(١) هو محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر، (٣٣-١١٠هـ) إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي من أشراف الكتاب، مولده ووفاته في البصرة، نشأ بزازًا في أذنه صمم، وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، واستكتبه أنس بن مالك بفارس، وكان أبوه مولى لأنس، ينسب له كتاب «تعبير الرؤيا» ذكره ابن النديم، وهو غير «منتخب الكلام في تفسير الأحلام» المطبوع، المنسوب إليه أيضًا وليس له. الأعلام للزركلي (٦/ ١٥٤).

(٢) الْبَزُّ بِالْفَتْحِ: نَوْعٌ مِنْ الثِّيَابِ، وَقِيلَ: الثِّيَابُ خَاصَّةً مِنْ أَمْتِعَةِ الْبَيْتِ، وَقِيلَ: أَمْتِعَةُ التَّاجِرِ مِنْ الثِّيَابِ، وَرَجُلٌ بَزَّازٌ، وَالْحِرْفَةُ الْبِزَازَةُ بِالْكَسْرِ. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٢٩٢).

(٣) البيتان منسوبان لـ«هدبة بن الخشرم» من بحر الطويل بلفظ: يا أُمَّ بَوزَعا.

الحكاية السابعة والتسعون بعد المائة

فيمن رضي بما قسمه الله وقدره، وكان صبورًا شكورًا

«ظريفة»: ذكر العتبي أنه كان ماشيًا في شوارع البصرة، وإذا امرأة من أجمل النساء وأظرفهن تلاعب شيخًا سمجًا[1] قبيحًا، وكلما كلمها تضحك في وجهه، فدنوت منها وقلت لها: من يكون هذا منك؟ فقالت: هو زوجي، فقلت لها: كيف تصبرين على سماجته وقبحه، مع حسنك وجمالك، إن هذا من العجب، فقالت: يا هذا، لعلة رزق مثلي فشكر، وأنا رزقت مثله فصبرت، والشكور والصبور من أهل الجنة، أفلا أرضى بما قسم الله لي؟! فأعجزني جوابها فمضيت وتركتها، ومما قيل:

كـــن مـــن مـــدبرك الحكيـــــ ـــم عـــلا وجـــل عـــلى وجـــل

وأرض القـــــضاء فإنـــــه حـــتم أجـــل ولـــه أجـــل[2]

الحكاية الثامنة والتسعون بعد المائة

في الحلف على شيء وإبرار القسم على وجه مرضي

«لطيفة»: لما ابتلي أيوب عليه السلام فارقه جميع زوجاته وهن ثلاثة، وبقي معه زوجته: رحمة بنت إفرايم بن يوسف عليه السلام، وكان إبليس ذكر لها شيئًا من أمر أيوب فلم تزجره، فغضب أيوب منها، فحلف ليضربنها مائة جلدة[3]، فلما عافاه الله لم يسهل عليه أن يضربها،

---

(١) سَمُجَ الشيءُ بالضم: قَبُحَ، يَسْمُجُ سَماجَةً: إذا لم يكن فيه مَلاحَةٌ. لسان العرب (٢/ ٣٠٠).

(٢) الأبيات منسوبة لـ«الحسن بن علي بن جابر». انظر: نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة للمحبي (١/ ٤٨٧).

(٣) سبب هذه اليمين ثلاثة أقوال: أحدها: إن إبليس جلس في طريق زوجة أيُّوبَ كأنه طبيب، فقالت له: يا عبد الله إنَّ هاهنا إنسانًا مبتلى، فهل لكَ أن تداويَه؟ قال: نعم، إن شاء شفيتُه على أن يقول إذا برَأَ: أنت شفيتَني، فجاءت فأخبرتْه، فقال: ذاكَ الشيطان، لله عَلَيَّ إن شفاني أن أجْلِدَكِ مائةَ جَلْدة. رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس. والثاني: أن إبليس لَقِيَها فقال: إنِّي أنا الذي فعلت بأيوبَ ما به، وأنا آله الأرض، وما أخذتُه منه فهو بيدي، فانطلِقي أُرِيكِ، فمشى بها غيرَ بعيدٍ، ثم سَحَر بَصَرَها، فأراها واديًا عميقًا فيه أهلُها وولدُها ومالُها، فأتت أيُّوبَ فأخبرتْه فقال: ذاكَ الشيطان، ويحكِ كيف وعَى قولَه سَمْعُكِ؟ والله لئن شفاني اللهُ ﷻ لأَجْلِدَنَّكِ مائةً. قاله وهب بن منبّه. والثالث: إن إبليس جاء إلى زوجته بسخلة، فقال: لِيَذْبَحْ لي هذه وقد بَرَأَ، فأخبرتْه فحَلَفَ لَيَجْلِدَنَّها. زاد المسير (٥/ ٢٤٥).

فبقي متحيرًا، فجاء جبريل وقال له: إن الله يقرئك السلام ويقول لك: خذ بيدك مائة عود من أصول السنبل واضربها ضربة واحدة، فتبر من يمينك ففعل ذلك، فخلص من حلفه، وقيل من كلامه أو على لسانه:

مـــذ غيبـــت رحمـــة فقلبـــي في نـــار أشـــواقها بغمـــة
يـــا ربنـــا ردهـــا علينـــا وهـــب لنـــا مـــن لـــدنك رحمـــة

ظريفة: قال وهب بن منبه: إن الله عاتب خمسه من المطيعين في خمسه من العاصين: عاتب جبريل من أجل فرعون، وعاتب نوحًا لما دعا على قومه، وعاتب إبراهيم لما دعا على ثلاثة قد عصوا فماتوا، وعاتب موسى لما لم يغث قارون من الخسف لما استغاث به، وعاتب محمدا ﷺ لما زجر جماعة رآهم يضحكون وقال: يا محمد، لا تقنط عبادي من رحمتي.

فائدة: فيما يتطير منه العامة ولا أصل له كقولهم: لا تنظروا في المرآة بالليل، ويقولون: إن المرأة إذا نظرت في المرآة بالليل تزوج عليها زوجها، ولا يخيط الإنسان ثوبه وهو لابسه، يتفاءلون به للموت، ولا يبدد الملح فيقع شر، ولا يكنس خلف المسافر تفاؤلاً بعدم رجوعه، ولا تكسر الجرة خلفه كذلك، وإذا وقعت شرارة من نار قالوا: ضيف مقيم، وإذا أعطى منديله لآخر يمسح به وجهه تفل فيه؛ لئلا يقع شر، وإذا كنسوا بالليل أحرقوا رأس المكنسة.

نكتة: إذا كان يقرأ إنسان في مصحف ودخل عليه كبير، فقام له والمصحف معه، فلا بأس به؛ لأنه كالاشتغال بجواب سائل، أو بيان مسألة، أو قضاء حاجة خصوصًا إن خشي القارئ من عدم القيام.

فائدة: اعلم أن كرامات الأولياء قد تكون بحسب حاجة الإنسان إليها، فتجري على يد إنسان؛ ليقوى إيمانه، ولا تجري على يد أعلى منه؛ لاستغنائه عنها بعلو درجته لا لنقص ولايته، ولذلك كانت في التابعين أقوى منها في الصحابة.

لطيفة: لما هلك فرعون وجنوده وأمراؤه ولم يبقَ في مصر إلا العامة والرعايا، تزوجوا بنساء الأمراء، وحينئذ سلطت على الرجال النساء؛ لأنهم دونهن، واستمرت تلك السطوة فيهن على الرجال إلى يومنا هذا.

نفيسة: قال الحكماء أمور أعدوها في أشياء مخصوصة منها أنه إذا وجد في المرأة عشرة أوصاف فلا ينبغي أخذها:

أحدها: كونها قصيرة القامة. **الثاني**: كونها قصيرة الشعر. **الثالث**: كونها رفيعة الجسد. **الرابع**: كونها سليطة اللسان. **الخامس**: كونها منقطعة الأولاد. **السادس**: كونها عندها عناد. **السابع**: كونها مسرفة مبذرة. **الثامن**: كونها طويلة اليد. **التاسع**: كونها تحب الزينة عند الخروج. **العاشر**: كونها مطلقة من غيره.

* **ومنها**: عشر أشياء تقوي البدن وتجلو الذهن: **أحدها**: مداومة أكل الحلو. **الثاني**: أكل اللحم القريب من الرقبة. **الثالث**: أكل شوربة البرِّ. **الرابع**: أكل الخبز البارد. **الخامس**: أكل الزبيب الأحمر. **السادس**: أكل عسل النحل. السابع: أكل التفاح الحلو. **الثامن**: أكل الأرز. **التاسع**: أكل الرطب والتمر. **العاشر**: دهن الرأس.

* **ومنها**: اثنا عشر شيئًا تفسد الطبيعة وتكثر النسيان: **أحدها**: الحجامة في نقرة القفا. **الثاني**: أكل سؤر الفأر. **الثالث**: أكل الحوامض. **الرابع**: رمي القمل حيًّا. **الخامس**: الأكل متكئًا. **السادس**: البول في الماء الطاهر. **السابع**: التلاعب بالأصابع. **الثامن**: المرور بين النساء. **التاسع**: قراءة كتابة القبور. **العاشر**: الأكل بغير بسملة. **الحادي عشر**: النوم بعد العصر. **الثاني عشر**: النظر إلى المصلوب.

* **ومنها**: أحد عشر شيئًا تقسي القلب وتورث النكد: **أحدها**: لبس السراويل قائمًا. **الثاني**: الجلوس على الأعتاب. **الثالث**: بقاء القمامة في البيت. **الرابع**: المرور بين الأغنام. **الخامس**: قص الأظافر بالأسنان. **السادس**: الأكل باليد الشمال. **السابع**: مسح الوجه بالأكمام. **الثامن**: المشي على قشر البيض. التاسع: اللعب بالحجارة. **العاشر**: الاستنجاء باليمين. **الحادي عشر**: المشي بالليل وحده.

* **ومنها**: تسعة أشياء تسرع الشيب: **أحدها**: شرب الماء البارد عند القيام من النوم. **الثاني**: غسل الشعر بماء الورد. **الثالث**: النوم مع النساء. **الرابع**: النظر إلى ستر المرأة. **الخامس**: النوم منبطحًا. **السادس**: مسح الوجه بالملبوس. **السابع**: كثرة الجماع. **الثامن**: كثرة الهمِّ. **التاسع**: ضيق المعيشة.

* **ومنها**: ستة تورث الفقر: **الأول**: الكنس بالخرق. **الثاني**: الأكل على الكف.

الثالث: الامتخاط عند قضاء الحاجة. **الرابع**: البول في الكانون. **الخامس**: قص الأظافر بالأسنان. **السادس**: الانتكاش بالأعواد.

* **ومنها**: أربعة تنور البصر: **الأول**: النظر إلى الخضرة. **الثاني**: النظر إلى الوالدين. **الثالث**: النظر إلى المصحف. **الرابع**: النظر إلى الكعبة المشرفة.

* **ومنها**: أربعة تضعف البصر: **أحدها**: أكل الملح. **الثاني**: صب الماء الحار على الرأس. **الثالث**: النظر إلى الشمس. **الرابع**: النظر إلى وجه العدو.

* **ومنها**: أربعة أشياء تسمن البدن: **أحدها**: لبس الحرير. **الثاني**: أكل الأطعمة المريحة. **الثالث**: دوام السرور. **الرابع**: عدم التعب.

* **ومنها**: أربعة أشياء تغير البدن: **أحدها**: قلة الأكل. **الثاني**: كثرة الجماع. **الثالث**: كثرة الجلوس في الحمام. **الرابع**: النوم بعد الغروب.

* **ومنها**: أربعة أشياء تميت القلب: **أحدها**: كثرة الكلام. **الثاني**: كثرة الضحك. **الثالث**: كثرة الأكل. **الرابع**: أكل الحرام.

لطيفة: اعلم أن الله تعالى اختار من المخلوقات ذوات الأرواح، ثم اختار منها بني آدم، ثم اختار منهم العقلاء، ثم اختار منهم العلماء، ثم اختار منهم العمال، ثم اختار منهم الأولياء، ثم اختار منهم الأنبياء، ثم اختار منهم المرسلين أولي العزم، ثم اختار منهم محمدًا ﷺ وعليهم أجمعين، ولما خلق الملائكة اختار منهم الحفظة، والبررة، والسفرة، والكروبيين، ثم اختار من الكروبيين حملة العرش وهم الروحانيون، ثم اختار من هؤلاء الأربعة الرؤس: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل.

الحكاية التاسعة والتسعون بعد المائة

في ذكر من ادعى دينًا على آخر فحبس صاحب الدين وأطلق المديون

«عجيبة»: اختصم عند الماحقي رجلان في دين، فأقرَّ أحدهما للآخر بما يدعيه، فأمره بدفعه له، فقال: أصلح الله الأمير، إني رجل اكتسب قوت عيالي ولا أقدر أن أتأخر عن الكسب، وإني كلما جمعت شيئًا أتيته لأوفيه له من حقه، فلا أجده؛ لأنه رجل منهمك على الشراب، وغيره عند أصحابه، فأمر الأمير بحبس صاحب الحق، وقال للرجل: اشتغل بكسبك، وكلما حصلت شيئًا فادفعه له في الحبس حتى لا تحتاج إلى تردد في طلبه، فمكث الرجل في الحبس ثمانين يومًا، والمدين يحمل إليه من دينه شيئًا بعد شيء حتى بقي له دينار واحد، فأرسل إلى الأمير يقول: إن رأيت إطلاقي فإنه لم يبقَ لي عليه إلا دينار، فقال: لا والله حتى تأخذ تمام حقك.

الحكاية المائتان

في ذكر من قتل، وضرب، وصلب من الأشراف ظلمًا

فمن قتل: عمر، وعثمان، وعلي وابنه الحسين، وعبد الله بن الزبير، والنعمان بن بشير، وسعيد بن جبير ـ رضي الله تعالى عنهم أجمعين ـ وماهان الحنفي. **وممن صلب قبل قتله أو بعده**: خبيب بن عدي صلبه المشركون، وعبد الله بن الزبير صلبه الحجاج، وأحمد بن نصر صلبه الواثق. **وممن ضرب**: عبد الرحمن بن أبي ليلى ضربه الحجاج أربعمائة سوط، وسعيد بن المسيب، وأبو الزناد، وأبو عمرو بن العلاء، وعطية العوفي، وثابت البناني، وعبد الله بن عوف، ومالك بن أنس، وأبو حنيفة، وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين.

الحكاية الأولى بعد المائتين

فيما وقع لأبي حنيفة مع جماعة من الدهرية

«**لطيفة**»: دخل جماعة من الدهرية[(١)] على أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ يريدون قتله، فقال لهم: مكانكم، اصبروا عليّ حتى أسألكم عن مسألة، ثم افعلوا ما بدا لكم، فقالوا له: سل ما تريد، فقال لهم: ما تقولون في سفينة تجري في وسط بحر على أحسن ما يكون، أليس يكون ذلك وليس فيها من يدبر أمرها؟ فقالوا: هذا محال، فقال لهم: إذا كانت هذه سفينة فكيف بالدنيا وبالسماوات وبالأرض، فأقبلوا عليه يقبلون أقدامه، وتابوا، ورجعوا عن اعتقادهم الفاسد ببركة الإمام ﷺ.

لطيفة: قال بعضهم: الخلق ثلاثة أقسام: رباني، ورهباني، وجناني.

فالرهباني: من يعبده خوفًا من ناره.

والجناني: من يعبده طمعًا في جنته.

والرباني: من يعبده شوقًا إليه لا خوفًا من ناره، ولا طمعًا في جنته، فإذا كان يوم القيامة قيل للرهباني: قد نجوت من النار، فيقول: ﴿**الحَمْدُ لله الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ**....﴾ [فاطر:٣٤] ويقال للجناني: قد وجبت لك الجنة، فيقول: ﴿ **الحَمْدُ لله الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ**....﴾ [الزمر:٧٤] ويقال للرباني: قد وهبك رؤيته بلا واسطة ولا كيف، فيقول: ﴿**الحَمْدُ لله الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا**....﴾ [الأعراف:٤٣].

---

(١) قَالَ الخَطَّابِيُّ: كَانَتْ الجَاهِلِيَّة تُضِيفُ المُصَائِبَ وَالنَّوَائِبَ إِلَى الدَّهْرِ الَّذِي هُوَ مِنْ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ فِرْقَتَانِ؛ فِرْقَةٌ: لَا تُؤْمِنُ بِالله تَعَالَى وَلَا تَعْرِفُ إِلَّا الدَّهْرَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ اللَّذَانِ هُمَا مَحَلٌّ لِلْحَوَادِثِ وَظَرْفٌ لِمَسَاقِطِ الأَقْدَارِ، فَتَنْسُبُ المُكَارِهَ إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهَا مِنْ فِعْلِهِ وَلَا تَرَى أَنَّ لَهَا مُدَبِّرًا غَيْرَهُ، وَهَذِهِ الفِرْقَةُ هِيَ «الدَّهْرِيَّةُ» الَّذِين حَكَى اللهُ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ**...﴾ [الجاثية:٢٤]. عون المعبود (١١/ ٣٠٧).

فائدة في ذكر من دخل مصر من الأنبياء

وهم: إبراهيم، وإسماعيل، ويعقوب، ويوسف وإخوته، وموسى، وهارون، ويوشع، وعيسى، ودانيال صلى الله وسلم عليهم أجمعين.

وأما من دخلها من الصحابة

فهم ثلاثمائة ونيف، ذكرتهم على حروف المعجم؛ لأجل التسهيل والضبط:

حرف الألف

- أبرهة بن الصباح.
- أبو الأسود العبدي.
- أبو الأعور عمر بن سفيان.
- أبو أمامة الباهلي.



- أبو أيوب الأنصاري.
- أبو بردة الأنصاري.
- أبو نضرة الغفاري.
- أبو ثور الفهمي.
- أبو جبر ـ بفتح أوله فموحدة ـ البدري.
- أبو جمعة الأنصاري.
- أبو جندب.
- أبو حماد.
- أبو حامد الأنصاري.
- أبو خراش السلمي.
- أبو الدرداء الأنصاري.
- أبو درة البلوي.

- أبو ذر الغفاري.
- أبو ذؤيب الهذلي.
- أبو رافع القبطي.
- أبو رمثة البلوي.
- أبو الرمداء البلوي.
- أبو رهم السمعي.
- أبو رغامة ـ بالمعجمة أو المهملة ـ الأزدي[1].
- أبو الزعراء.
- أبو زمعة البلوي.
- أبو زيد الغافقي.



- أبو سعاد الجهني.
- أبو سعد الخيري.
- أبو سعيد الإسكندري.
- أبو الشموس البلوي.
- أبو صرمة الأنصاري.
- أبو الضبيس البلوي.
- أبو عبد الرحمن الجهني.
- أبو عبد الرحمن الفهري.
- أبو عبد الرحمن القيني.
- أبو عثمان الأصبحي.

(١) هكذا بالأصل، ولم أقف على من ترجمه أوذكره فيما بحثت.

- أبو عطية المزني.
- أبو فاطمة الأشعري الأزدي.
- أبو فاطمة الدوسي.
- أبو مالك.
- أبو المسدل المتبذل خلف[١].
- أبو مسلم الغافقي.
- أبو منكف[٢].
- أبو مليكة البلوي.
- أبو منصور الفارسي.
- أبو موسى الغافقي.
- أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي.
- أبو هند الداري.
- أبو الهيثم.
- أبو وحوح.
- أبو اليقظان.
- عمار بن ياسر.
- أجمد ـ بالجيم ـ أحمد بن قطن.
- أدهم بن خطوة.
- أرقم بن حفينة.
- أسعد بن عطية.

(١) هكذا بالأصل، ولم أقف على من ترجمه أوذكره فيما بحثت.

(٢) هكذا بالأصل، ولم أقف على من ترجمه أوذكره فيما بحثت.

- أم زر زوجة الغفاري.
- أم عبد الله زوجة عمرو بن العاص.
- أوس بن عمر.
- إياس بن البكير.
- أيمن بن خُريم.

حرف الباء الموحدة

- بُحُر بضم أوله والحاء المهملة.
- بِرح بكسر أوله ومهملتين.
- بُسر - بضم أوله - بن أرطأة.
- بشر بن ربيعة.
- بُشير - بضم أوله فمعجمة - بن عراب.
- بصرة بن أبي بصرة الغفاري.

حرف التاء الفوقية

- تبيع بن عامر الحميري.
- تميم بن أوس الداري.
- تميم بن إياس.

حرف الثاء المثلثة

- ثابت بن الحارث.
- ثابت بن رديفع.
- ثابت بن طريف.
- ثابت بن النعمان.

- ثابت مولى الأخنس.
- ثمامة بن أبي ثمامة.
- ثمامة الردماني.

حرف الجيم

- جابر بن أسامة.
- جابر بن إياس.
- جابر بن عبد الله.
- جابر بن ياسر.
- جابر بن زرارة البلوي.
- جبر القبطي.
- جبير بن عبد الله.



- جبلة بن عمرو بن ثعلبة.
- جدرة ـ بضم أوله ـ ابن سيرة.
- جرهد بن خويلد.
- جعشم الخير بن خليبة.
- جميل بن معمر بن خبيب.
- جناب بن مرثد.
- جنادح بن ميمون.
- جنادة بن أبي أمية.

حرف الحاء المهملة

- حائر.

- حابس بن ربيعة.

- حابس بن سعيد الطائي.

- الحارث بن تبيع.

- الحارث بن حبيب.

- الحارث بن عباس بن عبد المطلب.

- حاطب بن أبي بلتعة.

- حبان ـ بكسر أوله ـ بن بح ـ بضم الموحدة ثم مهملة.

- الحجاج بن خلي السفلي ـ بضم المهملة.

- حرملة بن سلمى.

- حزام ـ بالزاي ـ بن عوف البلوي.

- حسان بن سعد.

- الحكم بن الصلت.

- حمزة ـ بضم أوله ـ ابن عبد كلال.

- حمزة بن عمر الأسلمي.

- حميل ـ مصغرًا ـ ابن نصرة.

- حنظلة الثقفي.

- حيان ـ بالتحتية ـ ابن كرز البلوي.

- حيوة بن مرثد.

- حيي - بتحتيتين مصغرًا ـ بن حرام الليثي.

حرف الخاء المعجمة

- خارجة بن حذافة.

- خارجة بن عراك.
- خالد بن القيس.
- خرشة بن الحارث.

حرف الدال المهملة

- دحية الكلبي.
- ديلم بن هوشع.
- دمون.

حرف الذال المعجمة

- ذو فرات.
- ذو قرابات بفتحات.

حرف الراء المهملة

- رافع أو رويفع بن ثابت.
- رافع بن مالك بن العجلان.
- ربيعة بن شرحبيل بن حسنة.
- ربيعة بن عبادة الديلمي.
- ربيعة بن الفارسي.
- رشدان الجهني.
- رشيد بن عمرة المزني.

حرف الزاي المعجمة

- الزبير بن العوام.
- زهير بن قيس البلوي.

- زياد بن الحارث.
- زياد بن جهور اللخمي.
- زياد بن نُعيم الحضرمي.
- زياد الغفاري.
- زيد بن عبد الخولاني.

حرف السين المهملة

- السائب بن خلاد الأنصاري.
- السائب بن هشام.
- السائب الغفاري.
- سخرور بن مالك الحضرمي.
- سرق بن أسيد ويقال: أسد (الأنصاري السكندري).
- سعد بن أبي وقاص.
- سعد بن سنان الكندي.
- سعد بن مالك الأقيصر.
- سعد بن يزيد.
- سفيان بن هانئ.
- سفيان بن وهب.
- سلاما أو سلمة بن قيصر الحضرمي.
- سلكان بن مالك.
- سلمة بن يزيد.
- سلمة بن الأكوع.

- سندر بن سندر.
- سهل بن سعد الأنصاري.
- سهل بن أبي سهل.
- سودة بنت أبي ضبيس الجهنية.
- سيرين أخت مارية القبطية.
- سيف بن مالك الرعيني.

حرف الشين المعجمة

- شرحبيل بن حسنة.
- شريح بن أبرهة.
- شريح الشافعي.
- شريك بن أبي الأغطل.
- شريك بن سمي الغطيفي.
- شفي بن مانع الأصبحي.
- شهاب بن شبيب بن سعد بن مالك.

حرف الصاد المهملة

- صحار.
- صلة بن الحارث.

حرف الضاد المعجمة

- ضمرة بن الحصين بن ثعلبة البلوي.

حرف العين المهملة

- عامر بن الحارث.

- عامر بن عبد الله الخولاني.
- عامر بن عمرو بن حذافة أبو بلال.
- عائذ بن ثعلبة.
- عبادة بن الصامت.
- عبد الله بن أبي يزيد بن ربيعة.
- عبد الله بن أنيس الجهني.
- عبد الله بن أنيسة السلمي.
- عبد الله بن حذافة بن قيس.
- عبد الله بن حوالة الأزدي.
- عبد الله بن الزبير.
- الأمير عبد الله بن سعد بن أبي سرح.
- عبد الله بن سعد.
- عبد الله بن سندر.
- عبد الله بن شقي.
- عبد الله بن شمر ويقال: ابن شمران الخولاني.
- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب.
- عبد الله بن عديس البلوي.
- عبد الله بن عمر بن الخطاب.
- عبد الله بن عمرو بن العاص.
- عبد الله بن عنمة بمهملة مفتوحة ثم نون.
- عبد الله الغفاري.

- عبد الله بن قيس.
- عبد الله بن مالك الغافقي.
- عبد الله بن المستورد الأسدي.
- عبد الله بن معد يكرب.
- عبد الله بن هشام بن زهرة التيمي.
- عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق.
- عبد الرحمن بن شرحبيل.
- عبد الرحمن بن العباس بن عبد المطلب.
- عبد الرحمن بن عديس.
- عبد الرحمن بن عسيلة.



- عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب.
- عبد الرحمن بن غنم الأشعري.
- عبد الرحمن بن معاوية.
- عبد رضي ـ بضم أوله ـ الخولاني . يكنى أبا مكيف، مكنف.
- عبد العزيز بن سخيرة.
- عبيد بن قشير.
- عبيد بن محمد المعافري.
- عتبة بن عمرو بن صالح.
- عثمان بن عفان ـ دخلها قبل الإسلام تاجرًا.
- عثمان بن قيس بن أبي العاص.
- عجري بن ماتع السكسكي.

- عدوة التميمي.
- عدي بن عميرة ـ بفتح أوله.
- العرس بن عميرة الكندي.
- عسجد بن مانع.
- عسجري بن ماتع السكسكي.
- عقبة بن بجرة الكندي.
- عقبة بن الحارث.
- عقبة بن عامر الجهني.
- عقبة بن كريم الأنصاري.
- عقبة بن نافع الفهري.
- عكرمة بن عبد الخولاني.
- العلاء بن أبي عبد الرحمن بن أنس الفهري.
- علقمة بن عدي البلوي.
- علقمة بن جنادة.
- علقمة بن رمثة.
- علقمة سمي بن الخولاني.
- علقمة بن يزيد المرادي.
- عمار بن ياسر.
- عمارة السباعي.
- عمر بن الخطاب ـ دخلها قبل الإسلام.
- عمر بن مالك الأنصاري.

- عمرو بن الحمق.
- عمرو بن سعيد بن العاص.
- عمرو بن شعواء- سعواء- اليافعي.
- عمرو بن العاص بن وائل.
- عمرو الجني ـ من جن نصيبين.
- عمير بن وهب.
- عنبس بن ثعلبة.
- عتيبة بن عدي البلوي.
- عوف بن مالك الأشجعي.
- عوف بن نجدة بنون فجيم.

حرف الغين المعجمة

- غرفة بن الحارث الكندي.
- غني بن قطيب.

حرف الفاء

- فاضلة الأنصارية.
- فاطمة.
- فضالة بن عبيد.
- فضالة الليثي.

حرف القاف

- قتادة بن قيس الصدفي.
- قدامة بن مالك.

- قيس بن أبي العاص بن قيس السهمي.
- قيس بن عدي اللخمي.
- قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري.
- قيس بن قيس الكندي.
- قيسبة ـ بسكون التحتية وفتح المهملة والموحدة ـ الكندي.

حرف الكاف

- كثير بن أبي كثير الأسدي.
- كريب بن أبرهة الأصبحي.
- كعب بن عاصم الأشتري.
- كعب بن عدي.
- كعب بن يسار بن منبه.

حرف اللام

- لبدة بن كعب بن تريس ـ بفتح الفوقية، وكسر المهملة، وسكون التحتية، ثم سين مهملة.
- لبيد بن عقبة التجيبي.
- لصيت بن جشم بن حرملة.
- لقيط بن عدي اللخمي.
- ليشرح بن لحي الرعيني.

حرف الميم

- مأبور الخصي.
- مارية القبطية أم إبراهيم.

- مالك بن أبي سلسلة الأسدي.
- مالك بن زاهر.
- مالك بن عبدة.
- مالك بن عتاهية الكندي.
- مالك بن قدامة بن عرفجة.
- مالك بن هبيرة الكندي.
- مالك بن هدم التجيبي.
- محمد بن أبي بكر الصديق.
- محمد بن عمرو بن العاص السهمي.
- محمد بن مسلمة بن خالد بن ربيعة الأنصاري.
- محمد بن جزء الزبيدي.
- مروان بن الحكم المستورد بن سلامة الفهري.
- المستور بن شداد الفهري.
- مسروح بن سندر الخصي.
- مسعود بن أويس الأنصاري.
- مسلم بن مخلد بن الصامت.
- مسعود بن الأسود البلوي.
- المسور بن مخرمة الزهري.
- المسيب أبو سعيد بن المسيب.
- مطعم بن عبيد البلوي.
- المطلب بن أبي وداعة.
- معاذ بن أنس الجهيني.

- معاوية أمير المؤمنين بن أبي سفيان.
- معاوية بن خديج التجيبي السكوني.
- معبد بن العباس بن عبد المطلب.
- معن بن خويلد الديلمي.
- معيقيب الدوسي.
- المغيرة بن شعبة ـ دخلها في الجاهلية ـ.
- المقداد بن عمرو الكندي.
- المنذر السلمي المهاجر - مولى أم المؤمنين آم سلمة - يقال له: أبو حذيفة.

حرف النون

- ناشرة المصري.
- نبيه بن صواب المهري الجهني.
- النعمان بن الجزء.
- نعيم بن جبان بالجيم.

حرف الهاء

- هانئ بن الجزء.
- هبيب بن مغفل.
- هوذة بن عرفطة الحميري.

حرف الواو

- وافد بن الحارث الأنصاري.
- وهب بن مغفل.

حرف لا

- لاحب بن مالك.

حرف الياء التحتية

- يزيد بن أنيس الفهري.
- يزيد بن أبي يزيد الأسلمي.
- يزيد بن عبد الله بن الجراح.
- يزيد بن نعامة السوائي.
- يعقوب مولى أبي منصور الأنصاري.

ودخلها من التابعين:

- الشعبي.
- ابن عُلية.
- وحفص الفرد.

ومن الخلفاء:



- معاوية.
- مروان بن الحكم.
- ابن الزبير.
- عبد الله بن مروان.
- عمر بن عبد العزيز.
- مروان بن محمد.
- السفاح.
- المنصور.
- المأمون.
- المعتصم.
- الواثق، والله تعالى أعلم.

الحكاية الثانية بعد المائتين

في كيفية صنع نوح السفينة، وحمل الحيوانات فيها

«**صفة سفينة نوح**[(١)]»: وذلك أن نوحًا سأل ربه كيف يصنع السفينة، فأوحى الله إلى جبريل أن يعلمه صنعتها، فكان نوح ينشر من خشب الساج - كما قال ابن عباس - ألواحًا، ويلصق بعضها إلى بعض، ويسمرها بالدسر، وهي: مسامير الحديد، وجعل رأسها كرأس الطاووس، وذنبها كذنب الديك، ومنقارها كمنقار الباز، وأجنحتها كأجنحة العقاب، ووجهها كوجه الحمامة، وجعل لها ثلاث طبقات، وقيل: سبعة، وجعل طولها ألف ذراع وعرضها ستمائة ذراع، وارتفاعها ثلاثمائة ذراع، وقيل: طولها أربعمائة ذراع، وعرضها مائتا ذراع.

وجعلها سبع طبقات، وجعل بن كل طبقتين عشرة أذرع، وجعل لكل طبقة بابًا،

---

(١) قال زيد بن أسلم: مكث نوح عليه السلام مائة سنة يغرس الشجر ويقطعها وييبسها، ومائة سنة يعملها. وروى ابن القاسم عن ابن أشرس عن مالك قال: بلغني أن قوم نوح ملئوا الأرض، حتى ملئوا السهل والجبل، فما يستطيع هؤلاء أن ينزلوا إلى هؤلاء، ولا هؤلاء أن يصعدوا إلى هؤلاء فمكث نوح يغرس الشجر مائة عام لعمل السفينة، ثم جمعها ييبسها مائة عام، وقومه يسخرون. وذلك لما رأوه يصنع من ذلك، حتى كان من قضاء الله فيهم ما كان.

وروي عن عمرو بن الحارث قال: عمل نوح سفينته ببقاع دمشق، وقطع خشبها من جبل لبنان، وقال القاضي أبو بكر بن العرابي: لما استنقذ الله ﷻ من في الأصلاب والأرحام من المؤمنين أوحى الله إليه ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ﴾ [هود:٣٦] ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ [هود:٣٧] قال: يا رب ما أنا بنجار، قال: بلى فإن ذلك بعيني، فأخذ القدوم فجعله بيده، وجعلت يده لا تخطئ، فجعلوا يمرون به ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي صار نجارًا، فعملها في أربعين سنة. وحكى الثعلبي وأبو نصر القشيري عن ابن عباس قال: اتخذ نوح السفينة في سنتين. زاد الثعلبي: وذلك؛ لأنه لم يعلم كيف صنعة الفلك، فأوحى الله إليه أن اصنعها كجؤجؤ الطائر. وقال كعب: بناها في ثلاثين سنة، والله أعلم. المهدوي: وجاء في الخبر أن الملائكة كانت تعلمه كيف يصنعها.

واختلفوا في طولها وعرضها، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: كان طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسون، وسمكها ثلاثون ذراعًا، وكانت من خشب الساج. وكذا قال الكلبي وقتادة وعكرمة: كان طولها ثلاثمائة ذراع. والذراع إلى المنكب. قال سلمان الفارسي. وقال الحسن البصري: إن طول السفينة ألف ذراع ومائتا ذراع، وعرضها ستمائة ذراع. وحكاه الثعلبي في كتاب العرائس. تفسير القرطبي (٩/ ٣١).

وجعل لها سلاسل من حديد، وطلاها بالزفت ـ وهو: القار ـ وأمره الله أن يسمر في جوانبها أربعة مسامير، ويرسم على كل مسمار لفظ عين، فسأل نوح ربه عن فائدة ذلك، فقال له: هي أسماء أصحاب محمد: «عتيق، وعمر، وعثمان، وعلي»، وجعل فيها صهريجًا للماء، وجعل فيها قوت ستة أشهر، وأنزل الله له فيها خرزة تضيء كالشمس يعرف فيها أوقات الصلاة، والساعات في الليل والنهار.

ومكث في عملها كما قيل: أربعين سنة، قيل: وكان قومه يأتون إليها ليلاً ويطلقون فيها النار؛ ليحرقوها، فلا تعمل النار فيها شيئًا، فيقولون: هذا من قوة سحره، ولما تمت أنطقها الله تعالى بلسان يعرفه الناس جهارًا، فقالت: لا إله إلا الله، إله الأولين والآخرين، أنا سفينة النجاة، من حملته نجا، ومن تخلف عني هلك، فقال نوح لقومه: أتؤمنون الآن، فقالوا: لا، إنما هذا من قوة سحرك يا نوح، ثم نادى نوح بأمر الله لسائر الحيوانات من الوحش، والطير، والحشرات، هلموا إلى ركوب السفينة قبل نزول العذاب.

وأوصل الله دعوته إلى المشرق والمغرب، فأقبلت إليه، فصار يأخذ من كل صنف زوجين، وأمر الله الرياح أن تحمل إليه أصناف الأشجار، فحمل منها من كل صنف واحدة، وحمل في الطبقة الأولى: الرجال والنساء، وكانوا ثمانين إنسانًا، ومعهم تابوت فيه جسد آدم وحواء، والحجر الأسود، ومقام إبراهيم، وعصا الأنبياء والمرسلين بعددهم، وعلى كل عصا اسم صاحبها، وحمل في الطبقة الثانية: الوحوش والدواب والأنعام، وفي الطبقة الثالثة: الطيور، وفي الطبقة الرابعة: الأشجار، وفي الطبقة الخامسة: ذوات المخلب والأسد واللبوة، وفي الطبقة السادسة: الحية والعقرب، وفي الطبقة السابعة: الفيل وأنثاه.

الحكاية الثالثة بعد المائتين

في صفة إرم ذات العماد

وصفة التابوت

وصفة السلسلة

وفي الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء

«صفة إرم ذات العماد(١)»:

قال بعضهم: كان شداد بن عاد مولعًا بقراءة الكتب المنزلة على الأنبياء، وكان كلما رأى صفة الجنة في كتاب تحدثه نفسه أن يعمل لنفسه مثلها، فحينئذ أمر وزراءه وكانوا ألف وزير أن ينظروا له أرضا واسعة الفضاء، كثيرة المياه، طيبة الهواء، ومعهم المهندسون والعمال، فوجدوا تلك الصفة في أرض عدن من جهة اليمن، فحفروا فيها أساس مدينة مربعة الجوانب، كل جهة عشرة فراسخ، ورموا في أساسها قطع الرخام الملوّن، ثم أمر وزراءه أن ينطلقوا إلى أقطار الأرض؛ لأنه حاكم عليها، ويجمعوا له فيها من الذهب والفضة، وجميع أنواع المعادن، والمسك والعنبر، ففعلوا ذلك حتى لم يبقَ مع أحد درهم ولا

---

(١) قَالَ مُجَاهِد: إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ؛ يَعْنِي: الْقَدِيم، وَالْعِمَاد: أَهْل عَمُود لَا يُقِيمُونَ، وَصَلَهُ الْفِرْيَابِيُّ مِنْ طَرِيق مُجَاهِد بِلَفْظِ إِرَم الْقَدِيمَة، وَذَات الْعِمَاد أَهْل عِمَاد لَا يُقِيمُونَ، وَقَالَ عَبْد الرَّزَّاق عَنْ مَعْمَر عَنْ قَتَادَةَ: إِرَم قَبِيلَة مِنْ عَاد، قَالَ: وَالْعِمَاد كَانُوا أَهْل عَمُود؛ أَيْ: خِيَام. اِنْتَهَى.

وَإِرَم هُوَ اِبْن سَامِ بْن نُوح، وَعَاد بْنُ عَوْص بْن إِرَم. وَقِيلَ: إِرَم اِسْم الْمَدِينَة، وَقِيلَ أَيْضًا: إِنَّ الْمُرَاد بِالْعِمَادِ شِدَّة أَبْدَانهمْ وَإِفْرَاط طُولهمْ، وَقَدْ أَخْرَجَ اِبْن مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيق الْمِقْدَام بْن مَعْد يَكْرِب قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ فِي قَوْله: ذَاتِ الْعِمَادِ: «كَانَ الرَّجُل يَأْتِي الصَّخْرَة فَيَحْمِلهَا عَلَى كَاهِله فَيُلْقِيهَا عَلَى أَيّ حَيّ أَرَادَ فَيُهْلِكهُمْ» وَأَخْرَجَ اِبْن أَبِي حَاتِم مِنْ طَرِيق السُّدِّيّ قَالَ: إِرَم اِسْم أَبِيهِمْ. وَمِنْ طَرِيق مُجَاهِد قَالَ: إِرَم أُمّه. وَمِنْ طَرِيق قَتَادَةَ قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّث أَنَّ إِرَم قَبِيلَة. وَمِنْ طَرِيق عِكْرِمَة قَالَ: إِرَم هِيَ دِمَشْق. وَمِنْ طَرِيق عَطَاء الْخُرَاسَانِيّ قَالَ: إِرَم الْأَرْض. وَمِنْ طَرِيق الضَّحَّاك قَالَ: الْإِرَم الْهَلَاك. يُقَال: أَرَمَ بَنُو فُلَان؛ أَيْ: هَلَكُوا. وَمِنْ طَرِيق شَهْر بْن حَوْشَب نَحْوه، وَهَذَا عَلَى قِرَاءَة شَاذَّة ثَبَتَتْ: «بِعَادٍ أَرَمَ» بِفَتْحَتَيْنِ وَالرَّاء ثَقِيلَة عَلَى أَنَّهُ فِعْل مَاضٍ، وَ«ذَات» بِفَتْحِ التَّاء عَلَى الْمَفْعُولِيَّة؛ أَيْ: أَهْلَكَ الله ذَاتَ الْعِمَاد، وَهُوَ تَرْكِيب قَلِق. وَأَصَحّ هَذِهِ الْأَقْوَال الْأَوَّل: إِنَّ إِرَم اِسْم الْقَبِيلَة وَهُمْ إِرَم بْن سَام بْن نُوح، وَعَاد هُمْ بَنُو عَاد بْن عوص بْن إِرَم. فتح الباري لابن حجر (١٤/ ١٠٨).

دينار، وصار الناس يتعاملون بالجلود المختومة باسم الملك، وأحضروا ذلك إليه، فبنى فوق الأساس سورًا مرتفعًا خمسمائة ذراع من الذهب والفضة بطين من المسك معجون بدهن البات والمحلب، وبنوا فيها ألف غرفة بالذهب والفضة قائمة على عمد من الياقوت والزبرجد، مشرفة على أشجار من الذهب والفضة، مثمرة بالزبرجد والياقوت الملوّن واللآلئ الكبيرة، وأحكموا تلك الغرف والأشجار بالصنائع العجيبة والبدائع الغريبة، وجعلوا تحتها أنهارًا جارية، وحول الأنهار تلال المسك والزعفران.

وكملت عمارتها في ثلثمائة سنة، ثم أخبروا الملك بذلك، فأمر الوزراء والأمراء بنقل أنواع الفرش الفاخرة إليها، ونقل الأواني النفيسة العجيبة كذلك، ففعلوا ذلك في مدة عشرين سنة، ثم أخبروه بذلك، فركب في موكب عظيم فيه الوزراء والأمراء والنساء في الهوادج المرصعة بالجواهر واليواقيت، والذهب والفضة، وسار في ذلك حتى أشرف على المدينة، فأمر الله تعالى ملكًا فصاح عليهم صيحة واحدة، فهلكوا جميعًا، ولم يدخلها أحد منهم، وهي باقية إلى الآن في غامض علم الله تعالى.

«**صفة التابوت والسكينة**»: قال وهب بن منبه: إن الله تعالى أوحى إلى موسى أن يتخذ في بيت المقدس مسجدًا للتوراة، وتابوتًا للسكينة، وقبة للقربان، فجعل موسى على كل رجل من بني إسرائيل مثقالاً من الذهب يبنى به ذلك المسجد والقبة، وكانوا ستمائة ألف وسبعمائة وخمسين رجلاً، فبنى من ذلك مسجدًا طوله سبعون ذراعًا، وعرضه كذلك، وجعل فيه قبة فيها قناديل من الذهب معلقة بسلاسل من الذهب، منظومة باللؤلؤ واليواقيت، وجعل لها أربعة أبواب: باب تدخل منه الملائكة فقط، وباب يدخل منه موسى فقط، وباب يدخل منه هارون وأولاده، وباب يدخل منه بنو إسرائيل، وجعل فيها صخرة من الرخام الأبيض فيها ثقب، تنزل فيه نار من السماء، لا دخان لها، تأكل ما فيها من القربان، وتوقد القناديل، واتخذ تابوتًا من خشب الشمشار؛ طوله ذراعان ونصف، وعرضه ذراعان، وارتفاعه ذراع ونصف، ووضع فيه السكينة التي أنزلت على آدم من الجنة حين أهبط، ولم تزل الأنبياء يتوارثونها حتى وصلت إلى موسى، ولم تزل في بني إسرائيل حتى سلبها منهم العمالقة، واستمرت فيهم حتى سلبها طالوت، وردّها إلى بني إسرائيل.

واختلفوا في تلك السكينة، فقال ابن عباس: هي طست من ذهب كانت تغسل فيه قلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقال وهب بن منبه: هي روح من الله تعالى كانت تكلم الناس إذا اختلفوا في شيء وتحاكموا؛ لأن بني إسرائيل كانوا إذا اختلفوا في أمر جاءوا إليها في داخل القبة فيخرج لهم كلام من السكينة يفصل بينهم فيما جاءوا فيه من إظهار الحق والباطل.

وقال ابن إسحاق: السكينة: هرة ميتة لها رأسان، ووجه كوجه الإنسان، فإذا حصل لبني إسرائيل قتال أخرجوا ذلك التابوت أمامهم، فإذا صرخت تلك الهرة علموا بنصرهم على عدوّهم، وقيل: كان يخرج من التابوت من يقاتل عدوّهم، ويهزهم، وقيل: إن السكينة كانت نعلين لموسى، وقطعة من عصاه، وعمامة هارون، وشيئًا من المنِّ الذي كان ينزل على بني إسرائيل، وشيئًا من خشب الألواح التي تكسرت حين إلقائها، ولما أخذ العمالقة التابوت مكث عندهم عشر سنين وسبعة أشهر، وكان كل شيء دنا منه من آدمي أو غيره يحترق، فقال رجل صالح: أخرجوا هذا التابوت عنكم، فلن تفلحوا ما دام عندكم، فوضعوه على عجلة وعلقوها على ثورين، وساقوهما، فسارا من غير أحد يسوقهما حتى وصلا إلى أرض بني إسرائيل فرمياها وذهبا، فلم يشعر بهما أحد، فحملت الملائكة التابوت من فوق العجلة وطاروا به بين السماء والأرض والناس ينظرون إليه حتى وضعوه في دار طالوت، وقال بعضهم: هو الآن في بحيرة طبرية إلى أن ينزل عيسى بن مريم فيخرجنه منها.

«صفة السلسلة»:

التي هي من فضائل داود عليه السلام، أعطاها الله له لما كثر الزور والكذب في قومه، وسأل الله أن يجعل له علامة؛ ليعرف بها الحق من الباطل، وكانت في محرابه، قوّتها قوة الحديد، ولونها لون النار، مفصلة بالجواهر واليواقيت وقضبان اللؤلؤ، وكان الناس يتحاكمون إليها، وإذا حدث في الوجود حادث صلصلت فيعلم داود بحدوثه، ولا يمسها ذو عاهة إلا برئ من وقته، وإذا أسلم أحد ومسها بيده ومسح بها صدره ذهب الشرك من صدره، وإذا كان الإنسان له حق على آخر وأنكره أتيا إليها، فمن كان محقًّا تناولها بيده، وإلا فلا يناها.

قال بعضهم: أودع رجل جوهرة ثمينة عند رجل وغاب عنه مدة طويلة ثم جاء يطلبها فأنكرها، فقال له صاحبها: امض معي إلى السلسلة نتحاكم عندها، فعمد الذي هي عنده إلى عكاز فنقره، ووضع الجوهرة في نقره، وسد عليها سدًّا خفيًا، فلما حضرا عند السلسلة قال الرجل لصاحبها: خذ عكازي هذا معك، واحتفظ به حتى أتناول السلسلة، فأخذه صاحبها معه، فتقدم الرجل إلى السلسلة وقال: اللهم إن كنت تعلم أن الوديعة التي كانت عندي قد دفعتها لصاحبها فقرب مني السلسلة، ومد يده فتناولها، فتعجب صاحبها من ذلك، فلما أصبح وجدوها رفعت وغابت عن أعين الناس إلى الآن.

وكان داود يتنكر ويمشي بين الناس ويسأل عن مشيه بالعدل في رعيته، فتمثل له جبريل في زي رجل، فسأله داود عن سيرته في رعيته، فقال له: نعم العبد داود، إلا أنه يأكل من بيت مال المسلمين، فقال: اللهم علمني صنعة أستغني بها عن الأكل منه. فعلمه الله صنعة الدروع، وألان له الحديد كالشمع، فصار يعمل في كل يوم درعًا، يبيعه بستة آلاف درهم، فينفق على نفسه وعياله منها، ويتصدق بما بقي على فقراء المسلمين، فهو أوّل من عمل الدروع ـ أي: الزرديات ـ وكانت قبله صفائح.

نفيسة: قال الغزالي في «الإحياء»: مظالم العباد لا بد من إظهارها والتمكين منها، وأما غيرها فيستحب سترها إلى أن تكفر كل معصية بمشاكلها، فيكفر النظر إلى ما لا يحل بالنظر إلى المصحف، وسماع الملاهي بسماع القرآن، والمكث في المسجد جنبًا بالاعتكاف فيه، وشرب الخمر بالتصدّق بشراب حلال، وإيذاء المؤمنين بالإحسان إليهم، والقتل بعتق الرقاب.

فائدة: قال بعضهم: إن في اليوم والليلة تسعين وقتًا يستجاب فيها الدعاء: عند الآذان، وعند الإقامة، وبعد الخروج من الخلاء، وبعد الوضوء، وبعد دخول المنزل، أو المسجد والخروج منه، وعند آمين، وعقب الفاتحة، وعند: سمع الله لمن حمده، وعند الرفع من الركوع، وفي السجود، وفي التشهد، وفي المسجد الحرام، ومسجد المدينة والأقصى. وقبل الظهر، وعند الزوال، وبين المغرب والعشاء، وعند ختم القرآن، وفي الطواف، ووقت جلوس الإمام على المنبر، وليلة القدر، وليلة الجمعة، ويوميها، ووقت السحر، وثلث الليل الأخير، وغير ذلك.

قال بعضهم: وأسباب عدم إجابة لدعاء عشرة أشياء: عدم أداء حقوق الله، وترك سنة رسول الله، وعدم العمل بالقرآن، وعدم شكر النعم، وموافقة إبليس في آمره ونهيه، وعدم العمل بما يوجب الجنة، والعمل بما يوجب النار، وعدم الاستعداد للموت، والاشتغال بعيوب الناس، وعدم الاعتبار بالموت.

الحكاية الرابعة بعد المائتين

في دعاء يخلص المسجون من السجن

«حُكِيَ» أن بعض الملوك غضب على فقير فسجنه في قبة، ولم يجعل لها بابًا، ومنع عنه الطعام والشراب، ثم بعد ثلاثة أيام أخبر الملك بأن الفقير قد خرج من القبة، وهو صحيح سليم، فأمر بإحضاره، فلما حضر بين يديه قال له: بالذي نجاك من هذه الشدّة، وفرَّج عنك هذه الكربة، وأخرجك من هذا الضيق، ما سبب خلاصك؟ فقال له الفقير: دعاء دعوت به، فقال له الملك: وما هو؟ فقال: هو: «اللهم إني أسألك يا لطيف، يا لطيف، يا لطيف، يا من وسع لطفه أهل السماوات والأرض، أسألك اللهم أن تلطف بي بلطفك الخفي ـ ثلاث مرات ـ الذي إذا لطفت به بأحد من عبادك كفى، فإنك قلت وقولك الحق: ﴿اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ....﴾ [الشورى:١٩] فأطلقه الملك وأحسن إليه.

«لطيفة»: لما هبط آدم عليه السلام بكى في البر والبحر، فدمعه في البر صار قرنفلاً، وفي البحر صار حيتانًا؛ لأنه هبط من باب التوبة، وبكت حوّاء في البر والبحر، فدمعها في البر صار منه الحناء، وفي البحر صار منه اللؤلؤ؛ لأنها هبطت من باب الرحمة، وبكت الحية في البر والبحر، فدمعها في البر صار عقربًا، وفي البحر صار سرطانًا؛ لأنها هبطت من باب السخط، وبكى الطاووس في البر والبحر، فدمعه في البر صار بقًا، وفي البحر صار علقًا؛ لأنه هبط من باب الغضب، وبكى إبليس في البر والبحر، فدمعه في البر صار شوكًا، وفي البحر صار تمساحًا؛ لأنه هبط من باب اللعنة، والله أعلم.

الحكاية الخامسة بعد المائتين

في ذكر من ترك الدين الحق لشهوة النفس، فرد عليه ما رغب فيه

«حكي» أن رجلاً من الفقراء دخل في بلاد الروم فرأى جارية حسناء، فافتتن بها، فخبطها، فأبوا أن يزوجوه بها حتى يتنصر، فأجابهم إلى ذلك، فأحضروا له القسيسين ونصّروه، فخرجت الجارية وبصقت في وجهه، وقالت: ويحك، تركت دين الحق لشهوة ساعة، فكيف لا أترك دين الباطل لنعيم الأبد، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

نفيسة: روي أنه كان في بني إسرائيل ملك، فوصف له عابد من العباد، فأرسل فأحضره، وراوده على صحبته ولزوم بابه، فقال له العابد: إن قولك هذا حسن، ولكن لو دخلت يومًا بيتك فرأيتني ألعب مع جاريتك ماذا كنت تفعل؟ فغضب الملك وقال له: يا فاجر، تجترئ عليّ بمثل هذا الكلام، فقال له العابد: إن لي ربًّا كريمًا لو رأى مني سبعين ذنبًا في اليوم، ما غضب علي، ولا طردني عن بابه، ولا أحرمني من رزقه، فكيف أفارق بابه وألزم باب من غضب علي قبل وقوع الذنب مني؟! فكيف لو رأيتني في المعصية؟! ثم تركه ومضى.

عجيبة: قال بعضهم: لما أكل آدم وحوّاء من الشجرة عوقبا بعشرة أشياء: **أولها:** عتاب الله لهما بقوله: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٢]. **الثاني:** سقوط لباس الجنة عنهما حتى بدت سوآتهما. **الثالث:** سلب النور عنهما. **الرابع:** إخراجهما من الجنة(١). **الخامس:** فراقه لحوّاء مائة سنة. **السادس:** العداوة لهما من إبليس. **السابع:** الندم منهما على المعصية. **الثامن:** تسليط إبليس على أولادهما. **التاسع:** جعل الدنيا سجنًا لمؤمنهم. **العاشر:** تعبهم في طلب القوت.

---

(١) إن الصحيح في إهباطه وسكناه في الأرض ما قد ظهر من الحكمة الأزلية في ذلك، وهي نشر نسلة فيها ليكلفهم ويمتحنهم ويرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الأخروي؛ إذ الجنة والنار ليستا بدار تكليف، فكانت تلك الأكلة سبب إهباطهما من الجنة، فأخرجهما؛ لأنهما خلقا منهما، وليكون آدم خليفة الله في الأرض، ولله أن يفعل ما يشاء، وقد قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] وهذه منقبة عظيمة وفضيلة كريمة شريفة. انتهى كلام القرطبي. فهبوطه من الجنة هبوط التشريف والامتحان والتمييز بين قبضتي السعادة والشقاوة؛ لأن ذلك من مقتضيات الخلافة الإلهية على ما في كشف الكنوز. انظر: تفسير حقي (١/ ١٣١).

ولما هبط إبليس من الجنة بأيلة وهي: البصرة، وقيل: بنيسابور، عوقب بعشرة أشياء: **الأول**: عزله عن ولايته؛ لأنه كان مقدام ملائكة السماوات والأرض، وخازنًا من خزنة الجنة. **الثاني**: تحريم الجنة عليه أبدًا. **الثالث**: مسخه فصار شيطانًا. **الرابع**: تغيير اسمه؛ لأنه كان عزازيل فغير إلى إبليس، و«الإبلاس»: اليأس من الرحمة. **الخامس**: جعله إمام الأشقياء. **السادس**: لعنه إلى يوم القيامة. **السابع**: سلب المعرفة منه فلم يبقَ عنده من تعظيم الله ذرة. **الثامن**: غلق باب التوبة عليه. **التاسع**: خلوه عن كل خير. **العاشر**: جعله خطيب أهل النار.

فائدة: روى صاحب الفردوس عن النبي ﷺ قال: إني لأجد في كتاب الله سورة، هي ثلاثون آية، من قرأها عند نومه كتب له بها ثلاثون حسنة، ومُحي عنه ثلاثون سيئة، ورفع له ثلاثون درجة، وبعث الله إليه ملكًا من الملائكة يبسط عليه جناحه، ويحفظه من كل شيء حتى يستيقظ، وهي المجادلة تجادل عن صاحبها في القبر، وهي: سورة: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**﴾ [الملك:١].

فائدة: من قرأ عند نومه على فراشه: ﴿**وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ**﴾ [البقرة:١٦٣] إلى: ﴿**يَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة:١٦٤] أمن من تفلت القرآن من صدره بفضل الله.

قاله الإمام علي ﷺ، وقيل: إنه حديث.

فائدة: روي أنه ﷺ قال: «**علمني جبريل دواء لا أحتاج معه إلى دواء ولا طبيب، فقال أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ﷺ: وما هو يا رسول الله؟ إنا بنا حاجة إلى هذا الدواء، فقال: يؤخذ شيء من ماء المطر، وتتلى عليه فاتحة الكتاب، وسورة الإخلاص، والفلق، والناس، وآية الكرسي، كل واحدة سبعين مرة، ويشرب غدوة وعشية سبعة أيام، فوالذي بعثني بالحق نبيًا لقد قال لي جبريل: إنه من شرب من هذا الماء رفع الله عن جسده كل داء، وعافاه من جميع الأمراض والأوجاع، ومن سقى منه امرأته ونام معها حملت بإذن الله تعالى، ويشفي العينين، ويزيل السحر، ويقطع البلغم، ويزيل وجع الصدر، والأسنان، والتخم، والعطش، وحصر البول، ولا يحتاج إلى حجامة، ولا يحصي ما فيه من المنافع إلا الله تعالى**» وله ترجمة كبيرة اختصرناها، والله تعالى أعلم.

فائدة: روى الخطيب البغدادي، وابن عساكر، عن عبيد بن محمد العبسي، قال:

سمعت الكناني يقول: مسكن النقباء بالمغرب، ومسكن النجباء بمصر وهم سبعون، والأبدال ثلاثمائة ومسكنهم الشام، ومسكن الغوث مكة والأوتاد أربعون، والأخيار سائحون في الأرض، والعمد في زوايا الأرض، فإذا عرضت لك حاجة في أمر مهم، فابتهل إلى الله بالنقباء، ثم النجباء، ثم الأبدال، ثم الأخيار، ثم العمد الأربعة، ثم قطب الغوث الفرد الجامع، فتقضى حتمًا.

فائدة: جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو إليه قلة ما في يده، فقال له: «**قل: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستغفر الله ـ مائة مرة ـ بين طلوع الشمس وصلاة الغداة، تأتيك الدنيا راغمة**»[1].

فائدة: من قال بعد صلاة الجمعة: «**يا غني، يا حميد، يا مبدئ، يا معيد، يا رحيم، يا ودود، أغنني بحلالك عن حرامك، واكفني بفضلك عمن سواك، قضى الله دينه، وأغناه عن خلقه**»، قال بعض العلماء: فإن واظب على ذلك بعد كل فريضة فلا تأتيه الجمعة الأخرى إلا وقد أغناه الله تعالى.

فائدة: في الحديث: «**ما أصاب عبدًا هم، أو غم، أو حزن، فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو نزلته في كتاب من كتبك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي، إلا أذهب الله همه وغمه، وأبدله مكانه فرحًا وسرورًا**»[2]، والله أعلم.

فائدة: عن رسول ﷺ قال: «**من قال ليلة الجمعة عشر مرات: يا دائم الفضل على البرية، يا باسط اليدين بالعطية، يا صاحب المواهب السنية، صل على محمد خير البرية، واغفر لي يا ذا العلى في هذه العشية، كتب الله له مائة ألف ألف حسنة، ومحا عن مائة ألف**

(١) ذكره العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٤٤٣).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٩/ ٤٣٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥/ ١٢٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٤٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٢٣).

ألف سيئة، ورفع له مائة ألف ألف درجة، وزاحم إبراهيم الخليل يوم القيامة في قبته»[١].

وعنه أيضًا: «من قرأ بعد صلاة الجمعة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] مائة مرة، وصلى على النبي ﷺ مائة مرة، وقال سبعين مرة: اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، واغنني بفضلك عمن سواك، لم تمر به جمعتان حتى يغنيه الله تعالى»[٢].

وفي رواية: «قضى الله له مائة حاجة، سبعين من حوائج الآخرة، وثلاثين من حوائج الدنيا»[٣].

ومن قال بعد الجمعة: سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة، غفر الله له مائة ألف ذنب، ولوالديه مائة ألف ذنب»[٤] والله أعلم.

فائدة: في الحديث: «من سره أن ينسأ له في عمره، وينصر على عدو، ويوسع عليه في رزقه، ويوقى ميتة السوء، فليقل مساءً وصباحًا: سبحان الله ملء الميزان، ومنتهى العلم، ومبلغ الرضا، وزنة العرش، والحمد لله ملء الميزان ... إلخ، ولا إله إلا الله ملء الميزان ... إلخ، والله أكبر ملء الميزان ... إلخ»[٥].

ومما ينفع من موت الفجأة، ويوسع الرزق، ويعتق من النار، ويحفظ الإيمان: أن يصلي أربع ركعات، يقرأ الفاتحة في كل ركعة وسورة، ويستغفر عقب القراءة مائة مرة، وفي كل من ركوعه وسجوده، واعتداله وجلوسه، بينهما خمسًا وعشرين مرة، ثم يتشهد ويسلم، ويدعو بما شاء، والله أعلم.

فائدة في دعاء آخر السنة في شهر ذي الحجة: من دعا سبع مرات بما يأتي غفر الله له

---

(١) انظر الصفوري في «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» (١/ ١١٧).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٥٣، رقم ١٣١٨)، والترمذى (٥/ ٥٦٠، رقم ٣٥٦٣) وقال: حسن غريب. والحاكم (١/ ٧٢١، رقم ١٩٧٣). مختصرًا.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» (٧/ ١٣١٨) بلفظ «من قال: بعد صلاة الجمعة وهو قاعد قبل أن يقوم من مجلسه: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده وأستغفر الله مائة مرة غفر الله له مائة ألف ذنب ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب».

(٥) ذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» (٢/ ٦٣٥).

ذنوب ما سلف فيها، فيقول الشيطان: يا ويلتاه، هدم ما مضى منه في ساعة واحدة، وهو هذا الدعاء: «**اللهم ما عملت من عمل في هذه السنة مما نهيتني عنه، ولم ترضه، ونسيته ولم تنسه، وحلمت عني بعد قدرتك على عقوبتي، ودعوتني إلى التوبة بعد جراءتي عليك، فاغفر لي يا غفور**».

وفي رواية: من صلى في آخر يوم من ذي الحجة قبل الزوال أربع ركعات، يقرأ في كل ركعة: «الفاتحة» سبعًا، و«سورة الإخلاص» عشرًا، و«الكوثر» عشرًا، ثم يسلم ويقول: «لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير»، ويقول ثلاثمائة وستين مرة: «أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه من جميع ذنوبي، وسيئات أعمالي» ثم يصلي على النبي ﷺ اثنتي عشرة مرة، ثم يقول: «اللهم اغفر لي» مائة مرة، ثم يسجد ويقول: «يا رب» سبعًا، فإذا فعل ذلك نادى ملك من السماء، **أبشر فقد غفر الله لك ما عملت في** هذه السنة من الذنوب.

«**وأما دعاء أول السنة**»: فيقول في أول يوم من المحرم: «**اللهم أنت الأبديّ القديم الحي، القيوم الكريم، الحنان، المنان، وهذه سنة جديدة أسألك فيها العصمة من الشيطان الرجيم وأوليائه، والعون على هذه النفس الأمَّارة بالسوء، والاشتغال بما يقربني إليك، يا ذا الجلال والإكرام**».

وفي رواية: من صلى في أول المحرم ركعتين يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة «سورة الإخلاص» ثلاثًا، ويقرأ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ....﴾ [آل عمران:١٧٣] ألف مرة، ثم يقول: «يا كافي موسى فرعون، ويا كافي محمد الأحزاب، اكفني ما أهمني مائة مرة» كفاه الله جميع الهموم في جميع السنة، ومن فعل هذا في حاجة مهمة قضيت بإذن الله تعالى.

فائدة: إذا كان لك حاجة عند بخيل شحيح، أو سلطان جائر، أو غريم فاحش، تخاف من فحشه، فقل هذا الدعاء: «اللهم أنت العزيز الكبير، وأنا عبدك الذليل الضعيف، الذي لا حول له ولا قوة إلا بك، اللهم سخر لي فلانًا كما سخرت فرعون لموسى، ولين لي قلبه كما لينت الحديد لداود، فإنه لا ينطق إلا بإذنك، ناصيته في قبضتك، وقلبه في يدك، جل ثناء وجهك، يا أرحم الرحمين».

فائدة: من ابتلي بوجع الأضراس فليواظب على ركعتين بعد المغرب يقرأ فيهما المعوّذتين، أو يقرأ في الأولى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [يس:٧٧] إلى آخر السورة، وفي الثانية: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ [الزلزلة:١] وله صلاتها أربع ركعات، ومثله أن يقرأ عليها: ﴿قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ﴾ [يس:٧٨] إلى آخر السورة، أو يقرأ: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا﴾ إلى قوله: ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج:٣٧] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أو يكتب على لقمة: ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ [يوسف:١٠٧] ويضعها فوق الضرس حتى تبتل، ثم يرميها لكلب.

فائدة: عن مقاتل بن سليمان قال: من صلى الصبح في وقته، ثم دعا بهذا الدعاء مائتي مرة قبل أن يتكلم ولم يستجب له، فليلعن مقاتلاً، وهو هذا: «اللهم يا حي يا قيوم، يا فرد يا وتر، يا صمد يا سند، من إليه استند، يا من لم يلد... إلخ، أسألك كذا وكذا» انتهى. ورأيت في نسخة أخرى معزوة للإمام الشافعي ﷺ أن من يقول مائة مرة: «بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يا قديم يا دائم، يا فرد يا وتر، يا أحد يا صمد، يا حي يا قيوم، ثم يسجد ويطلب حاجته، فتقضى».

وعن بعضهم أنه يزيد بعدها: يا ذا الجلال والإكرام، صلِّ على محمد وآله، ويذكر حاجته. «وفي نسخة أخرى» يقول مائة مرة: «بسم الله الرحمن الرحيم، ما شاء الله كان، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم يا قديم، يا وفي يا خفي، يا قائم يا دائم، يا فرد يا وتر، يا أحد يا صمد، يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث». «وفي نسخة» أنه يقول هذا ثلاثة أيام.

فائدة: يقال عند القراءة في الدرس: «اللهم ألهمني علمًا أفقه به أوامرك ونواهيك، وارزقني فهمًا أعلم به كيف أناجيك، يا أرحم الراحمين، اللهم ارزقني فهم النبيين، وحفظ المرسلين، وإلهام الملائكة المقربين، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم أكرمني بنور الفهم، وأخرجني من ظلمات الوهم، وافتح لي أبواب رحمتك، وانشر عليّ من خزائن علمك، يا أرحم الراحمين».

ومن كلام الخضر أو غيره أبيات ينتفع بها قائلها أو حاملها:

سـألتك بـالحواميم[1] العظيمـة وبالسبع المطوّلـة القديمـة
وبـالآمين والفـرد المبـدأ بـه قبـل الحـروف المستقيمة
وبالقطـب الكبـير وصـاحبيه وبـالأرض المقدسـة الكريمـة
وبالقـصر الـذي عكفـت عليـه وفيـه طيـور أصـحاب العزيمـة
وبالمبـسوط في رقٍّ المعـاني وبالمنـشور في أهـل الوليمـة
وبـالكهف الـذي قـد حـل فيـه أبـو فتياتهـا وأبـو رقيمـة
تقينـي في فـؤادي كـل خـب يـروي في مارجهـا صـميمة

فائدة:

إذا أردت طـول شيء عـالي كالنخـل والبنيـان والجبـال
فـانظر إلى ظلـك بالأقـدام فإنـه أصـل عـلى الـدوام
فـإن تجـد ظلـك طـول القامـة سـتة أقـدام فخـذ قوامـه
فكـل شيء قـد أردت ظلـه في وقتـك الحـاضر كـان مثلـه
فـإن حـسبت ظلَّـه بـالأذرع فـذاك طـول ظلـك المرتفـع
وإن وجـدت الظـل في المـيراث أوفى مـن القامـة في البيـان
فالقـدم الواحـد سـدس القامـة وظلـه لـسدسه علامـة
وهكـذا تفعـل في نـصف قـدم أو قـدمين فـاعتبره كـالعلم
وإن تجـد ظلـك قـامتين فالظـل مـثلاه بغـير مـين
ثـم القيـاس بالقريـب الـسهل قـرب الـزوال لانتقـاص الظـل

---

(١) قد كره بعض السلف، منهم محمد بن سيرين أن يقال: الحواميم، وإنما يقال: آل حم. قال عبد الله بن مسعود: آل حم ديباج القرآن. وقال ابن عباس: إن لكل شيء لبابًا ولُبَاب القرآن آل حم، أو قال: الحواميم. قال مِسْعَر بن كِدَام: كان يقال لهن: العرائس. تفسير ابن كثير (٧/ ٠).

مسألة: إن كان الظل قدمًا فظل كل شيء سدسه، فإن كان الظل عشرة أذرع فطوله ستون ذراعًا، أو عشرين فطوله مائة وعشرون ذراعًا، وهكذا.

فائدة: لدفع البراغيث تقول: «أيتها البراغيث السود، إنكم فرقة من الجنود، من عهد عاد وثمود، أقسمت عليكم بالواحد المعبود، تكونون عن جلدي بعود، أرسلت عليكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، ولكم علي من العهود، ألّا أقتل منكم والدًا ولا مولود، انفروا فورًا عجلاً ـ مرتين ـ بارك الله فيكم».

فائدة: حجَّ رسول الله ﷺ قبل الهجرة حجة واحدة، وحج بعدها حجة واحدة أيضا، وهي: حجة الوداع، واعتمر أربع عمرات: واحدة في سنة ست من الهجرة صد فيها، وعمرة في عام سبع قضاء لها، وعمرة في عام فتح مكة، وعمرة عند رجوعه من الطائف. وحج أبو بكر واعتمر، وحج عمر أميرًا في أول خلافته، وحج معه في آخر خلافته زوجاته، واعتمر في خلافته أيضًا ثلاث عمرات، وحج عثمان واعتمر، وأمّا علي فلم يعلم عدد حجاته ولا عمراته.

وذكر في بعض الأخبار أنه سئل بعض الشيوخ في المغرب أن رجلاً قتله بنو كنانة، وأضرموا عليه النار، فلم تعمل فيه، فقال: لعله حج ثلاث حجات، فقالوا: نعم، فقال: هو من مصداق حديث: «**إن من حج فقد أدى فرضه، ومن حج حجتين فقد داين ربه، ومن حج ثلاثًا حرَّم الله شعره وبشره على النار**»(١).

الحكاية السادسة بعد المائتين

في ذكر ما وقع لأبي حنيفة في دخول الحمام

«**لطيفة**»: روي أن الإمام أبا حنيفة ﷺ دخل الحمام، فرأى إنسانًا مكشوف العورة، فأغمض أبو حنيفة بصره فداسه، فقال لأبي حنيفة: متى أخذ الله بصرك؟ فقال أبو حنيفة: من حين كشف الله الستر عنك، وتركه ومضى.

ظريفة: سئل الإمام علي ﷺ عن أسنان بني آدم، فقال: يقال للمرء صبي إلى اثنتي عشرة سنة، ثم غلام إلى أربع وعشرين سنة، ثم حدث إلى ست وثلاثين سنة، ثم شاب إلى

(١) انظر: «نهاية الأرب في فنون الأدب» (١/ ٨٣).

ثمان وأربعين، ثم كهل إلى ستين، ثم شيخ إلى ثمانين، ثم بعد ذلك هرم وخرف.

فائدة: في ذكر سكان طبقات الأرض والسماء، نقل السدي عن أشياخه أن سكان الطبقة الأولى من الأرض: الإنس، والثانية: الريح العقيم، والثالثة: حجارة جهنم التي توقد بها، والرابعة: كبريت جهنم، والخامسة: حيات جهنم، والسادسة: عقارب جهنم، وهي كالبغال وأذنابها كالرماح، والسابعة: إبليس وجنوده، وما قيل: إن في كل أرض آدم لم يثبت في خبر ولا أثر، ولا ما يستأنس به، وإن ذكر عن بعض الصوفية.

والذين ملكوا جميع الأرض أربعة ملوك: مؤمنان: ذو القرنين وسليمان، وكافران: نمروذ وشداد بن عاد، وما قيل أنهم ثمانية: ثلاثة من الجن، وخمسة من الإنس، فزاد في الإنس: بختنصر، وثلاثة الجن: شمهورش، وكمورث، وراسخ، فلا دليل عليه في شيء مما مر.

وأما السماء، فسكان السماء الأولى على صورة البقر، ويقال لهم: الحفظة، وهم جند إسماعيل صاحبها، والثانية: صاحبها دردبائيل، وجنده فيها على صورة الخيل، وتسبيحهم كالرعد القاصف، يخرج من أفواههم النور اللامع، والثالثة: صاحبها جنحيائيل، وسكانها جنده على صورة الطيور على سائر الألوان، لكل واحد منهم سبعون جناحًا، والرابعة: صاحبها صلصيائيل، وسكانها جنده على صورة العقبان، لكل واحد منهم ألف جناح، والخامسة: صاحبها سمخيائيل، وسكانها جنده على صورة الولدان، لكل واحد منهم سبعوه ألف لغة، والسادسة: صاحبها صوريائيل، وسكانها جنده على صور الحور العين، يخرج من تسبيحهم المسك الأذفر، والسابعة: صاحبها بيخائيل، وسكانها جنده على صورة بني آدم، يستغفرون لهم، ويبكون على من يموت منهم، والله أعلم.

الحكاية السابعة بعد المائتين

في ذكر من ادَّعى النبوة في زمن المأمون

«**عجيبة**»: روي أن شخصًا ادعى النبوة في زمن المأمون، فبلغه خبره، فأحضره عنده ثم سأله: ما علامة نبوتك؟ فقال له: علمي بما في نفسك، فقال له: وما في نفسي؟ فقال: تقول إني كاذب، فحبسه مدة ثم أحضره وقال له: هل أوحي إليك بشيء؟ قال: لا، قال: ولم ذلك؟ قال: لأن الملائكة لا تدخل الحبس، فضحك منه وأطلقه.

وادَّعى آخر النبوة في زمنه أيضًا فأحضره وأمر ثمامة[1] أن يسأله ما علامة نبوته؟ فسأله عنها، فقال: علامة نبوتي أن أضاجع امرأتك بحضرتك، فتلد ولدًا يشهد في وقت ولادته أني نبي، فقال له ثمامة: أما أنا فأشهد أنك نبي، فقال له المأمون: ما أسرع ما آمنت به؟! فقال: ما أهون عليك ما يفعل في امرأتي وأنا أنظر إليه، فضحك المأمون وطرده.

الحكاية الثامنة بعد المائتين

في ذكر الخدم التي تخرج للسلطان الكامل من الشمعدان

«نكتة»: قيل: إن السلطان الكامل كان عنده شمعدان فيه أبواب، فكلما مضت ساعة يخرج من باب منها شخص يقف في خدمته إلى مضي الساعة، وهكذا إلى تمام الأبواب، اثنتي عشرة ساعة، فإذا تمَّ الليل خرج شخص فوق الشمعدان ويقول: أصبح السلطان، فيعلم أن الفجر قد طلع فيتأهب للصلاة، والله أعلم.

الحكاية التاسعة بعد المائتين

في ذكر الكوز الذي عمل للسطان المؤيد

قيل: عمل إنسان للسلطان المؤيد كوزًا كلما شرب وفرغ يسمع منه صوتًا يقول للشارب: صحة وعافية.

الحكاية العاشرة بعد المائتين

في ذكر ما وقع ليحيى بن خالد البرمكي

«ظريفة»: روي أن إنسانًا رفع قصة إلى يحيى بن خالد البرمكي يقول فيها: إن رجلاً تاجرًا غريبًا قد مات، وخلف جارية حسناء، وولدًا رضيعًا، ومالاً كثيرًا، والوزير أحق بذلك، فكتب يحيى على القصة: أما الرجل فيرحمه الله، وأما الجارية فصانها الله، وأما الولد فرعاه الله، وأما المال فأحرزه الله، وأما الساعي إلينا بذلك فعليه لعنة الله.

---

(١) ثمامة بن أشرس النميري، أبو معن، (٢١٣هـ) من كبار المعتزلة، وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين، كان له اتصال بالرشيد ثم بالمأمون، وكان ذا نوادر وملح، من تلاميذه الجاحظ، وأراد المأمون أن يستوزره فاستعفاه، وعده المقريزي في رؤساء الفرق الهالكة، وأتباعه يسمون «الثمامية» نسبة إليه. الأعلام للزركلي (٢/ ١٠٠).

الحكاية الحادية عشرة بعد المائتين
في ذكر شرف الإسلام

«حكي» أن إبراهيم الآجري كان يوقد النار في أتون الآجر، وكان ليهودي عليه دين، فجاءه يطالبه، فقال له إبراهيم: أسلم فلا تدخل النار، فقال اليهودي: أنا وأنت لابد أن ندخلها؛ لأنكم تقرءون في كتابكم: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٧١] فإن أحببت أن أسلم فأرني شيئًا أعرف به شرف الإسلام، فقال إبراهيم: هات رداءك، فأخذه منه، ولفَّه في رداء نفسه، وألقى الرداءين في الأتون وهو يتأجج بالنار، ثم بعد ساعة دخل إبراهيم الأتون وهو يتأجج وأخرج الرداءين، فإذا رداء اليهودي قد احترق ورداء إبراهيم لم يحترق، فقال إبراهيم: هكذا يكون دخولنا في النار، أنت تحترق وأنا أسلم، فأسلم اليهودي وحسن إسلامه.

نادرة: روي أن سليمان عليه السلام كان يعمل القفاف ويبيعها، وينفق على نفسه وعياله من ثمنها، فقال له جبريل: إن الله يأمرك أن تمضي إلى مكان كذا، ففيه امرأة صالحة ولها بنات، فادفع لها قوتًا وكسوة وما تحتاج إليه، فقال سليمان: يا جبريل، إن الله يعلم أني فقير لا أملك من الدنيا شيئًا، فأوحى الله إليه أن اطلب من الدنيا ما شئت، فلما جاءه الإذن في الطلب طلب ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فلما اتسعت عليه الدنيا نسي تلك المرأة مدة، ثم تذكرها، فذهب إليها ماشيًا فلما طرق بابها، خرجت له بنتًا من بناتها فأذنت له في الدخول، فدخل فرأى امرأة عمياء جالسة في بيت مظلم، فقالت له: يا سليمان، يوصيك ربك عليّ وتنساني مدة طويلة بالدنيا، فاعتذر إليها، وأجرى لها ما يكفيها. انتهى.

ظريفة: روي أن زاهدًا شمَّ رائحة طعام فاشتهاه، فمشى خلف حامله إلى السوق، فسمع قائلا ينادي: إن البطاط قد سرق من جيب فلان دراهم، فنظروا فرأوا الزاهد رجلاً غريبًا، فحمله الوالي إلى السجن، وكان الطعام المذكور محمولاً إلى السجن لبعض الأكابر، فلما وضع بين يديه قال للزاهد: كل معنا، فأكل معه حتى شبع، ثم قال: إلهي، كنت قادرًا على أن تطعمني هذا الطعام من غير تهمة السرقة، فسمع هاتفًا يقول: من طلب الجيف فليصبر على عضِّ الكلاب، وإذا شخص يقول: قد وجدنا اللصَّ الذي أخذ الدراهم، فأطلقوا الرجل الغريب، فأطلقوه رضي الله عنه.

فائدة: قال القرطبي: المعقبات عشرون ملكًا، مع كل آدمي يحفظونه بإذن الله تعالى، وما من زرع على الأرض، ولا ثمار على الأشجار، ولا حبة في ظلمات الأرض إلا عليها باسم الله الرحمن الرحيم، هذا رزق فلان بن فلان، والله ﷻ أعلم.

الحكاية الثانية عشر بعد المائتين

في حُسن التوكل على الله والرضا بقدره

«**حكي**» أن ملكين نزلا من السماء أحدهما في المشرق، والآخر في المغرب، ثم رجعا فالتقيا في السماء، فقال أحدهما لصاحبه: أين كنت؟ قال: كنت في المشرق، أرسلني ربي إلى كنز رجل فخسفت به الأرض، وقال الآخر: وأنا أرسلني ربي أن آخذ الكنز فأضعه في دار رجل بالمغرب، ليس له درهم ولا دينار، فسمعه رضوان خازن الجنة، فقال لهما: قصتي أعجب من قصتكما، أمرني ربي أن أذهب إلى دار الفقير وأعد الكنز كم هو درهمًا ودينارًا ففعلت، ثم أمرني ربي أن ابني قصورًا في الجنة بعدد كل درهم ودينار للفقير وصاحب الكنز، فقال الملكان: ربنا أطلعنا على هذه الكرامة التي أكرمت بها صاحب الكنز والفقير، فقال سبحانه: أما صاحب الكنز لما خسف بكنزه قال: الحمد لله الذي جعلني راضيًا بقدره، وأما الفقير: فلم يفرح بالكنز، وقال: الحمد لله الذي في خزائنه ما لا يحوجني إلى غيره، والله أعلم.

فائدة: قد تعوذ ﷺ من جهد البلاء[1] واختلف في معناه، فقال عمر ﷺ: هو قلة المال، وكثرة العيال، وقال غيره: هو الجار السوء، والرسول البطيء، والمرأة المخاصمة، والحطب الرطب، والسراج المظلم، والبيت الذي يداف بالمطر، وانتظار غائب على مائدة حضرت، وهرة تعوي، وقيل غير ذلك.

---

(١) بِفَتْحِ الْجِيم هِيَ: الْحَالَة الَّتِي يَخْتَار عَلَيْهِ الْمَوْت، وَقِيلَ: هُوَ قِلَّة الْمَال وَكَثْرَة الْعِيَال. قَالَ الْكَرْمَانِيُّ: إِنَّمَا دَعَا ﷺ بِذَلِكَ تَعْلِيمًا لِأُمَّتِهِ، وَهَذِهِ كَلِمَة جَامِعَة؛ لِأَنَّ الْمَكْرُوه إِمَّا أَنْ يُلَاحَظ مِنْ جِهَة الْمَبْدَأ وَهُوَ سُوء الْقَضَاء أَوْ مِنْ جِهَة الْمَعَاد وَهُوَ دَرَك الشَّقَاء أَوْ مِنْ جِهَة الْمَعَاش، وَذَلِكَ إِمَّا مِنْ جِهَة غَيْره وَهُوَ شَمَاتَة الْأَعْدَاء أَوْ مِنْ جِهَة نَفْسه وَهُوَ جَهْد الْبَلَاء نَعُوذ بِاَللَّهِ مِنْ ذَلِكَ. شرح سنن النسائي (٧/ ١٥٩).

الحكاية الثالثة عشرة بعد المائتين

في فضل الأمانة وتعريف اللقطة(١)

«حكي» أن رجلاً كان فقيرًا وله زوجة صالحة فقالت له: ليس عندنا قوت، فخرج إلى الحرم، فرأى كيسًا فيه ألف دينار ففرح به، وجاء إليها، فقالت له: إن لقطة الحرم لابد فيها من التعريف، فخرج إلى الحرم؛ ليعرف عنها، فسمع مناديًا يقول: من وجد كيسا فيه ألف دينار؟ فقال: أنا وجدته، فقال: هو لك، ومعه تسعة آلاف أخرى، فقال له: أتهزأ بي يا هذا، قال: لا والله، ولكن أعطاني رجل من أهل العراق عشرة آلاف دينار وقال لي: اجعل منها ألفًا في كيس وارمه في الحرم، ثم ناد عليه، فإن جاءك الذي أخذه فأعطه البقية، فإنه أمين، والأمين يأكل ويتصدق.

عجيبة: قال ﷺ: «**حبب إلي من دنياكم ثلاث: النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة**»(٢). **وقال له أبو بكر** ﷺ: وأنا حبب إلي ثلاث: النظر إليك، والجلوس بين يديك، وإنفاق مالي عليك. **وقال عمر** ﷺ: وأنا حبب إلي ثلاث: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقول الحق وإن كان مرًّا. **وقال عثمان** ﷺ: وأنا حبب إلي ثلاث: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام. **وقال علي** ﷺ: وأنا حبب إلي ثلاث: الضرب بالسيف، وإقراء الضيف، والصوم في الصيف، **فنزل جبريل وقال**: وأنا حبب إلي ثلاث: أداء الأمانة، وتبليغ الرسالة، وحب المساكين، ثم قال: **وإن الله تعالى يقول**: وأنا حبب إلي ثلاث: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وبدن على البلاء صابر.

فلما بلغ ذلك أبا حنيفة قال أيضًا: وأنا حبب إلي ثلاث: تحصيل العلم في طول الليالي، وترك التعاظم والتعالي، وقلب من أمور الدنيا خالي، **فلما بلغ ذلك الإمام مالكًا قال**: وأنا حبب إلي ثلاث: مجاورة الرسول في روضته، وملازمة تربته وحجرته، وتعظيم أهل بيته وعترته، **فلما بلغ ذلك الإمام الشافعي قال**: وأنا حبب إلي ثلاث: عشرة الناس بالتلطف، وترك ما يؤدي إلى التكلف، والاقتداء بطريق التصوف، **فلما بلغ ذلك الإمام**

---

(١) قالَ اللَّيْثُ: اللُّقَطَةُ بِتَسْكِينِ القافِ: اسمُ الذِي تَجِدُه مُلْقًى فتَأْخُذُه. تاج العروس (١/ ٤٩٨٩).

(٢) رواه النسائي في «سننه» (٧/ ٧٢)، وأحمد في «مسنده» (٢٩/ ٤٣٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦/ ٢٣٧).

أحمد بن حنبل قال: وأنا حبب إلي ثلاث: متابعة النبي ﷺ في أخباره، والتبرك بعظيم أنواره، وسلوك الأدب في سنته وآثاره، والله أعلم.

الحكاية الرابعة عشر بعد المائتين

في حسن التحيل

«**حكي**» أن بعد الصالحين كان غيورًا، وله زوجة جميلة، وعنده درة تتكلم، وأراد أن يسافر فأمر الدرة أن تخبره بما يقع لزوجته في غيبته، وكان لزوجته صديق يأتي لها في كل يوم، فلما جاء من سفره أخبرته الدرة بذلك، فضرب زوجته ضربًا شديدًا، فعرفت أن ذلك من الدرة، فأمرت المرأة جاريتها أن تطحن ليلاً على السطح، ووضعت على قفص الدرة باريه، ورشت عليها الماء، وأخذت تلوح في ضوء السراج بمرآة، فيقع شعاعها على الحيطان، فظنت الدرة أن الصوت من الرعد، وأن الماء من المطر، وأن اللمعان من البرق، فلما طلع النهار قالت الدرة للرجل: كيف حالك الليلة يا سيدي في هذا الرعد والمطر والبرق؟ فقال: كيف ذلك ونحن في أيام الصيف؟ فقالت له الزوجة: انظر إلى كذبها، وإنها قد كذبت فيما ذكرته عني، فصالحها ورضي عليها، وقال للدرة: كيف تفترين الكذب؟ فضربت بمنقارها في بدنها حتى أدمته، ثم طلبت البيع، فباعها بإذن الزوجة؛ لأجل راحتها منها، والله أعلم.

حكمة: قيل: سبب عدم دخول الملائكة بيتًا فيه كلبًا أو صورة، ما قيل: إن الكلب خلق من ريق إبليس؛ لأنه بصق على آدم وهو طين، فكشطته الملائكة فصار موضعه السرة، وخلقت الكلاب من ذلك الطين الذي بصق عليه إبليس، والملائكة والشياطين لا يجتمعان، وأمَّا الصورة: فإنها شبيهة بخلق الله تعالى، وقد لعن ﷺ المصورين، والله أعلم.

فائدة: قال بعضهم: في الكلب خصال حسنة لو كانت في بني آدم لبلغ أعلى الدرجات: كثرة الجوع كالصالحين، وليس له مكان معروف كالمتوكلين، ولا ينام إلا قليلاً من الليل كالمحبين، وليس له مال كالزاهدين، ولا يترك صاحبه وإن جافاه كالمريدين، ويرضى بأي موضع من الأرض كالمتواضعين، وينصرف من مكان طرد منه إلى غيره كالراضين، وإذا ضرب وطرح له شيئًا عاد إليه وأخذه من غير حقد كالخاشعين.

فائدة: نسج العنكبوت على أربعة: على النبي ﷺ في الغار مع أبي بكر، وعلى عبد الله

ابن أنيس[1] لما أرسله النبي ﷺ لقتل كافر فقتله، وأخذ رأسه فجاء الطلب خلفه فدخل غارًا فنسج عليه فلم يروه، وعلى زين العابدين بن الحسين حين صلب مجردًا، وعلى داود ﷺ لما طلبه طالوت، والله أعلم.

الحكاية الخامسة عشرة بعد المائتين

في حسن الشفقة على خلق الله تعالى

«نادرة»: قيل: إن موسى ﷺ قال: يا رب أوصني، قال: كن مشفقًا على خلقي، قال: نعم، فأراد الله أن يظهر شفقته للملائكة، فأرسل ميكائيل في صورة عصفور صغير، وجبريل في صفة شاهين[2] يطرده، فجاء العصفور إلى موسى وقال: أجرني من الشاهين، فقال: نعم، فجاء الشاهين وقال: يا موسى، هرب مني طير، وأنا جائع، فقال: أنا أسد جوعتك بلحمي، فقال: لا آكل إلا من فخذك، قال: نعم، قال: لا آكل إلا من عضدك، قال: نعم، قال: لا آكل إلا من عينيك، قال: نعم، قال: لله درك يا كليم الله، أنا جبريل، والطير ميكائيل، وقد أرسلنا الله إليك؛ ليظهر شفقتك للملائكة ردًّا عليهم بقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا...﴾ [البقرة:٣٠].

نكتة: قيل: سمع الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ رجلاً على كرسي يقول: سلوني عما دون العرش، فقال له الحسين: يا هذا شعر لحيتك زوج أو فرد؟ فسكت متحيرًا، ثم قال: أخبرني يا ابن بنت رسول الله ﷺ، فقال: هو زوج؛ لقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات:٤٩].

قال وهب بن منبه: من سرح لحيته بلا ماء زاد همه، ومن سرحها بالماء نقص همه،

---

(١) هو عبد الله بن أنيس، أبو يحيى، من بني وبرة، من قضاعة، ويعرف بالجهني وليس بجهني (٥٤هـ) صحابي من القادة الشجعان، من أهل المدينة، كان حليفًا لبني سلمة من الأنصار، ويقال له: الجهني والقضاعي والأنصاري والسلمي ـ بفتحتين ـ صلى إلى القبلتين وشهد العقبة، وقاد بعض السرايا في العصر النبوي، ورحل بعد ذلك إلى مصر وإفريقية، وتوفي بالشام، وله أخبار من أعجبها حكاية قتله لسفيان بن خالد بن نبيح الهذلي، أوردها المقريزي في إمتاع الأسماع. الأعلام للزركلي (٤/ ٧٣).

(٢) الشاهين: أهمله الجوهري، وهو طائر معروف من سباع الطير، وليس بعربي محض. تاج العروس (١/ ٨٠٨٨).

ومن سرحها يوم الأحد زاده الله نشاطًا، ويوم الإثنين قضيت حوائجه، ويوم الثلاثاء زاده الله رجاء، ويوم الأربعاء زاده الله نعمة، ويوم الخميس زاد الله في حسناته، ويوم الجمعة زاده الله سرورًا، ويوم السبت طهر الله قلبه من المنكرات، ومن سرحها قائمًا ركبه الدين، وجالسًا قضي دينه بإذن الله تعالى.

فائدة: سئل بعضهم: ما أفضل ما أعطي الرجل؟ قال: عقل كامل، قيل: فإن لم يكن، قال: فأدب حسن، قيل: فإن لم يكن، قال: فصمت طويل، قيل: فإن لم يكن، قال: فأخ صالح يستشيره، قيل: فإن لم يكن، قال: فموت عاجل، ولذلك قيل: الناس ثلاثة: رجل وهو العاقل، ونصف رجل وهو من لا عقل له ولكن يستشير غيره، ورجل لا شيء وهو من لا عقل له ولا يستشير غيره.

ومن ذلك ما قيل: إن ملكًا أرسل خلف حجامًا يفصده، فلقيه ابن عم الملك فقال له: افصده في موضع يكون فيه هلاكه ولك عليّ ألف دينار، فلما جاء عند الملك تفكر في عاقبة أمره بواسطة عقله، فراءه الملك متفكرًا، فسأله فأخبره بالقصة، فأعطاه عشرة آلاف دينار، وضرب عنق ابن عمه؛ لعدم عقله وعدم مشاورته.

ولما هبط آدم جاءه جبريل بالعقل والمروءة والدين، وقال له: ربك يقول لك: اختر أيًا شئت، فاختار العقل، فقال جبريل: للمروءة والدين اصعدا، فقالا له: إن الله أمرنا ألّا نفارق العقل.

فائدة: قال بعضهم: في الصمت سبع آلاف خير، وقد جمعت في سبع كلمات، **أولها:** إنه عبادة من غير تعب. **ثانيها:** إنه زينة من غير حلي. **ثالثها:** إنه هيبة من غير سلطان. **رابعها:** إنه حصن من غير حائط. **خامسها:** إن فيه غنى عن الاعتذار من فضول الكلام. **سادسها:** إنه راحة للكرام الكاتبين. **سابعها:** أن فيه سترًا للعيوب الحاصلة من فضول الكلام التي يعرف بها الجاهل.

وللجهل خصال ست: **أحدها:** الغضب من غير شيء. **ثانيها:** الكلام من غير نفع. **ثالثها:** العطية في غير موضعها. **رابعها:** إفشاء السر عند كل أحد. **خامسها:** الثقة بكل أحد. **سادسها:** عدم معرفة صديقه من عدوه.

الحكاية السادسة عشر بعد المائتين

في ذكر ذم النميمة(١)

«**لطيفة**»: روي أن موسى ﷺ خرج في بني إسرائيل يستسقون ثلاث مرات، فلم يسقوا، فقال: يا رب، إن عبادك استسقوا ثلاث مرات فلم تسقهم، فأوحى الله إليه: يا موسى إن فيهم نمَّامًا، وهو مصر على النميمة، فقال: يا رب، من هو حتى نخرجه من بيننا؟ فأوحى إليه: يا موسى، أنهى عن النميمة وأكون نمامًا؟! فتابوا جميعًا، فسقاهم الله تعالى.

ظريفة: ذكر أن نوحًا عليه السلام أمر أهل السفينة ألَّا يقرب ذكر من أنثى، فخالف الكلب، فأخبرت الهرة نوحًا بذلك فأحضره، فحلف بأنه لم يفعل، ثم عاد ثانيًا، فسألت الهرة ربها أن يمسك عليه حتى يراه نوح، فاستمر ذلك فيه عقوبة له حتى تقوم القيامة.

وروي: إن العنز امتنعت عن دخول السفينة فأمسكها جبريل بذنبها، فاستمر ذنبها مرفوعا إلى يوم القيامة.

فائدة: اختلف في حد الكبائر فقيل: ما يوجب الحد؟ وقيل: ما لحق صاحبها وعيد شديد، وقيل غير ذلك، وجمعها أبو طالب المكي فقال: منها أربع في القلب: الشرك بالله، والإصرار على المعصية، واليأس من رحمة الله والأمن من مكره، **وثلاثة في البطن**: شرب الخمر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم.

واثنتان في الفرج: **الزنا واللواط، واثنتان في اليد**: **السرقة والقتل، وواحدة في الرجل**: **وهي الفرار من الزحف، وأربع في اللسان**: **شهادة الزور، وقصف المحصنات، والسحر، واليمين الغموس، وواحدة في جميع البدن**: **وهي**: **عقوق الوالدين**. زاد في «الروضة»: الكذب الذي فيه ضرر، وامتناع المرأة من زوجها، وزيد أيضًا: النميمة والغيبة في أهل الصلاح.

فائدة: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: الظلمات خمس، وسراجها كذلك: الذنوب ظلمة

---

(١) نَمَّ الرَّجُلُ الحَدِيثَ نَمًّا مِنْ بَابَيْ قَتَلَ وَضَرَبَ: سَعَى بِهِ لِيُوقِعَ فِتْنَةً أَوْ وَحْشَةً، فَالرَّجُلُ نَمٌّ تَسْمِيَةٌ بِالْمَصْدَرِ، وَنَمَّامٌ مُبَالَغَةٌ، وَالِاسْمُ النَّمِيمَةُ وَالنَّمِيمُ أَيْضًا. [المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٩/٤٩٧)].

وسراجها التوبة، والقبر ظلمة وسراجه الصلاة، والميزان ظلمة وسراجه التوحيد، والقيامة ظلمة وسراجها العمل الصالح، والصراط ظلمة وسراجه اليقين، والله أعلم.

عجيبة: روي أن شريكًا العمري ذهب إلى جبِّ سليمان الذي في بيت المقدس؛ ليستقي منه، فانقطع الدلو، فنزل الجب؛ ليخرجه منه، فرأى بابًا مفتوحًا إلى جنان، وفي رواية: وإذا هو برجل فأخذ بيده وأدخله إلى الجنان، فمشى فيها وأخذ ورقات من شجرة فيها، وعاد إلى الجب، وطلع منه بها، فأخبر صاحب بيت المقدس بذلك، فأرسل معه ناسًا؛ لينظروا تلك الجنان، فلم يجدوا بابًا ولا رأوا جنانًا، فأرسل إلى الإمام عمر بن الخطاب ﷺ يخبره بذلك، فأرسل يقول له: إنه لصادق، فقد ورد في الحديث: «**إن رجلاً من هذه الأمة يدخل الجنة وهو حي بينكم**»[1] ثم قال عمر ﷺ: انظروا إلى الورقات، فإن تغيرت فليست من ورق الجنة، فإن ورقها لا يتغير، فنظروا فإذا هي لم تتغير، قال ناس: فكنا نأتي شريك بن حباسة فنسأله، فيخبرنا بدخوله وما رأى، وبأخذ الورقات، وأخبر أنه لم يبقَ معه إلا ورقة واحدة وضعها بين أوراق مصحفه ذخيرة، فنسأله أن يريها لنا، فيدعو بمصحفه فيخرجها من بين أوراقه، ويقبلها ويضعها على عينيه، ثم يدفعها لنا فنفعل كذلك، ثم نردها له، فيضعها في المصحف مكانها، ولما احتضر أوصى أن يجعلوها بين كفنه وصدره، ففعلوا ذلك، قالوا: وصفتها: كورق الدراقف بمنزلة الكف.

فائدة: روي في الحديث: «**إن الله اختار من المدائن أربعًا: مكة وتسمى: البلد. والمدينة وتسمى: النخلة، وبيت المقدس ويسمى: الزيتونة، ودمشق وتسمى: التينة، واختار من الثغور أربعة: إسكندرية مصر، وقزوين خرسان، وعبادان العراق، وعسقلان الشام، واختار من العيون أربعًا: عينان تجريان وهما: عين بيسان، وعين سلوان، وعينان نضاختان وهما: عين زمزم وعين عكة، واختار من الأنهار أربعة: سيحان، وجيحان، والفرات، ونيل مصر**»[2].

---

(١) ذكره ابن حجر في «الإصابة في معرفة الصحابة» (٢/ ٢٦) بلفظ «وفيه أن عمر أرسل إلى كعب فقال: هل تجد في الكتاب أن رجلاً من هذه الأمة يدخل الجنة في الدنيا؟ قال: نعم وإن كان في القوم نبأتك به، قال: فهو في القوم فتأملهم».

(٢) ذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٦٤).

فائدة: من خاف من شرب الماء ليلاً فليقل: أيها الماء إن ماء بيت المقدس يقرئك السلام فلا يضره.

فائدة: عن علي ﷺ قال: لما أراد الله خلق الأرض بعث ريحًا إلى الماء فمسحه، فظهر عليه زبدة، فقسمها أربعة أقسام، فخلق مكة من قسم، والمدينة من قسم، وبيت المقدس من قسم، والكوفة من قسم، هكذا قيل، فلينظر من محله.

فائدة في فضائل بيت المقدس: قد التقطتها من أماكن متعددة، فقد بشّر فيه زكريا بيحيى، وإبراهيم وسارة بإسحاق ويعقوب، ومريم باصطفائها على نساء العالمين، وبحملها بعيسى وولادته وإنبات نخلتها وحملها بالرطب، وكلامه في المهد وإعطائه النبوّة والحكم صبيًا، وإحيائه الموتى، وفعله العجائب، ونفخه في الطير، ونزول المائدة عليه، وتأييده بروح القدس، ونداء جدته لأمه، ورفعه إلى السماء، ونزوله منها، وقتله الدجال، ودفنه وأمه فيه كما قيل، وقبول توبة داود وسليمان، ودخول الملائكة على داود في المحراب، وإلانة الحديد له، وتسخير الجبال والطير معه، وفهمه وابنه منطق الطير، وكفالة زكريا بمريم، ووجود الفاكهة عندها في غير أوقاتها، وحفظه من دخول الدجال فيه، ومن يأجوج ومأجوج، ورفع التابوت والسكينة منه، ونزول السلسة إليه، ورفعها منه.

وإسرائه ﷺ إليه، وصعوده إلى السماء ورجوعه إليه، وصلاته إمامًا فيه بالأنبياء وغيرهم، ورؤية الحور العين فيه، ورؤيته لمالك خازن النار، وزلف الجنة له، والشفاعة من الملائكة لمن يسكنه، ونظر الله كل يوم إلى ساكنيه بالخير، وغفران ذنوبهم، وتيسير أرزاقهم، وفتح باب من الجنة عليه يضيء لسقوط النور والرحمة إليه، وفتح باب من السماء بحذائه، وغفران ذنوب من يصلي فيه أو من تصدق فيه، ومن زاره وصلى فيه ولو يومًا، ومضاعفة الصلاة فيه بخمسمائة في غيره ما عدا المسجد الحرام ومسجد المدينة، وقيل: بأكثر من ذلك، وعدم سؤال الملكين وضيق القبر لمن دفن فيه وغفران ذنبه، ونجاة إبراهيم ولوط من قومه، ووجود الصخرة فيه التي هي من الجنة أنها قبلة الأنبياء من لدن آدم كما قيل، وأنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يسبحون ويهللون ويحمدون، ثم يخرجون منه فلا يعودون إليه إلى يوم القيامة، وأنه محل نفخ إسرافيل في الصور، وصخرته هي المكان القريب في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ....﴾ [ق:٤١] فيقول: أيتها العظام

النخرة، والجلود المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمرك أن تجتمعي، وتأتي إلى الحساب.

فائدة في دعاء العرش وفضائله: عن رسول الله ﷺ قال: «قال لي جبريل: يا محمد، من دعا بهذا الدعاء في عمره مرة واحدة حشره الله يوم القيامة ووجهه يتلألأ نورًا كالبدر في تمامه حتى يظن الناس أنه نبي أو ملك، وأقوم أنا وأنت على قبره، ويؤتى إليه ببراق من الجنة، يركبه إلى أن يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب، ويمر على الصراط كالبرق الخاطف، وإن كان له ذنوب أكثر من ماء البحار، وقطر الأمطار، وورق الأشجار، والرمل والأحجار، ويكتب له ثواب ألف حجة، وألف عمرة مبرورة، وإن قرأه خائف أمنه الله، أو عطشان سقاه الله، أو جائع أطعمه الله، أو عريان كساه الله، أو مريض شفاه الله، أو على مريض أو طالب حاجة من حوائج الدنيا والآخرة قضاها الله على مراده، أو خائف من عدو أو سلطان كفاه الله شره ومنعه من الوصول إليه بأذية أو ضرر من جميع العالمين من خلق الله، أو مديون قضى الله دينه فلا يحتاج إلى أحد، وإن حمله ذو عاهة برئ، أو زوجة أكرمها زوجها، وأمن من الجن والإنس والمردة والشياطين والأوجاع والأمراض، ورد إلى أهله إن كان غائبًا سالـمًا، ويستغفر لقارئه كل من سمعه من إنس أو جن أو ملك، ويبارك له في عمره، ومن قرأه خمس مرات رأى النبي ﷺ في منامه في ليلته.

قال أبو بكر ﷺ: ما قرأت هذا الدعاء ليلاً ولا نهارًا إلا رأيت النبي ﷺ، وقال عمر ﷺ: ما دعوت به في حاجة إلا قضيت، وقال عثمان ﷺ: كنت لا أحفظ القرآن، فشكوت إلى رسول الله ﷺ فعلمني هذا الدعاء، فدعوت به فحفظته، وقال علي ﷺ: ما قرأت هذا الدعاء إلا ظفرت بعدوّي، وكنت أنتصر به، وقال: من قرأ الفاتحة، وسورة الكافرون، والإخلاص، والمعوّذتين ـ ثلاث مرات ـ وقرأ هذا الدعاء كفاه الله شر ما يجد، وأمنه الله من كل عاهة، ومن شر كل ظالم، وأعطاه جميع ما طلب، وحمله مثل قراءته، ومن جعله تحت رأسه ونام رد الله عليه ما سرق من ماله، ومن أبق من عبيده، وإن قرئ على ماء جار وقف، أو على نار خمدت، أو على جبل تصدع، ومن قرأه سبع مرات وكان عليه صلوات لم يعلم عددها محاها الله عنه، وكتب له بكل صلاة ثلاث صلوات، ومن صلى ركعتين أو أربعا وقرأ في كل ركعة الفاتحة مرة، وسورة الإخلاص مرة، ودعا به بعد سلامه نال مطلوبه من كل ما دعا به من أمور الدنيا والآخرة، وفيه من الفضائل ما لا يحصى، وقد اختصرنا فيما ذكروه من فضائله، والله الموفق، وهو هذا:

«بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله ـ ثلاث مرات ـ، الملك الحق المبين، لا إله إلا الله، الحكم العدل المتين، ربنا ورب آبائنا الأولين، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي دائم لا يموت أبدًا، بيده الخير وإليه المصير، وهو على كل شيء قدير، وبه نستعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لا إله إلا الله شكرًا لنعمته، لا إله إلا الله إقرارًا بربوبيته، وسبحان الله تنزيهًا لعظمته، أسألك اللهم بحق اسمك المكتوب على جناح جبريل عليك يا رب، وبحق اسمك المكتوب على ميكائيل عليك يا رب، وبحق اسمك المكتوب على جبهة إسرافيل عليك يا رب، وبحق اسمك المكتوب على كف عزرائيل عليك يا رب، وبحق اسمك الذي سميت به منكرًا ونكيرًا عليك يا رب، وبحق اسمك وأسرار عبادك عليك يا رب، وبحق اسمك الذي تم به الإسلام عليك يا رب، وبحق اسمك الذي تلقاه آدم لما هبط من الجنة فناداك فلبيت دعاءه عليك يا رب، وبحق اسمك الذي ناداك به شيث عليك يا رب، وبحق اسمك الذي قويت به حملة العرش عليك يا رب، وبحق أسمائك المكتوبات في التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان عليك يا رب، وبحق اسمك إلى منتهى رحمتك على عبادك عليك يا رب.

وبحق تمام كلامك عليك يا رب، وبحق اسمك الذي ناداك به إبراهيم فجعلت النار عليه بردًا وسلامًا عليك يا رب، وبحق اسمك الذي ناداك به إسماعيل فنجيته من الذبح عليك يا رب، وبحق اسمك الذي ناداك به إسحاق فقضيت حاجته عليك يا رب، وبحق اسمك الذي ناداك به هود عليك يا رب، وبحق اسمك الذي دعاك به يعقوب فرددت عليه بصره وولده يوسف عليك يا رب، وبحق اسمك الذي ناداك به داود فجعلته خليفة في الأرض، وألنت له الحديد في يده عليك يا رب، وبحق اسمك الذي دعاك به سليمان فأعطيته ملك الأرض عليك يا رب، وبحق اسمك الذي ناداك به أيوب فنجيته من الغم الذي كان فيه عليك يا رب، وبحق اسمك الذي ناداك به عيسى بن مريم فأحييت له الموتى عليك يا رب، وبحق اسمك الذي ناداك به موسى لما خاطبك على الطور عليك يا رب، وبحق اسمك الذي نادتك به آسية ـ امرأة فرعون ـ فرزقتها الجنة عليك يا رب، وبحق اسمك الذي ناداك به بنو إسرائيل لما جاوزوا البحر عليك يا رب، وبحق اسمك الذي ناداك به الخضر لما مشى على الماء عليك يا رب، وبحق اسمك الذي ناداك به محمد ﷺ

يوم الغار فنجيته عليك يا رب، إنك أنت الكريم الكبير، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم».

فائدة: سأل أحبار(١) اليهود الإمام عليًّا ﷺ فقالوا له: أخبرنا عن السماوات وما هو أعظم منها، وعن الأرض وما هو أوسع منها، وعن النار وما هو أحر منها، وعن الريح وما هو أسرع منها، وعن البحر وما هو أغنى منه، وعن الحجر وما هو أقسى منه، وعن شيء نراه نحن ولا يراه الله، وعن شيء هو لله، وعن شيء هو لنا، وعن شيء هو بيننا وبين الله؟ وأخبرنا عما يقول الفرس في صهيله، والإبل في رغائها، والبقر في خوارها، والحمار في نهيقه، والشاة في ثغائها، والكلب في نباحه، والثعلب في صياحه، والهر في هريره، والأسد في زئيره، والنسر في صفيره، والغراب في نعيقه، والحدأة في صريرها، والحمامة في تغريدها، والضفدع في نقيقها، والهدهد في تصويته، والدراج في صفيره، والقمري في تعبيره، والقنبرة في هديرها، والعصفور في صريره، والبلبل في هديره، والديك في تصويته، والدجاجة في نعيقها، والنار في أجيجها، والريح في هبوبها، والماء في دويه، والأرض في كلامها، والسماء في غمامها، والبحر في هياجه، والشمس في سراجها، والقمر في ضيائه؟ وعن محمد ﷺ كم له من الأسماء؟ ولم سمي القرآن قرآنًا(٢)؟ وعن الممسوخين كم عدتهم؟ وعن سبب مسخهم؟ فإن أجبتنا أقررنا أنكم على الحق، وإلا أقررنا أنكم على الباطل.

فقال لهم علي ﷺ: إن عندي ستين بابًا من العلم، كل باب منها يحتاج إلى ألف حمل من الورق، فاسألوا عما شئتم، فإن جوابكم عندي أهون علي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم شرع في الجواب يقول: أمَّا ما هو أعظم من السماء فالبهتان على الباري، وأمَّا ما هو أوسع من الأرض فالحق، وأمَّا ما هو أحر من النار فقلب الحريص على جمع المال، وأمَّا ما هو أسرع من الريح فدعوة المظلوم، وأمَّا ما هو أغنى من البحر فقلب

---

(١) الحِبْرُ والحَبْرُ: العالِمُ من علماء أهل الدين، وجمعهُ: أحبار، ذِمِّيًا كانَ أو مُسلِمًا بعد أن يكون من أهل الكتاب. العين (١/ ٢١٥).

(٢) قال سفيان بن عيينة: سمي القرآن قرآنًا؛ لأن الحروف جمعت فصارت كلمات، والكلمات جمعت فصارت آيات، والآيات جمعت فصارت سورًا، والسور جمعت فصارت قرآنًا، ثم جمع فيه علوم الأولين والآخرين، فالحاصل: إن اشتقاق لفظ القرآن إمَّا من التلاوة أو من الجمعية. تفسير الرازي (١/ ٢٨٠).

القنوع، وأمَّا ما هو أقسى من الحجر فقلب الفاجر، وأمَّا الذي نراه ولا يراه الله فوجه الكافر وعمله، وأمَّا الذي هو لله فالروح، وأمَّا الذي هو لنا فعملنا، وأمَّا الذي بيننا وبينه فمنا الدعاء ومنه الإجابة.

وأمَّا الفرس فيقول: اللهم أعز المسلمين واخذل الكافرين، وأمَّا الإبل فتقول: عجبًا لمن عدم القوت كيف يستطيع السكوت، وأمَّا البقر فيقول: يا غافل لك في هذا الموت شغل شاغل، يا غافل أنت عن قليل راحل، يا غافل كل ما قدمته حاصل، ستلقى غدًا ما أنت عامل، وأمَّا الحمار فيقول: اللهم العن المكاس[1] وكسبه، وأمَّا الشاة فتقول: يا موت ما أفجعك، يا موت ما أشنعك، يا موت ما أفظعك، يا بن آدم ما أغفلك، وأمَّا الكلب فيقول: اللهم إني محروم فارحم من يرحمني، وأمَّا الثعلب فيقول: يا قاسم الأرزاق اكفني طلب ما قسمت لي، وأمَّا الهر: فإنه يقرأ عشر آيات من التوراة، وأمَّا الأسد فيقول: يا من خضعت له الصخور الصم الصلاب سلطني على من يعصيك في النور والظلمات.

وأمَّا النسر فيقول: عش ما شئت فإنك ميت، واجمع ما شئت فإنك تاركه، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، وأمَّا الغراب فيقول: يا معاشر الأمم احذروا زوال النعم، يا معاشر الأمم احذروا نزول النقم، وأمَّا الحدأة فتقول: البعد عن الناس أنس لمن عقل، وأمَّا الحمامة فتقول: صلوا من قطعكم، واعفوا عمن ظلمكم، واعطوا من حرمكم، وكلموا من هجركم، تكن الجنة مسكنًا لكم، وأمَّا الضفدع فيقول: سبحان من يسبح له ما في البحار، سبحان من يسبح له من في رءوس الجبال، سبحان من يسبح له ما في القفار، سبحان من يسبح له كل ذي شفة ولسان، وأمَّا الهدهد فيقول: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وأمَّا الدراج فيقول: الرحمن على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، يعلم ما تحت الثرى، وأما القمري فيقول: قرب الأجل، وفات الأمل، وحصل العمل، وأمَّا القنبر فيقول: اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد، وأمَّا العصفور فيقول: يا عالم السر والنجوى، ويا كاشف الضر والبلوى، سلطني على زرع من لا يؤدي حقك، وأمَّا البلبل فيقول: شكرت نعمته إذ كفاني من الدنيا تمرة، فعلى الدنيا العفاء، وأمَّا الديك

---

(١) الْمَكْسُ فِي الْبَيْعِ: اسْتِنْقَاصُ الثَّمَنِ مِنْ بَابِ ضَرَبَ، وَالْمُمَاكَسَةُ وَالْمِكَاسُ فِي مَعْنَاهُ، وَالْمَكْسُ أَيْضًا: الْجِبَايَةُ، وَهُوَ فِعْلُ الْمَكَّاسِ الْمَكَّاسُ الْعَشَّارُ، وَمِنْهُ: «لَا يَدْخُلُ صَاحِبُ مَكْسٍ الْجَنَّةَ». المغرب (٥/ ٩٩).

فيقول: سبوح قدوس رب الملائكة والروح، اذكروا الله يا غافلين، وأمَّا الدجاجة فتقول: اللهم أنت الحق، ووعدك الحق.

وأمَّا النار فتقول: اللهم إني أستجير بك من نار جهنم، وأمَّا الريح فتقول: إني مأمورة فالعن من يشتمني، وأمَّا الماء فيقول: سبحان من هو هو، سبحان من لا يعلم، كيف هو إلا هو، وأمَّا الأرض فتقول في كل يوم: يا ابن آدم تمشي على ظهري ومصيرك إلى بطني، يا ابن آدم تذنب على ظهري ثم يأكلك الدود في بطني، وأمَّا السماء فتقول في كل يوم: اللهم إني شاهدة على كل من كان تحتي، وأمَّا البحر فيقول: اللهم ائذن لي أن أغرق من يغضبك، وأمَّا الشمس فتقول عند غروبها: اللهم إني شاهدة على كل من وقع نوري عليه.

وأمَّا أسماء محمد فهي عشرة أسماء:

أحدها: محمد اشتقه الله من اسمه محمود.

الثاني: أحمد؛ لأنه من الحمد.

الثالث: البشير؛ لأنه يبشر المؤمنين بالجنة.

الرابع: النذير؛ لأنه ينذر الكفار بالنار.

الخامس: وحيد؛ لأن الناس وحدوا الله بدعوته.

السادس: ثابت؛ لأن الله ثبت به الإسلام.

السابع: قاسم؛ لأن الله قسم به يوم القيامة بين الجنة والنار.

الثامن: الحاشر؛ لأن الناس يحشرون يوم القيامة على أثره.

التاسع: الماحي؛ لأن الله يمحو به ذنوب التائبين.

العاشر: المبيض؛ لأن الله يبض به وجوه المؤمنين.

وأمَّا القرآن فسمي بذلك؛ لأنه قام مقام التوراة والإنجيل والزبور في كثرة القراءة والمعنى، وأمَّا الممسوخون من بني آدم فهم تسعة وعشرون: الفيل، والدب، والأرنب، والحية، والعقرب، والخنزير، والقرد، والعنكبوت، والثعلب، والسرطان، والسلحفاة،

والزنبور، والزهرة، وسهيل، والدعموس، والوطواط، والغراب، والعقعق، والفاختة، والعنقاء، والبق، والعصفور، والفأر، والبوم، والهامة، والقنفذ، والدمام، والحرث، والضب، فأمّا الفيل: فكان رجلاً يأتي البهائم، وأمّا الدب: فكان يدعو الناس إلى نفسه، وأمّا الأرنب: فكانت امرأة لا تغتسل من الجنابة ولا من الحيض، وأمّا العقرب: فكان رجلاً لا يسلم الناس من لسانه، وأمّا الخنزير: فكان من الذين أكلوا أربعين يومًا من المائدة وكانوا تسعمائة ثم كفروا بها، وأمّا القرد: فكان من الذين اعتدوا في السبت وكانوا خمسين رجلاً من اليهود، وأمّا العنكبوت: فكان امرأة سحرت زوجها، وهكذا فلكلٍّ سبب.

فائدة: رؤيتّ في المنام، وجربت فصحت، وهي: إذا ظلمك أحد فاكتب في ورقة مربعة، هد، هد، هد، هد، كل واحدة في ركن من أركان الورقة، وتحت كل واحدة: اللهم اهدر وامح الظالم لعبدك فلان بن فلان الذي كان سببًا لإيجاده، يا رب عباده، و ٢ و ٣ و ٤ كذلك، ثم تقطع الورقة نصفين، وتلقيها في البحر، فإنك ترى عجبًا، والله أعلم.

تمت نوادر القليوبي

وهذه بعض نوادر ذيلنا بها نوادر الأستاذ القليوبي:

* قال الأصمعي: دعتني العرب الكرام إلى قري الطعام، فقمت مهرولاً، ودخلت بيت الضيافة مهولاً، فلم يطب لي القعود إلا وجماعة من العرب وفود، ومعهم شاب قد أقبل وهو من البعير أثقل، فأتى وجلس على أعلى منسف، وجعل يأكل بالخمسة والكف، ثم رتب على الطعام بذراعه والدسم ينقط من كراعه، وعليه فروة مقلوبة يمسح بها يده، ويفتح فاه، ويغمض عينيه، فقلت له: يا أخا العرب

كأنك حبة في أرض هش أتاها وابل من بعد رش

فالتفت إلي وتأمل وقال: السؤال أنثى، والجواب ذكر

كأنك بعرة في إست كبش معلقة وذاك الكبش يمشي

قال الأصمعي: فأردت أن أضحك العرب عليه، فأضحكهم علي، فقلت له: يا أخا العرب، هل تعرف شيئًا من الشعر أو تدري فيه؟ قال: كيف لا وأنا كأمه وأبيه! فقلت: إنني سمعت بيتًا من الشعر هل تعرف له ثانيًا؟ قال: في أي المعاني؟ قال الأصمعي: ففتشت الأشعار فلم أجد قافية أصعب من الواو المجزومة؛ لعله أن يولي عني مهزومًا، فقلت له:

قوم بنعمان عهدناهم سقاهم الله من النو

قال لي: أتدري نو ماذا؟ قلت: لا، قال:

نو تلالأ في دجا ليلة مظلمة كالحة لو

قلت: لو ماذا؟ قال:

لو سار فيها فارس لانثنى على بساط الأرض منطو

قلت: منطو ماذا؟ قال:

منطو الكشح هزيم الحشا كالباز ينقض من الجو

قلت: جو ماذا؟ قال:

جوّ السما والريح تهوي به شم رياح الأرض فاعلو

قلت: اعلو ماذا؟ قال:

اعلـــوّ لمـــا عيـــل مـــن صـــبره   وصـــار نحـــو القـــوم ينعـــوا

قلت: ينعوا ماذا؟ قال:

ينعـــوا رجـــالا للقنـــا شرعـــت   كفيـــت مـــا لاقـــوا ويلقـــوا

قالت: يلقوا ماذا؟ قال:

يلقـــوا بأســـياف يمانيـــة   وعـــن قليـــل ســـوف يفنـــوا

قال الأصمعي: فعلمت ألّا شيء بعد الفناء، ولكن أردت أن أثقل عليه، فقلت: يفنوا ماذا؟ قال:

إن كنـــت لا تفهـــم مـــا قلتـــه   فأنـــت عنـــدي رجـــل بـــو

قلت: بو ماذا؟ قال:

البـــوّ ســـلخ قـــد حـــشى جلـــده   أقـــائم يـــألف قرنـــات أو

قلت: أو ماذا؟ قال:

أو أضرب الـــرأس بـــصوّانة   تقـــول في ضربتهـــا قـــو

قلت: قو ماذا؟ قال:

القـــوّ في الـــرأس لـــه نفخـــة   يبـــين مـــن داخلهـــا الـــضو

قال الأصمعي: فخشيت أن أقول: ضو ماذا؟ فيضربني بصوّانة، ويتمها ببيت من الشعر، ويجعل صوت الضرب قافية، فقلت له: يا أخا العرب، هل لك أن تكون ضيفي؟ وأردت أن أنكيه، قال: لا يأبى الكرامة إلا اللئيم، فأخذته وجئت به إلى منزلي، وقلت لزوجتي: اصنعي لنا دجاجة واحدة، فصنعتها، وجئت بها، وجلست أنا وابناي وابنتاي وزوجتي، وقلت له: اقسم علينا، فاحتز الرأس، ودفعه إلي، وقال: الرأس للرأس، ثم خلع الجناحين وقال: الولدان الجناحان، ثم اختلع الفخذين وقال: البنتان الفخذان، ثم فك العجز وقال: العجز للعجوز، ثم قلع الأوراك والصدر وقال: الزوائد للزائر، فأكلها ولم

نطعم منها شيئًا إلا القليل.

فقلت لزوجتي: اصنعي لنا خمس دجاجات، فصنعتها، وجئت بها، وحضرنا جميعًا. وقلت في نفسي لعلي أغلبه، فقلت له: اقسم علينا، فقال: تريدون شفعًا أم وترًا؟ فقلت: إن الله وتر يحب الوتر، فقال: أنت وزوجتك ودجاجة وتر، وابناك ودجاجة وتر، وابنتاك ودجاجة وتر، وأنا ودجاجتان وتر، فقلت: لا أرضى بهذه القسمة، قال: كأنك تريد شفعًا، قلت: نعم، قال: أنت وابناك ودجاجة شفع، وزوجتك وابنتاك ودجاجة شفع، وأنا وثلاث دجاجات شفع، والله لا أحول عن هذه القسمة، قال الأصمعي: فغلبني في الشعر وأكل الدجاج.

* «حكي» عن بعض الظرفاء أنه كان يستعمل الشراب سرًّا، وكان عليه حجر من والده، فبلغ والده عنه ذلك، فما زال يتبع ولده إلى أن لقيه ومعه زجاجة خمر، فقال له: ما هذا؟ قال: لبن، قال: ويحك، اللبن أبيض وهذا أحمر، قال: صدقت، كان أبيض ولكن لما رآك خجل واستحى واحمر، ولعن الله من لا يستحي، فقال له والده: وتشتمني أيضًا، وتركه ومضى، ومن هذا المعنى قال بعضهم:

دعـــوتُ بـــماءٍ في إِنـــاءٍ فجـــاءني غـــلامٌ بهـــا صرفًـــا فأوســـعتُه زَجْـــرا
فقـــالَ هـــو المـــاءُ القَـــراحُ وإِنَّـــما تجـــلَّى لهـــا خـــدِّي فأوهمـــكَ الخَمْـــرا[1]

* «وحكي» عن أبي نواس أنه مرَّ يومًا على مكتب فيه صبيان فسمع صبيًا يقول لمعلمه: ما أراد أبو نواس بقوله:

أَلا فَاسقِني خَمـرًا وَقُـل لي هِـيَ الخَمـرُ وَلا تَـسقِني سِرًّا إِذا أَمكَـنَ الجَهـرُ

وما الفائدة في ذلك؟ قال: لا أعلم، قال الصبي: أراد بذلك أن تكمل له الحواس الخمس، فإنه إذا شربها حصلت له حاسة البصر، واللمس، والشم، والذوق، وذلك مستفاد من قوله: «ألا فاسقني خمرا»، وتعطلت حاسة السمع، فلما قال: «وقل لي: هي الخمر» شنف سمعه بذكرها، وتكملت الحواس الخمس، فقال أبو نواس: لقد أفهمتني من شعري ما لم أفهمه وأقصده.

---

(١) البيتان منسوبان لـ«الملك الأمجد» من بحر الطويل.

* ومما اتفق لأبي نواس وقد أمر الرشيد بقتله، فقال: يا أمير المؤمنين، أتقتلني شهوة لقتلي أم استحقاقًا، فإن الله يحاسب ثم يعفو، ويعاقب فيم استحقيت القتل؟ قال: بقولك:

أَلا فَاسقِني خَمرًا وَقُل لي هِيَ الخَمرُ وَلا تَسقِني سِرًّا إِذا أَمكَنَ الجَهرُ

قال: يا أمير المؤمنين، أعلمت أنه سقاني وشربت؟! قال: أظن ذلك، فقال: أتقتلني بالظن؟ قال: تستحق بقولك في التعطيل:

ما جاءني أحدٌ يخبّر أنّهُ في جنّةٍ مُذ ماتَ أو في نارِ

قال: أفجاءنا أحد يا أمير المؤمنين؟ فقال: تستحق بقولك:

يا أَحمَدَ المُرتَجى في كُلِّ نائِبَةٍ قُم سَيِّدي نَعصِ جَبّارَ السَمَواتِ

قال: يا أمير المؤمنين، أصار القول فعلاً؟ قال: لا أعلم، قال: أفتقتلني على ما لم تعلم، قال: دع هذا الكلام فإنك قد اعترفت في مواضع كثيرة بما يوجب القتل وهو: الزنا، فقال أبو نواس: قد علم الله هذا قبل أمير المؤمنين، أني أقول ما لا أفعل، كما قال بعضهم:

نَحنُ الَّذينَ أَتى الكِتابُ مُخَبِّرًا بِعَفافِ أَنفُسِنا وَفِسقِ الأَلسُنِ[1]

فضحك الرشيد من كلامه وخلى سبيله.

* «وحكي» إنه أتي إلى أمير برجل ومعه آنية الخمر، فقال: حدوه حد الشراب، فقال له: لماذا يا أيها الأمير؟ فقال: لأن معك آلة الخمر، فقال: حدني حد الزنا أيضًا، فقال: لماذا؟ فقال: لأن معي آلة الزنا، فضحك منه الأمير، وقال: خلوا سبيله.

* «وحكي» أن غلامًا وجارية كانا يقرآن في مكتب فعشق الغلام الجارية وأحبها حبًّا شديدًا، وكانا جميلين إلى الغاية، فلم يزل الغلام يتلطف بها حتى صار قريبًا منها، فلما كانا في بعض الأيام كتب الغلام في لوح الجارية يقول لها:

ماذا تقولين فيمن شفه سقم من فرط حبك حتى صار حيرانا
يشكو الصبابة من وجد ومن ألم لا يستطيع لما في القلب كتمانا

---

(١) البيت منسوب لـ«صفي الدين الحلي» من بحر الكامل.

فأخذت الجارية لوحها فرأت مكتوبًا فيه ذلك فكتبت تحته تقول:

إذا رأينـــا محبًّـــا قـــد أضر بـــه ... حـــر الـــصبابا أولينـــاه إحـــسانا

ويبلـــغ القـــصد منـــا في محبتـــه ... لـــو أن يكـــون علينـــا كـــل مـــا كـــان

فدخل عليهما الفقيه فوجد الكتابة في اللوح فرق لحالهما، وكتب في اللوح يقول:

صـــلي محبـــك لا تخـــشين مـــن أحـــد ... وواصـــلي مـــدنفا في الحـــب حيرانـــا

أمـــا الفقيـــه فـــلا تخـــشي مهابتـــه ... فإنـــه قـــد بـــلي في العـــشق أزمانـــا

فوافق أن سيد الجارية دخل المكتب في تلك الساعة فوجد لوح الجارية فأخذه، وقرأ ما فيه من كلام الغلام والجارية والفقيه، فكتب في اللوح يقول:

لا فـــرق الله طـــول الـــدهر بيـــنكما ... وظـــل واشـــيكما حـــيران تعبانـــا

أمـــا الفقيـــه فـــلا والله مـــا نظـــرت ... عينـــاي أعـــرص منـــه قـــط إنـــسانا

ثم أرسل خلف القاضي ولشهود، وكتب كتاب الجارية على الغلام في المجلس، وأولم لهما وأحسن إليهما[1].

* «وكتب» بعضهم إلى صديق له يقول: أمَّا بعد... فعظ الناس بفعلك، ولا تعظهم بقولك، واستح من الله بقدر قربة منك، وخف منه بقدر قدرته عليك، والسلام، وأستغفر الله العظيم، وأتوب إليه، آمـين.

(١) انظر: ديوان الصبابة (١/ ٦١).

في النوادر المستغربة والنكت المستعذبة

* نظر القاضي إياس إلى ثلاث نسوة فزعن من شيء، فقال: هذه حامل وهذه مرضع وهذه بكر، فسئلن فوجدن كذلك، فسئل من أين علم ذلك؟ فقال: لما فزعن وضعت كل واحدة يدها على أهم المواضع لها، فوضعت الحامل على بطنها والمرضع على ثديها والبكر على فرجها.

* وسمع نباح كلب فقال: هذا نباح كلب مربوط على شفير بئر، فنظر فكان كما قال، فقيل له في ذلك فقال: سمعت عند نباحه دويًّا، ثم سمعت بعده صوتًا يجيبه، فعلمت أنه عند بئر.

* ونظر بعضهم إلى أعورين يذهبان في الطريق ويد أحدهما في يد الآخر، فقال: إني أرى أعورين وأعمى بينهما، فنظر أصحابه وقالوا: لا نرى إلا الأعورين وليس بينهما أعمى، فقال: ضموا عور هذا إلى عور هذا فإنه ينشأ بينهما رجل أعمى، وكان أحدهما أعور العين اليمنى والآخر أعور اليسرى، فاستظرف أصحابه ذلك.

* كانت للفضل بن سهل وصيفة ظريفة كثيرة الملح والنوادر وكانت سباقية، وكان أبو نواس يولع بها ويمازحها، فقال لها يومًا: إني أحبك وتبغضينني فلم ذلك؟ فقالت له: لأن وجهك والحرام لا يجتمعان.

* وقال الجاحظ: جلست امرأة من العرب إلى فتيان يشربون فسقوها قدحًا، فطابت نفسها، ثم سقوها آخر فاحمر وجهها، ثم سقوها ثالثًا فقالت: خبروني عن نسائكم بالعراق، هل يشربن من هذا الشراب؟ قالوا: نعم، قالت: زنين ورب الكعبة، والله ما يدري أحدكم من أبوه.

* وسقى أعرابيًّا أقداحًا من شراب ولم يكن يعرفه، فحركته الأريحية فسألوه عنها، فقال: والله، ما أدري ما هي غير أني أراكم تحببون إليّ وأراني أسر بكم وما وهب لي أحد منكم شيئًا.

* ومر أعرابي بقوم يشربون فدعوه، فنزل وعقل ناقته، فلما أخذ منهم الشراب قام إلى الناقة فنحرها وشوى لهم من كبدها وسنامها.

* وقيل لأشعب: ما تقول في ثريدة معروقة بالسمن، مسقفة باللحم؟ قال: وأضرب كم؟ قيل: تأكلها من غير ضرب، قال: هذا ما لا يكون ولكن أضرب وأتقدم على بصيرة.

* وقال المبرد: أضاف رجل رجلاً، فأطال المقام عنده حتى كرهه، فقال الرجل لامرأته: كيف لنا أن نعلم مقدار مضافه؟ فقالت: ألق بيننا شرًا حتى نتحاكم إليه، ففعل فقالت المرأة للضيف: بالذي يبارك لك في سفرك غدًا، أينا أظلم؟ فقال: والذي يبارك لي في مقامي عندكم شهرًا أو أزيد ما أعلم.

* ونزل بصري على مدني وكان صديقًا له، فأطال المقام عنده، فقال المدني لامرأته: إذا كان غدًا فإني أقول لضيفنا: كم ذراعًا تقفز؟ ثم أقفز، فإذا قفز هو فاغلقي الباب، فلما كان من الغد قال له المدني: كيف قفزك يا أبا فلان؟ قال: جيد، فعرض عليه أن يقفز معه فأجابه، فوثب المدني من داره إلى الخارج أذرعًا وقال للضيف: ثب أنت، فوثب الضيف إلى داخل الدار ذراعين، فقال له: وثبت أنا إلى خارج الدار أذرعًا ووثبت أنت إلى داخلها ذراعين؟! فقال الضيف: ذراعان في الدار خير من أذرع إلى برا.

* وسئل بنان الطفيلي: هل تحفظ من كتاب الله شيئًا؟ قال: نعم، آية، قال: وما هي؟ قال: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ [الكهف:٦٢].

* وكان يقول: التمكن على المائدة خير من ثلاثة ألوان.

* وقال طفيل العرائس: ليس في الأرض أكرم من ثلاثة أعواد: عصا موسى ومنبر الخليفة وخوان[1] طعام.

* ومن وصيته لأصحابه: إذا دخلتم عرسًا فلا تلتفتوا إلى الملاهي وتخيروا المجالس، فإن كان العرس كثير الزحام فليمض أحدكم ولا ينظر في عيون الناس؛ ليظن أهل الرجل أنه من أهل المرأة وأهل المرأة أنه من أهل الرجل، وإن كان البواب فظًا وقاحًا فليبدأ به وليأمره ولينهه من غير عنف ولكن بين النصيحة والإدلال.

* وقال بعض الطفيليين: الحلواء مثل الملك، يدخل بيتًا فيه قوم جلوس ليس فيهم

(١) الخِوَانِ هو: ما يوضع عليه الطَّعام عند الأكل، ومنه حديث الدَّابة «حتى إنَّ آهل الخِوَانِ ليَجْتَمِعُون فيقول هذا يَا مُؤمنُ وهذا يَا كافِرُ». النهاية في غريب الأثر (٢ / ١٨٣).

متسع لأحد، فإذا نظروا إليه تضايقوا ووسعوا عليه.

* وحضر طفيلي بالكوفة طعام قوم فجلس يأكل، فجعل الغلام يحرك الطست والإبريق، فقال: من ذا الذي يرجف بنا قبل انقضاء عملنا؟.

* وبينما طفيلي يأكل سمع صوت الطست فامتنع عن الأكل، فقيل له: لِمَ لا تأكل؟ قال: حتى يسكن هذا الإرجاف الذي أسمع.

* وكان الأعمش إذا حضر مجلس ثقيل أنشد:

فما الفيل تحمله ميتًا ... بأثقل من بعض جلاسنا

* وذكر له ثقيل كان يجلس بجانبه فقال: إني والله لأبغض شقي الذي يليه من أجله.

* وكان حماد بن سلمة إذا رأى من يستثقله قرأ: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان:١٢] قال خالي الأستاذ أبو عبد الله محمد بن جزى:

وثقيل نحن منه ... في عذاب وامتحانِ

قد دعونا إذ أتانا ... بدعاء في «الدخانِ»

* وقالت عائشة، رضي الله عنها: نزلت آية في الثقلاء: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [الأحزاب:٥٣].

* روي عن الشعبي أنه قال: «من فاتته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء».

* وكان أبو هريرة ﷺ يقول إذا استثقل رجلاً: اللهم اغفر له وأرحنا منه.

* وقيل لجالينوس: لِمَ صار الرجل الثقيل أثقل من الحمل الثقيل؟ قال: لأن ثقله على القلب دون الجوارح والحمل الثقيل يستعين عليه القلب بالجوارح.

* وقال طبيب للحجاج: إياك ومجالسة الثقلاء، فإنا نجد في الطب أن مجالستهم حمى الروح.

* وكان بعض الظرفاء إذا رأى ثقيلاً قال: قد جاءكم الجبل، فإذا جلس عندهم قال: قد وقع عليكم.

* وسمع الأعمش كلام ثقيل فقال: من هذا الذي يتكلم وقلبي يتألم؟.

* وسلم ثقيل على بعض الثقلاء فقال: وعليك السلام شهرًا.

* وجلس ظريف عند ثقيل فسئل عن ذلك، فقال: كانت نفسي قد عزت عليّ، فأردت أن أهينها بذلك.

* وقيل لظريف كان له ثلاثة أولاد ثقلاء: أيّ أولادك أثقل؟ ليس بعد الكبير أثقل من الصغير إلا الأوسط.

* وقال زياد بن عبد الله: قيل للشافعي: هل يمرض الروح؟ قال: نعم، من ظل الثقلاء، قال: فمررت به يومًا وهو بين يدي ثقيلين فقلت: كيف الروح؟ قال: في النزع.

* ومن مُلَح ابن عباد أنه خرج يومًا مع جملة وزرائه الأدباء، فاجتازوا بإشبيلية بالموضع الذي يباع فيه الجير والجبس، فلقي جارية من أجمل النساء وأقلهم حياء، قد كشفت وجهها، فأقبل على ابن عمار وقال له: يا ابن عمار الجيارين، فقال: نعم يا مولاي، والجباسين وضحكا معًا، فعلم من حضر أنهما لم يريدا أن يعرفا كل واحد منهما صاحبه بما ذكر وسألوا ابن عمار عن مرادهما بذلك.

فقال له ابن عباد: لا تبعها منهم إلا غالية، ثم إن ابن عمار أخبرهم أن ابن عباد أعجبه حسن الجارية وعابها بقلة الحياء، فصحف: «الحياء زين» فجاء منه: «الجيارين» فصفحت أنا: «والخناء شين» فجاء منه: «والجباسين»، فاستغربوا من حضور أذهانهما وحسن كنايتهما.

* ودخل قوم على النضر بن شميل[1] يعودونه في مرض، فقال له رجل يكنى أبا صالح: مسخ الله ما بك، فقال: لا تقل: «مسخ» بالسين ولكن بالصاد بمعنى أذهب وهو كلام العرب.

---

(١) هو النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني التميمي، أبو الحسن، (١٢٢ ـ ٢٠٣ هـ) أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة، ولد بمرو من بلاد خراسان، وانتقل إلى البصرة مع أبيه (سنة ١٢٨) وأصله منها، فأقام زمنًا، وعاد إلى مرو فولي قضاءها، واتصل بالمأمون العباسي فأكرمه وقربه، وتوفي بمرو، من كتبه: «الصفات» كبير في صفات الإنسان والبيوت والجبال والإبل والغنم والطير والكواكب والزروع، و «كتاب السلاح» و «المعاني» و «غريب الحديث» و «الأنواء». الأعلام للزركلي (٨/ ٣٣).

فقال أبو صالح: إن السين تبدل من الصاد، كالصراط والسراط، وسقر وصقر، فقال له النضر: فأنت إذًا أبو سالح، فخجل الرجل.

* ووقفت امرأة على قيس بن سعد بن عبادة ﷺ فقالت له: أشكو إليك قلة الجرذان بداري وهي الفئران، فقال: ما أحسن هذه الكناية، املأوا لها بيتها برًّا ولحمًا وسمنًا، وبيان ذلك أن الفئران لا تعمر بالموضع الذي ليس فيه طعام.

* وأخذ المعنى أبو حفص الوراق فكتب إلى الصاحب بن عباد: منا وحال عبد مولانا في الحنطة مختلفة وجرذان داره عنها منصرفة، فإن رأى أن يخلط عبده بمن أخصب رحله فعل، إن شاء الله، فوقع الصاحب فيها: أحسنت يا أبا حفص قولاً وسنحسن فعلاً، فبشر جرذان دارك بالخصب وأمنها من القحط، فالحنطة تأتيك في الأسبوع ولست عن غيرها من النفقة بممنوع.

* ووجد أعرابي سراويل في الطريق فظنها قميصًا، فأدخل يديه في ساقيها والتمس من أنه يخرج رأسه فلم يجد، فرماها وقال: هذا قميص شيطان.

* ومن نوادر أشعب، قال سالم بن عبد الله بن عمر ﷺ لأشعب: ما بلغ من طعمك؟ قال: لم أنظر لاثنين يتحدثان في شيء إلا قدرت أنهما يأمران لي بشيء.

* وقال له ابن أبي الزناد: ما بلغ طمعك؟ قال: ما زفت امرأة بالمدينة إلى زوجها إلا كنست بيتي رجاء أن يغلط بها.

* وكانت عائشة بنت عثمان كفلته مع ابن أبي الزناد، فقال أشعب: تربيت معه في مكا ن واحد فكنت أسفل ويعلو حتى بلغنا ما ترون.

* وقيل لعائشة بنت عثمان: هل آنست منه رشدًا؟ فقالت: أسلمته منذ سنة يتعلم البز، فسألته بالأمس: أين بلغت في الصناعة؟ فقال: تعلمت نصف العمل وبقي نصفه، تعلمت النشر في سنة وبقي تعلم الطي، فكيف يؤنس رشده؟!.

* وساوم أشعب رجلاً في قوس فقال له: بدينار، فقال أشعب: والله، لو كنت إذا رميت بها طائرًا وقع في حجري مشويًا بين رغيفين ما اشتريتها بدينار.

* ووقف إلى رجل يعمل طبقًا، فقال له: أسألك بالله إلا ما زدت فيه طوقًا أو

طوقين، فقال له الرجل: ولِمَ ذلك؟ فقال: لعله أن يُهدى إليّ يومًا فيه شيء.

* وقيل له: أرأيت أطمع منك؟ قال: نعم، خرجت إلى الشام أنا ورفيق لي فتلاحينا في شيء عند دير فيه راهب، فقلت له: الكاذب منا أير الراهب في استه، فنزل الراهب من صومعته وقد أنعظ فقال: أيكما الكاذب؟ ثم قال: دعوا هذا، امرأتي أطمع مني ومن الراهب، فقيل: وكيف ذلك؟ قال: إنها قالت له: ما يخطر على قلبك ويكون بين الشك واليقين إلا وأنا أتيقنه.

* وقيل له: أرأيت أطمع منك؟ قال: كلبة أبي فلان، رأت رجلاً يمضغ علكًا فتبعته فرسخين تظن أنه يأكل شيئًا.

* وقيل له: ما بلغ بك الطمع؟ قال: أضجرني الصبيان، فقلت: أشغلهم عني، فقلت لهم: إن بموضع كذا عرسًا فامضوا نحوه، فلما ذهبوا قلت في نفسي: ولعل ثَمَّ عرس فتبعتهم.

* وقيل لأشعب: لو أنك حفظت الحديث حفظك لهذه النوادر لكان أولى بك، قال: قد فعلت، قالوا له: فما حفظت من الحديث؟ قال: حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**من كانت فيه خصلتان كتب عند الله مخلصًا**»(1) قالوا: إن هذا حديث حسن، فما هاتان الخصلتان؟ قال: نسي نافع الواحدة وأنا نسيت الأخرى.

* ورأى بعضهم قاصًّا يقص غداة يوم، ثم رآه بالعشي في بيت خَمَّار والقدح في يده، فقال: ما هذا؟ فقال: أنا بالغداة قاصّ وبالعشي ماصّ.

* وقال بعضهم: أتيت الخليل فوجدته على طنفسة(2) صغيرة، فوسع لي وكرهت أن أضيق عليه فانقبضت، فأخذ بعضدي وقدمني إلى نفسه وقال: ما يضيق سمُّ الخياط بمتحابين ولا تسع الأرض لمتباغضين ولقد صدق، أخذ المعنى أبو محمد غانم بن الوليد

---

(١) رواه بنحوه الدارمي في سننه (١/ ١١٦).

(٢) طنفس الطِّنِفِسَة والطُّنْفُسة بضم الفاء الأخيرة عن كراع النُّمْرُقَة فوق الرحل، وجمعها: طَنَافِسُ وقيل: هي البِساط الذي له خَمْلٌ رقيق، ولها ذكر في الحديث، ابنُ الأعرابي طَنْفَسَ: إذا ساء خُلُقه بعد حُسْن، ويقال للسماء مُطَرْفِسَة ومُطَنْفِسَة: إذا اسْتَغْمَدت في السحاب الكثير، وكذلك الإنسان إذا لبس الثياب الكثيرة مُطَرْفِسٌ ومُطَنْفِس. لسان العرب (٦ / ١٢٧).

المالقي فقال:

صير فؤادك للمحبوب منزلة سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضًا في معاشرة فقلما تسع الدنيا بغيضين

* وقال الأصمعي: مر بي أعرابي سائلاً، فقلت له: كيف حالك؟ فقال: أسأل الناس إلحافًا فيعطوني كرهًا، فلا يؤجرون على ما يعطونني ولا يبارك لي فيما آخذ منهم.

* وخطب ثقيل في تزويج، فقام واحد من القوم وقال: إذا فرغ الثقيل بارك الله لكم، فإن لي شغلاً أريد المبادرة إليه.

* وكان صائد يصيد العصافير في يوم بارد، فكان يذبحها ودموعه تسيل من البرد، فقال العصفور لصاحبه: لا عليك من الرجل ألا تراه يبكي؟ فقال له الآخر: لا تنظر إلى دموعه وانظر إلى ما تصنع يده.

* وصلَّى رجل مرائي، فقيل له: ما أحسن صلاتك، فقال: ومع ذلك فإني صائم.

* وقال طاهر بن الحسين لأبي عبد الله المروزي: كم لك منذ نزلت العراق؟ قال: منذ عشرين سنة، وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين، فقال: يا أبا عبد الله، سألناك في مسألة واحدة فأجبتنا في مسألتين.

* وقال مقاتل بن سليمان وقد داخلته أبّهة العلم: سلوني عما تحت العرش إلى أسفل الثرى، فقال له رجل: ما نسألك عن شيء من ذلك، إنما نسألك عما معك في الأرض، اخبرني عن كلب الكهف، ما كان لونه؟ فأفحمه.

* وصعد ابن قتيبة المنبر يومًا وقال: ليسألني من شاء عما شاء، فقام إليه أحد المغفلين فقال له: ما الفتيل والقطمير؟ فلم يجد جوابًا ونزل خجلاً وانصرف إلى منزله كسلاً، فلما نظر اللفظتين وجد نفسه أذكر الناس لهما.

* وقال قتادة: ما سمعت شيئًا قط إلا حفظته ولا حفظت شيئًا قط فنسيته، ثم قال: يا غلام، هات نعلي، فقال: هما في رجليك، ففضحه الله.

* وقال: حفظت ما لم يحفظ أحد ونسيت ما لم ينسه أحد، حفظت القرآن في ستة

أشهر وقبضت على لحيتي وأنا أريد أن أقطع ما تحت يدي فقطعت ما فوقها.

* وسمع كثيّر عديّ بن الرقاع ينشد الوليد بن عبد الملك قوله:

وَبَقَيْتُ حَتّى ما أُسائِلُ عالِمًا ... عَن عِلم واحِدَةٍ لِكَي أَزدادَها

في قصيدة طويلة، فقال كثيّر: كذبت وربّ البيت الحرام، فليمتحنك أمير المؤمنين في صغار الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك وما كنت قط أحمق منك اليوم حتى تظن هذا من نفسك.

* وقال ابن موسى المنجم: ما أحد تمنيت أن أراه فإذا رأيته أمرت بصفعه إلا عديًّا، فقيل له: ولِمَ ذلك؟ قال: لقوله هذا البيت، كنت أعرض عليه أصناف العلوم فكلما مر عليه شيء لا يحسنه أمرت بصفعه.

* وكان الواثق يقول بخلق القرآن ويعاقب من خالفه، فأدخل عليه رجل فقال له: ما تقول في القرآن؟ فتصامم الرجل، فأعاد السؤال، فقال: من تعني يا أمير المؤمنين؟ فقال: إياك أعني، فقال: مخلوق وتخلص منه.

* وقيل لآخر: ما تقول في القرآن؟ فأخرج يده وجعل يعد أصابعه، يقول: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، هؤلاء الأربعة مخلوقة ـ يعني: أصابعه ـ وتخلص منه.

* ومما يستظرف من ذلك أن رجلاً تعذر عليه الوصول إلى المأمون في ظلامة، فصاح على بابه: أنا أحمد النبي المبعوث، فأدخل عليه وأعلم أنه تنبأ، فقال له: ما تقول؟ فذكر له ظلامته، فقال له: ما تقول فيما حُكي عنك؟ قال: وما هو؟ قال: ذكروا أنك نبي، فقال: معاذ الله، أنا أحمد النبي المبعوث، أفأنت يا أمير المؤمنين ممن يحمده؟ فاستظرفه وأمر بإنصافه.

* وخرج شريح القاضي من عند زياد وتركه يجود بنفسه، فسأله الناس عن حاله، فقال: تركته يأمر وينهى، فجزعوا لسلامته، فما راعهم إلا صياح النائحات عليه، فسئل شريح عند قوله، فقال: تركته يأمر بالوصية وينهى على البكاء.

* وسئل ابن شبرمة عن رجل يستعمل، فقال: إن له شرفًا وقدمًا وبيتًا، فنظروا فإذا هو ساقط، فقيل له في ذلك، فقال: شرفه أذناه وقدمه الذي يمشي عليه وبيته الذي يأوى إليه.

* وذكر المتنبي في مجلس أمير بمحضر المعري وجماعة، فأخذ الأمير يطعن على المتنبي ويضعف شعره ويذكر مقابحه وكان المعري حاملاً على الأمير؛ لقلة إحسانه إليه، فحمله ذلك على أن خالفه وأثنى على المتنبي وقال: هو أشعر الشعراء وأحسنهم شعرًا ولو لم يكن إلا قصيدته التي أولها:

لَـكِ يـا مَنـازِلُ في القُلـوبِ مَنـازِلُ

فأمر به الأمير أن يضرب بالسياط فضُرب وأُخرج، فعظم ذلك على من حضر المجلس وقالوا للأمير: رجل كبير من أهل العلم تضربه لما يقول عن المتنبي: إنه أشعر الشعراء، ما ذلك بصواب؟! فقال: ليس كما قلتم وإنما ضربته على تعريضه بي، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: لأنه لم يفضله بقصيدة من عالي شعره وإنما فضله بتلك القصيدة، مع أنها ليست من عالي شعره؛ لأنه يقول فيها بعد أبيات:

وَإِذا أَتَتـكَ مَـذَمَّتي مِـن نـاقِصٍ فَهِـيَ الـشَهادَةُ لي بِـأَنِّيَ كامِـلُ

فاستحسن من حضر فهمه وحدة ذهنه وعذره فيما فعل، وسئل المعري بعد ذلك فقال: والله، ما قصدت غير ذلك.

* ومثل ذلك ما حكي أن ابن الصائغ بلغه عن الفتح بن خاقان صاحب «قلائد العقيان» أنه خطه فيها بذم، فقال: فيه رمد عين الدين وكمد نفوس المهتدين، لا يتطهر من جنابة ولا يظهر مخايل إنابة، فمر على الفتح وهو جالس في جماعة فسلم على قوم وضرب على كتف الفتح وقال له: شهادة يا فتح ومضى، فلم يدر أحد ما قال إلا الفتح، فإنه فهمه فتغير لونه، فقيل له: ما قال لك؟ فقال: إني وصفته في كتابي بما تعلمون ولا والله ما بلغت بذلك عشر ما بلغ هو بهذه الكلمة، إنه يشير بها إلى بيت المتنبي:

وَإِذا أَتَتـكَ مَـذَمَّتي مِـن نـاقِصٍ فَهِـيَ الـشَهادَةُ لي بِـأَنِّيَ كامِـلُ

* وحضر جحظة المغني[1] مع جماعة فيهم علي بن بسام، فأخذ كل واحد منهم

---

(١) هو أحمد بن جعفر بن موسى بن الوزير يحيى بن خالد بن برمك، أبو الحسن، (٢٢٤ ـ ٣٢٤ هـ) نديم أديب مغن، من بقايا البرامكة، من أهل بغداد، كان في عينيه نتوء فلقبه ابن المعتز بجحظة، فلزمه اللقب، وكان كثير الرواية للأخبار، متصرفًا في فنون من العلم كاللغة والنجوم، مليح الشعر، حاضر النادرة، عارفًا بالموسيقى، لم يكن أحد يتقدمه في صناعة الغناء، نادم ابن المعتز والمعتمد العباسيين، وصنف كتبًا. الأعلام للزركلي (١ / ١٠٧).

مخدة، فقال جحظة: ما لي لا أعطى مخدة؟ فقال له ابن بسام: عنّ، فالمخاد كلها إليك تصير؛ يعني: يريد حين يرمونه بها.

* قال أبو زيد: رأيت أعرابيًّا كأن أنفه كوز من عظمة، فرآنا نضحك منه، فقال: ما يضحككم؟ فوالله، لقد كنت في قوم يسموني: الأفطس.

* وقال: ما رأيت الديك في بلد قط إلا وهو يدعو الدجاجة إذا وجد الحبة ويلتقطها لها إلا بـ«مروة»، فإني رأيته يأكل وحده ولا يدعو الدجاجة إذا وجد الحبة، فعلمت أن لؤمهم كثير جدًا وهو طبع فيهم.

* وقال: ورأيت بها طفلاً صغيرًا وبيده بيضة، فقلت: أعطنيها، فقال لي: ليس تسع في يدك، فعلمت أن المنع طبع مركب فيهم.

* وجلس ثقيل إلى بشار بن برد، فضرط ضرطة منكرة فظن الرجل أنها فلتة، فمشى في حديثه فضرط بشار ثانية وثالثة، فقال له: يا أبا معاذ، ما هذا؟ قال: رأيت أو سمعت؟ قال: بل سمعت، قال: كل ما سمعت ريح، لا تصدق حتى ترى.

* وكان لعبد الملك بن مروان جارية تتكلم بلغة من يكسر حروف المضارعة، فتقول: «أنت تِعْلم» فقال الشعبي: أتأذن يا أمير المؤمنين في الغضّ منها؟ قال: افعل، قال: يا جارية، ما لقومك لا يِكتنون؟ فقالت له: ويحك، أمَا نِكتني؟ فقال: لا والله، لو فعلت لاغتسلت، فخجلت من ذلك واستغرق عبد الملك في الضحك.

* وقال الحجاج يومًا لجلسائه وقد وصلت إليه الشمس ووجد حرها: ما كان أحوجنا إلى كن نكتن فيه، فقال سعد بن مطعم المازري: قد أصبت لك أيها الأمير كنًّا، قال: وأين هو؟ قال: تنوري، فوالله ما سخن منذ ثلاثين يومًا، فقال له الحجاج: تلطفت في المسألة وأمر له بجائزة.

* وحكي أن رجلاً قام من مجلس خالد بن عبد الله يومًا، فقال: إني لأبغض هذا الرجل وما أذنب لي ذنبًا، فقال له بعض من حضر: أوليته معروفًا قط؟ قال: لا، قال: فأوله معروفًا يخف على قلبك، ففعل فخف على قلبه وصار واحدًا من جلسائه.

* وقال بعضهم: رأيت قبرين مكتوب على أحدهما: من رآني فلا يصغر في قدري إن كنت أحبس الرياح وأفرقها، وعلى الآخر: كذب ابن الزانية، إنما كان يجمع الرياح في

الزق ثم يخرجها، قال: فما رأيت مشاجرة بين ميتين غيرهما.

* وقال آخر: رأيت قبرين مكتوب على أحدهما: أنا ابن سافك الدماء وعلى الآخر: أنا ابن مستخدم الرياح، فسألت عنهما، فقيل لي: أحدهما ابن حجام والآخر ابن حداد.

* وقال بعضهم: مثل الحريص في طلب الدنيا مثل رجل يصلي خلف الإمام وهو مستعجل لحاجته، فهو يسبق الإمام بالركوع والسجود استعجالاً للفراغ ولا ينفعه ذلك ولا يخرجه من الصلاة إلا سلام الإمام.

* وحكى أبو الطيب الكاتب أن أمير المؤمنين الرشيد كان ليلة بين جاريتين مدنية وكوفية، فجعلت الكوفية تغمز يديه والمدنية تغمز رجليه، فجعلت المدنية ترفع إلى فخذيه حتى ضربت بيدها على متاعه، فحركته حتى أنعظ، فقالت الكوفية: ويحك، نحن شركاؤك في البضاعة وأراك قد انفردت دوننا برأس المال، فقالت المدنية: حدثني مالك عن هشام بن عروة عن أبيه قال: من أحيا مواتًا فهو له ولعقبه، قال: فاستغفلتها الكوفية ودفعتها، ثم أخذته بيديها جميعًا وقالت: حدثني الأعمش عن خيثمة عن عبد الله بن مسعود أنه قال: الصيد لمن صاده لا لمن أثاره.

* وحكى الأنماطي أن المتوكل على الله كان طلب من محمود الوراق جارية مغنية، فأعطاه بها عشرة آلاف دينار فأبى، فلما مات محمود اشتراها بخمسة آلاف وقال لها: كنا أعطينا بك مولاك عشرة آلاف وقد اشتريناك بخمسة آلاف، قالت: يا أمير المؤمنين، إذا كانت الخلفاء تتربص بلذاتها المواريث فنشتري بأرخص مما اشتريت.

* وحكى إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: لاعب هارون الرشيد جارية من جواريه بالشطرنج على إمرة مطاعة فغلبته، فقال: مري بما شئت، فقالت: تقوم إلى السرير، فقام فقضى منها وطره ثم لاعبها فغلبته، فقالت: قم لميعادك، قال: لا أقدر على ذلك، قالت: فاكتب لي عليك كتابًا أن آخذك به متى شئت، قال: افعلي، فدعت بداوة وقرطاس ثم كتبت: هذا كتاب فلانة على مولاها أمير المؤمنين أن عليه فردًا آخذه به متى شئت وآنى شئت من ليل أو نهار، وكان على رأسها وصيفة لها فقالت لها: يا سيدتي، إنك لا تأمنين الحدثان فزيدي في كتابك: ومن قام بهذا الذكر فهو ولي ما فيه، فضحك الرشيد حتى استلقى على فراشه واستظرفها وأمر أن تنزل مقصورة ويجري عليها رزق سني وشغف

بها، ويقال: إنها مراجل أم المأمون.

* وارتفع رجل وامرأته إلى بعض القضاة وكانت منتقبة، فأخذ القاضي معها، ففطن الزوج لذلك فقال: أيها القاضي، قد شككت أنها زوجتي، فمرها أن تسفر عن وجهها، فوقع ذلك على اختيار القاضي وقال لها: اكشفي عن وجهك، فلما كشف عن وجهها رآها قبيحة، فقال: أخزاكن الله، تجيء إحداكن بعيني مظلومة فإذا كشفت عن وجه ظالمة.

* واختصم رجلان عند قاضٍ في خصومة بينهما، فأهدى إليه أحدهما منارة وأهدى الآخر بغلة، فلما وقفا للخصومة رأى مهدي المنارة القاضي يميل عليه في الحكومة، فقال: أعز الله القاضي، إن حقي أشهر من منارة، وردد ذلك مرارًا فقال القاضي: يا هذا، إن البغلة كسرت المنارة برجلها.

* وجاءت امرأة إلى موثق يشهد عليها في عقد، فوجد اسمها: جميلة، فلما نظر إليها وجدها قبيحة، فرمى العقد من يده وقال: لا أشهد بالزور، إنما أنت قبيحة.

* وكان بإشبيلية فقية لوذعي[1]، فجلس يومًا مع طلبته في نزهة وبين أيديهم طعام فيه بيض، فتكلم أحد القوم بكلام فيه ضعف، فأخذ الفقيه فص بيضة فألقاه قدامه، ففطن القوم وضحكوا.

* وودع رجل رجلاً كان في قلبه منه شيء، فقال له: امض في ستر من حفظ الله وحجاب من كلأته[2]، ففطن الآخر وقال له: رفع الله مكانك وشدّ ظهرك منظورًا إليك.

أراد أن يكون مصلوبًا.

* ووجد المبرد غلامه في حاجة وقال له بحضرة الناس: فإن رأيته فلا تقل له وإن لم

---

(١) لذع الطائر لذعًا: رفرف ثم حرك جناحيه قليلاً، وفلان برأيه، وذكائه أسرع إلى الفهم والصواب فهو لوذعي، والنار الشيء مسته وأحرقته، ويقال: لذعه الحر، ولذع القيح القرحة: أحرقها وجعًا. والحب قلبه: آلمه، وفلانًا بلسانه، وقوله: أوجعه وآذاه. المعجم الوسيط (٢ / ٥٦١).

(٢) كَلأَهُ كمَنَعَه يَكْلَؤُهُ، كَلأً بفتح فسكون، وكِلاَءَةً بالقصر، وكِلاَءً بكسرهما مع المدّ في الأخير؛ أي: حَرَسَه وحَفِظَه، وقال الليث: يقال: كَلأَكَ اللهُ كِلاَءةً؛ أي: حفِظَكَ وحَرَسَك، والمفعول منه مَكْلوءٌ. تاج العروس (١ / ٢٠٦).

تره فقل له، فذهب الغلام ورجع وقال له: لم أره، فقلت له: فجاء فلم يجيء، فسئل الغلام عن معنى هذا، فقال: بعثني إلى غلام وقال لي: إذا رأيت مولاه فلا تقل له وإن لم تر مولاه فقل له، فذهبت فلم أر مولاه، فقلت للغلام ما أمرني، فجاء مولاه فلم يجئ الغلام.

* وأرسل أعرابي غلامه إلى امرأة يواعدها موعدًا يأتيها فيه، فذهب الغلام وأبلغها الرسالة، فكرهت المرأة أن تقول للغلام ما بينهما، فقالت له: والله، لئن أخذت أذنيك لأعركنهما عركًا وأشدك إلى تلك الشجرة حتى تغشى عليك العتمة، فانصرف الغلام إلى مولاه وحكى له قولها فعلم أنها واعدته تحت الشجرة وقت العتمة.

* وأراد أحد تلامذة أبي حنيفة أن يتزوج وكان فقيرًا، فلم يأخذه أحد لفقره، فشكا ذلك إلى أبي حنيفة، فقال له: ضع يدك على ذكرك وسر واخطب، فإن سألك أحد الناس عن حالك وما عندك، فابعثه لي، ففعل الطالب ما أمره، فجاء شخص إلى أبي حنيفة، فسأل عن حال ذلك التلميذ وهل عنده شيء أم لا؟ فقال أبو حنيفة: رأيت بيده سلعة إذا أهلكت عليه ثمنها خمسمائة دينار، فأخذوه فلم يجدوا عنده شيئًا.

* ومر طفيلي بقوم يأكلون، فقال: السلام عليكم معشر اللئام، قالوا: لا والله إلا كرام، فجلس وقال: اللهم اجعلهم من الصادقين واجعلني من الكاذبين.

* وحضر طفيلي على قوم يأكلون فجلس معهم، فقالوا له: هل تعرف منا أحدًا؟ قال: نعم، قالوا: من هو؟ قال: هذا وأشار إلى الخبز.

* ومر طفيلي بقوم يأكلون فقال لهم: ما تأكلون؟ قالوا: سمًّا، قال: لا خير في الحياة بعدكم وجعل يأكل معهم.

* وقال بعضهم: كانت لي حاجة عند بعض الحكام فلم يقضها لي، فجلست في طريقه فكل من يأتي إليه أصلح بينهم بدراهمي، حتى قطعت عليه معيشته من الناس، فقيل له عني فبعث إليّ وقضى حاجتي.

* وكان آخر له محفظة لها طاقتان، طاقة نظيفة والأخرى غير نظيفة وعنده دراهم طيبة ودراهم رديئة، فإذا أراد شراء اللحم فإن قطع بائع اللحم له ما يرضيه جعله في الطاقة النظيفة وأعطى من الدراهم الطيبة وإن كان غير ذلك جعله في الطاقة الأخرى وأعطى من الدراهم الرديئة، فإن رد الدراهم له رد له هو اللحم وقد سوده.

* واشترى رجل ثنا وأنفق عليه مثل ثمنه، فوجده مالحًا لا يستطيع أحد أكله، فذهب به لبائعه ورغب إليه في رد ثمنه ويخسر ما أنفق عليه، فأبى ذلك، فجلس بالقرب منه فكل من يجيء ليشتري منه يقول له: إياك أن تشتري منه وإن شئت فذق هذا فإنه منه، فلم يشتر أحد منه، فأعطاه ثمنه وما أنفق عليه وانصرف عنه.

* وكان لنصراني قرد فأعطاه دجاجة ينتفها، فأخذتها حدأة من بين يديه، فبقي القرد خائفًا من سيده، فجرح نفسه ولطخ جسده وبقي ملقى على قفاه بالأرض كأنه ميت، فلما أكلت الحدأة الدجاجة رجعت تتشوف، فرأته على تلك الحال فنزلت إليه لتأخذه، فقبض عليها وقطع رأسها ونتفها ودفعها إلى سيده، وقد كان ينظر إلى فعله.

* وأودع رجل عند آخر جرة من الزيت وقال له: اسلفني دراهم حتى نبيعها ونعطيك، ففعل فلم يرجع إليه بعد، فأراد بيعها فوجدها ملأى(١) ماء وعلى وجهه شيء يسير من الزيت.

* ومر أبو العيناء يومًا بدرب بشر، فقال له غلامه: إن بالدرب جملاً سمينًا وليس معه أحد، فقال: خذه، وسار به إلى منزله، فلما كان من الغد جاءته رقعة من بعض الرؤساء الساكنين في ذلك الدرب مكتوب فيها: جعلت فداءك، ضاع لنا بالأمس جمل فأخبرني بعض صبيان الزقاق أنك أخذته، فاردده متفضلاً، فكتب إليه: يا سبحان الله، مشايخ عندنا يزعمون أنك مطيم فلم أقبل قولهم ولا صدقتم وتصدق أنت صبيًّا من صبيان دربك.

* زاحم أبا العيناء رجل بالجسر راكب على حمار، فضرب بيده على الحمار وقال: يا رجل، قل للحمار الذي عليك يقول: «الطريق».

* وولد لأبي العيناء ولد، فأتى ابن مكرم، فسلم عليه ووضع حجرًا بين يديه وانصرف، فأحس به فقال: من وضع هذا الحجر؟ قيل له: ابن مكرم، قال: لعنه الله، إنما عرض لقول النبي ﷺ: «**الولد للفراش وللعاهر الحجر**»(٢).

* ومر أبو العيناء بموسى بن المتوكل، فقال له: انزل على ما حضر، فقدم له صحفة

---

(١) ملأ: مَلأَ الشيءَ يَمْلَؤُه مَلأً فهو مَمْلُوءٌ، ومَلأَه فامْتَلأَ، وتَمَلأَ، وإنه لَحَسَنُ المِلأَةِ؛ أي: المَلْءِ لا التَّمَلُّؤِ، وإِناءٌ مَلآنُ، والأُنثى مَلأَي ومَلآنةٌ، والجمع: مِلاءٌ. لسان العرب (١ / ١٥٨).

(٢) رواه البخاري (٨/ ١٩٩)، ومسلم (٩/ ٣٤٥)، وأبو داود (٧/ ٣٣).

بلحم وخبز، فأدخل أبو العيناء يده فقلبها، فما وقعت يده إلا على عظم فقال: يا سيدي، هذه صحفة أم قبر؟ فضحك موسى وأمر له بإحضار شيء آخر.

* ومر ببشار بن برد قوم وهم يسرعون بجنازة، فقال: ما أظنهم إلا سرقوه، فيخافون أن يؤخذ منهم.

* ومرت امرأة من الأعراب بقوم من بني نمير فلحظوها بأبصارهم، فقالت: والله يا بني غير ما أخذتم بواحدة من اثنتين، لا بقول الله سبحانه ولا بقول الشاعر.

أرادت بقول الله سبحانه: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور:٣٠] وأرادت بقول الشاعر:

فَغُضَّ الطَرفَ إِنَّكَ مِن نُمَيرٍ ... فَلا كَعبًا بَلَغتَ وَلا كِلابا

* ومرت امرأة ماجنة برجل وهو يأكل فقالت: أعرس في بطنك؟ نرى لحيتك ترقص.

* وأتى رجل إلى خاطبة فقال لها: أريد امرأة تُرضع ابني، فجعلت تعرض عليه كل ما عندها وهو لا يرضى منهن شيئًا، فقالت له: عندي جارية بكر مليحة ظريفة، أتريدها تُرضع ابنك؟ قال: نعم، قالت له: فأنت تريدها لنفسك لا لابنك.

* وقال بعضهم: إن قومًا من المسلمين غزوا قومًا من الروم، فكان فيمن قتل أخوة وأمهم حاضرة، فكرهت الحياة بعدهم، فقالت للذي صارت إليه: أرأيتك إن علمتك شيئًا لا يقطع فيك الحديد به، أتخلي سبيلي؟ قال: وكيف تعلم ذلك؟ فقالت له: أول تجربة فيّ؟ قال: نعم، فجلست وقالت: اضرب عنقي، وبقيت تحرك شفتيها كأنها تقول شيئًا، فضرب السفيه بالسيف فقطع رأسها، فعلم أن ذلك كان حيلة منها.

* ورفع قوم غريمًا لهم إلى بعض القضاة، فقالوا: لنا عليه كذا وكذا دينارًا، فقال: نعم، لهم عندي ذلك إلا أنني سألتهم أن يؤخروني أيامًا يسيرة حتى أبيع عقاري وغنمي وبقري وإبلي وأدفع لهم ما عندي، فقالوا: كذب والله، ما عنده شيء من ذلك، قال: فاشهد لي عليهم بأنهم شهدوا لي أني فقير عديم، فقال القاضي: ركبوه حمارًا ونادوا عليه ألّا يعامله أحد، ففعلوا ذلك النهار كله، فلما كان العشي قال له صاحب الحمار: اعطني أجرة الحمار،

قال: ففيم كنا اليوم كله؟ فمضى وتركه.

* وارتفع خصمان إلى سوار القاضي وكان سوار يبغض أحدهما، فقال له: يا ابن اللخناء، قال: كذلك خصمي، قال خصمه: احكم لي عليه، قال: نعم، خذ له بحقه مني وخذ لي بحقي منك، فندم سوار وسأله الصفح.

* ولما أراد شيرويه قتل أبيه وجه إليه من يقتله، فلما دخل عليه قال: إني أدلك على شيء يكون فيه غناك؛ وذلك لوجوب حقك عليّ، قال: وما هو؟ قال: الصندوق الفلاني، فذهب الرجل إلى شيرويه فأخبره الخبر، فأمر بإخراج الصندوق فوجد فيه ربعة وفي الربعة حُقّ وفي الحُقّ حب وعلى الحُقّ مكتوب: من أخذ منها حبة افتض عشرين جارية من غير مضرة ولا ضعف، فطمع شيرويه في صحته فأخذه وعوضه به، ثم أخذ منه حبة، فكان هلاكه فيها.

* ومرض مولى لسعيد بن العاص ولم يكن له من يخدمه ويقوم بأمره، فبعث إلى سعيد بن العاص، فأتاه فقال: ليس لي وارث غيرك وها هنا ثلاثة آلاف درهم مدفونة، فإن أنا مت فخذها، فقال سعيد حين خرج من عنده: ما أرانا إلا قد أسأنا لمولانا هذا وقصرنا في تعاهده وهو من شيوخ موالينا، فبعث إليه من يخدمه ويتعاهده، فلما مات اشترى له كفنًا بثلاثمائة درهم وحضر جنازته، فلما رجع حفر الموضع كله فلم يجد شيئًا وجاء صاحب الكفن وطلب ثمنه، فقال: لقد هممت أن أنبش عليه.

* وجاء رجل إلى أبي حنيفة فشكا إليه أنه أودع عند بعض الناس المشهورين بالأمانة والديانة مالاً وأنه أنكر الوديعة وكان ذلك المستودع يعتني بأبي حنيفة، فقال أبو حنيفة للرجل: تعود إليّ، وخلا أبو حنيفة بالرجل الذي أودع عنده فقال له: إن هؤلاء قد بعثوا إليّ يستشيروني فيمن يصلح للقضاء، فهل تنبسط لذلك؟ فتمانع الرجل قليلاً وأقبل أبو حنيفة إليه يرغب فيه، ثم انصرف عنه وهو طامع في القضاء، ثم جاء الرجل صاحب الوديعة إلى أبي حنيفة.

فقال له أبو حنيفة: اذهب إلى الرجل فقل له: أحسبك أنسيت المال وأنا أودعتك في وقت كذا والعلامة كذا، فذهب الرجل وقال له ما أمره، فرد عليه الوديعة، فلما رجع ذلك الإنسان إلى أبي حنيفة قال له: إني نظرت في أمرك فرأيت أن أرفع قدرك ولا أسميك حتى يحضر ما هو أجلّ من هذا.

* وجاء رجل إلى أبي حنيفة فشكا إليه أنه دفن مالاً في موضع ولا يذكر الموضع، فقال له أبو حنيفة: ليس هذا فقهًا فأحتال لك ولكن اذهب فصلِّ لربك الليلة فإنك ستذكره إن شاء الله، ففعل الرجل ذلك فلم يقم إلا أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع، فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره، فقال: قد علمت أن الشيطان لا يدعك أن تقوم ليلتك حتى يذكرك، فهلّا أتممت ليلتك شكرًا لله تعالى.

* وأقبل رجل إلى أبي حنيفة وقال له: إن لصوصًا دخلوا عليّ وأخذوا أموالي وحلفوني بالطلاق ألا أسميهم وخرجوا عني، فقال أبو حنيفة: احضر لي إمام مسجدك والمؤذن والمشهورين من جيرانك، فأحضرهم فقال لهم أبو حنيفة: هل تحبون أن يرد الله على هذا متاعه؟ قالوا: نعم، قال: فاجمعوا كل داعر[1] ومتهم وأدخلوهم في دار أو في مسجد، ثم أخرجوهم واحدًا واحدًا وقولوا له: هذا من لصوصك؟ فإن لم يكن منهم فيقول: «لا» وإن كان منهم فيسكت، فاقبضوا عليه، ففعلوا ذلك فرد الله عليه ماله.

* وقال أبو حنيفة: احتجت وأنا بالبادية إلى ماء، فجاءني أعرابي ومعه قربة من ماء، فأبى أن يبيعها إلا بخمسة دراهم، فدفعت له ذلك وأخذت القربة منه، ثم قلت: يا أعرابي، هل لك في سويق؟ قال: نعم، فأعطيته سويقًا ملتوتًا بزيت، فجعل يأكل حتى امتلأ، فعطش فقال: شربة ماء، فقلت: بخمسة دراهم، فأعطاني خمسة دراهم في قدح من ماء، وبقي بقية الماء ربحًا.

* وجاءت امرأة إلى أبي حنيفة فقالت: إن زوجي حلف بطلاقي أن أطبخ قدرًا فيه مكوك[2] ملح ولا يتبين طعم الملح فيما يؤكل منها، قال: خذي قدرًا وألقي فيها مكوك ملح واسلقي فيه بيضًا، فإنه لا يوجد طعم الملح في البيض.

* ودخل شريك القاضي على بعض العمال، فأخذ العامل بيده ثم قال: يا غلام، جئنا بعود، فلم يدر الغلام أيّ عود أراد، فعاد الغلام ومعه عود الغناء، فلما رآه العامل لم

---

(١) الدَعَرُ بالتحريك: الفَساد، والدَعَرُ أيضًا: مصدر قولك: دَعِرَ العودُ ـ بالكسر ـ يَدْعَرُ دَعَرًا، فهو عودٌ دَعِرٌ؛ أي: رديءٌ كثير الدخان، ومنه أُخِذت الدَعارة وهي الفِسْق والخُبْثُ، يقال: هو خبيثٌ داعِرٌ بيِّن الدَعَرِ والدَعارةِ، والمرأة داعِرَةٌ. الصحاح في اللغة (١ / ٢٠٦).

(٢) المَكُّوكُ: صاع ونصف، وهو ثلاث كَيْلَجات. لسان العرب (١٠ / ٤٩٠).

يخجل ولم يتغير وقال: أخذنا رجلاً معه هذا، ما ترى في كسره؟ فأفتاه بكسره، فقال: هات لنا بخورًا.

* وكان لجعفر بن عبد الواحد صديق يوجه له كل يوم سلة برطب مع غلام له، فقيل له: إن الغلام يأخذ من السلة فاختمها، فختمها فوجد السلة قد فتحت فقال لصاحبه: اجعل فيها زنبورين[1] قبل أن تختمها، فكان إذا فتحها وطار الزنبوران علم أنها لم تفتح.

* وجاء شبّان إلى نبّاذ فشربوا عنده نبيذًا ثم قالوا: ما عندنا شيء، فخذ منا رهنًا، قال: وما الرهن؟ قال: تأخذ من كل واحد منا صفعة ففعل، فلما كان بعد أيام جاءوا إليه فقالوا له: خذ حقك ورد الرهن، فرغب إليهم أن يتركوه فلم يفعلوا، فصفعوه وضحك أهل سوقه عليه.

* وكان زياد بن عبد الله الحارثي على شرطة المدينة وكان بخيلاً، فدعا أشعب في رمضان يفطر عنده مع جماعة، فقدم إليهم معقودة، فجعل أشعب يمعن فيها وزياد يلمحه، فلما فرغ من الأكل قال زياد: ما أظن لأهل السمن إمامًا يصلي بهم في هذا الشهر فليصل بهم أشعب، فقال أشعب: أو غير ذلك أصلح الله الأمير؟ قال: وما هو؟ قال: أحلف ألّا آكل معقودة أبدًا، فخجل زياد وتغافل عنه.

* وكان لزياد هذا كاتب فأهدى له طعامًا قد تفنن فيه، فوافاه وقد تغدى، فغضب زياد وقال: يبعث أحدكم الشيء في غير محله، ثم قال: ادع المساكين يأكلونه، فبعث إليهم حرسيًا يدعوهم، فقال له رسول الكاتب: أصلح الله الأمير، إن أمرت أن يكشف لك عنه حتى تنظر إليه، قال: اكشفوا عنه، فإذا به دجاج وسمك وحلواء، فأعجبه ذلك وقال: ارفعوه، ثم جاء المساكين، فقال: اضربوهم عشرة عشرة، فإنه بلغني أنهم يفسون في مسجد

---

(١) الزُّنْبُورُ بالضَّمِّ: ذُبَابٌ لَسَّاعٌ وهو الدَّبُّور، وفي «التَّهْذِيب»: طائرٌ يَلْسَعُ، قال الجوهريّ الزُّنْبُور: الدَّبْر وهي تُؤَنَّث، كالزُّنْبُورة والزِّنْبَارِ بالكَسْر، وهذِه حَكَاهَا ابن السِّكِّيت، وجَمْعُه الزَّنَابِيرُ، والزُّنْبُورُ: الخَفِيفُ الظَّرِيفُ كما نَقَلَه أَبو الجَرَّاح عن رَجُل من بَنِي كِلاب، وزاد أبو الجَرَّاحِ: الزُّنْبور: الخَفِيفُ السَّرِيعُ الجَوَابِ كالزُّنْبُرِ كقُنْفُذ، والزُّنْبور: الجَحْشُ المُطِيقُ للحَمْلِ، والزُّنْبُور: الغَارَةُ العَظِيمَة، جمعه: زَنَابِرُ. تاج العروس (١ / ٢٨٩٩).

رسول الله ﷺ ويبولون على بابه، فرغب فيهم فصرفهم.

* وأتى طفيلي دار عرس فمُنع من الدخول، فذهب إلى بعض أصحاب الزجاج فرهن عنده رهنًا وأخذ منه أقداحًا وقال للموكل بالباب: افتح حتى أدخل هذه الأقداح التي طلبوها، ففتح له فدخل، فأكل وشرب ثم أخذ الأقداح وردها إلى صاحبها وقال: لم يرضوها.

* وجاء طفيلي آخر إلى باب عرس فمُنع من الدخول، فأخذ إحدى نعليه وجعلها في كمه وعلق الأخرى وجاء إلى المتوكل بالباب كالمستعجل، فقال: أخذت فردة نعلي وتركت الأخرى، فتفضل بالله بإخراجها، فقال له البواب: أنا مكلف بهذا الباب ولست أتركه، فادخل أنت وخذ متاعك، فدخل وأكل وخرج.

* واجتمع ثلاثة من الطفيليين فلم يظفروا بأكل ولا قدروا عليه، فاجتمع رأيهم على أن يأتوا صاحب الشواء والرقاق ولا يكون إقبالهم في دفعة؛ لئلا يشعر بهم، فتقدم أحدهم فأخذ شواء ورقاقًا ودخل يأكل، فلما أمعن أقبل الثاني فأخذ مثل الأول وقعد ناحية يأكل، ثم أقبل الثالث فأخذ مثلهما، فلما أن يخلص أكله قام الأول يريد الخروج، فقال له الشواء: هات ما عليك، قال له: دفعت لك، قال له: متى؟ قال له الثاني: حين أعطيتك أنا، قال له: ومتى أيضًا أعطيتني أنت؟ فقام الثالث إليه حنقًا وهو يقول: أتراك يا ابن الفاعلة تنكرني كما أنكرت هذين؟ فلما سمع الشواء كلامهم علم أنهم طفيليون فترك سبيلهم.

* وقال بعضهم: نزل رجل على ديرانيّ[1] بالشام، فقدم إليه أربعة أرغفة وذهب ليأتيه بعدس، فلما جاء وجده قد أتى على الأرغفة، فوضع العدس بين يديه وذهب ليزيده رغيفًا لكي يأكل به العدس، فجاءه بصحفة أخرى، فلما جاء به وجده قد أكل العدس فوضع الرغيف وذهب، فجاءه بصحفة أخرى بعدس فوجده قد أكل الرغيف، فما زال كذلك حتى أتى على وظيف تسعة أنفس، فلما فرغ سأله الديرانيّ عن حاله ومقصده، فقال: أريد الأردن، فإنه بلغني أن به طبيبًا جيدًا وأنا في هذه المدة أصابني سوء هضم وقلة

(١) الدَّيْرُ للنصارى معروف، والجمع: دُيُورَةٌ مثل بعل وبعولة، وينسب إليه: دَيْرَانِيٌّ على غير قياس كما قيل بحراني، وما بالدار دَيَّارٌ؛ أي: أحد. المصباح المنير (١ / ٢٠٥).

شهوة للطعام، فقال له الديرانيّ: عسى بالله، إذا رجعت وقد تطببت أن تأخذ على غير هذه الطريق، فإن هذا الدير لقوم ضعفاء، فخجل الرجل وقال: نعم.

* وكان بعض الناس يتخدم ليونس بن أسباط، فانقطع عنه مدة فقال يونس لبعض من حضره: ما فعل فلان؟ فقال: لا أدري ولكن لو مات ما كنت تفعل معه؟ قال: أكفنه وأقبره، قال: فإنه عريان، فضحك وأمر له بكسوة.

* وكان ابن هرمة[1] مولعًا بالشراب، فحد فيه مرارًا، فأتى المنصور ومدحه، فاستحسن شعره وقال له: سل حاجتك، قال: تكتب إلى عامل المدينة ألا يحدّني إذا أُتي بي سكران، فقال له المنصور: ويلك، هذا حد من حدود الله ﷻ، لا يجوز لي تعطيله، قال: فاحتل لي يا أمير المؤمنين، قال: أمَّا هذا فنعم وكتب إلى عامل المدينة: من أتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده مائة واجلد ابن هرمة ثمانين، فكان العون بعد ذلك يمر وهو سكران، فيقول: «ابن هرمة» فيقول: من يشتري مائة بثمانين؟.

* وحكى ابن دهمان قال: مررت يومًا ببشار وهو جالس على بابه وحده وليس معه أحد وبيده قضيب وبين يديه طبق فيه تفاح وأُتْرجّ، فلما رأيته وليس معه أحد جئت قليلاً قليلاً ومددت يدي لأتناول ما بين يديه، فرفع القضيب وضرب به يدي ضربة كاد يكسرها، قلت: قطع الله يدك، أنت الآن عند نفسك أعمى؟ قال: يا أحمق، فأين الحس؟.

* وحكى المدائني عن محمد بن حجاج، قال: كنا عند بشار بن برد، فأتاه رجل يسأله عن منزل رجل، قال: فجعل يصف له ويفهمه وهو لا يفهم، فوثب بشار وأخذ بيده وجعل يقول:

أَعمى يَقودُ بَصيرًا لا أَبا لَكُمُ ... قَد ضَلَّ مَن العُميانُ تَهديهِ

---

(١) هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكناني القرشي، أبو إسحاق، (٠٠٠ ـ ١٠٨٣ هـ) شاعر غزل من سكان المدينة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، رحل إلى دمشق ومدح الوليد بن يزيد الأموي، فأجازه، ثم وفد على المنصور العباسي في وفد أهل المدينة، فتجهم له، ثم أكرمه، وانقطع إلى الطالبيين وله شعر فيهم، وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم.
قال الأصمعي: ختم الشعر بابن هرمة، وكان مولعًا بالشراب، جلده صاحب شرطة المدينة، ولأبي بكر محمد بن يحيى الصولي كتاب «أخبار ابن هرمة». الأعلام للزركلي (١ / ٥٠).

* وحاسب بشار يومًا وكيله وذكر في بعض حسابه عشرة دراهم في جلاء مرآة، فقال بشار وصفق بيديه: واغوثاه، جلاء مرآة لأعمى بعشرة دراهم، والله لو صديت عين الشمس حتى يبقى الناس في ظلمة ما ساوى جلاؤها عشرة دراهم.

* وكان أبو العتاهية يهوى عتبة، فلبس يومًا ثياب راهب ووقف على طريق عتبة ولما مرت به قال: أنا راهب وكنت في صومعة منذ سنين كثيرة، أتاني آتٍ في منامي وأمرني بالإسلام على يديك وتقبيل يدك ولست أبغي على ذلك جزاء ولا شكورً، فسرت بذلك ومدت يدها اليمنى وقبلها وقال: إني أمرت بتقبيل يدك اليسرى، فمدتها وقبلها وقال: بأبي أنت من يد قريبة العهد بأحب المواضع إليّ، قالت: ماجن ورأس المهدي.

* وحكى المبرد أن عتبة جاءت إلى عبد الله بن مالك برسالة ريطة بنت أبي العباس في مماليك لتشتريهم وتعتقهم وإذا بأبي العتاهية قد دخل وهي لا تعرفه وقال: إني - جعلني الله فداك - شيخ ضعيف لقوم يسيئون ملكي، فإن رأيت أن تأمري به يجعلني فيمن يعتق، فكلمت عبد الله بن مالك في ذلك، فقال: أفعل إن شاء الله.

فقال لها أبو العتاهية: قد أحسنت وتفضلت، فأْذني في تقبيل يدك، فمدت يدها فقبلها وانصرف، فقال عبد الله بن مالك: أتدرين من هو؟ قالت: لا، قال: هذا أبو العتاهية، فاستحيت وقالت: يا أبا العباس، ما ظننتك تعبث مثل هذا العبث.

* وقرأ الحجاج في سورة هود، فلما انتهى إلى «ابن نوح» لم يدر كيف يقرأ: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود:٤٦] أو «عمل غير صالح» فبعث حرسيًا فقال: ائتني بقارئ، فذهب وأتى به وقد ارتفع الحجاج من مجلسه، فحبسه ونسيه حتى عرض الحجاج حبسه بعد ستة أشهر، فلما انتهى إليه قال: فيم حبست؟ قال: في «ابن نوح» - أصلح الله الأمير - فأمر بإطلاقه.

* وكتب زياد إلى معاوية: قد أخذت العراق بشمالي وبقيت يميني فارغة، وهو يعرّض له بالحجاز، فبلغ ذلك عبد الله بن عمر ﷺ فرفع يديه إلى السماء وقال: اللهم اكفنا شر زياد.

* وقال خالد بن الوليد عند موته: لقد لقيت كذا وكذا زحفًا وما في جسدي قيس شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية، ثم هأنذا أموت على فراشي حتف أنفي، فلا نامت

أعين الجبناء.

* ووعظ مالك بن دينار[1]، فبكى أصحابه، ثم افتقد مصحفه فلم يجده، فنظر إلى أصحابه وكلهم يبكون، فقال: كلكم تبكون، فمن أخذ مصفحي؟.

* ودخل أبو العيناء على إبراهيم بن المدبر وعنده الفضل بن اليزيد وهو يلقي على ابنه مسائل في النحو، فقال: في أيّ باب هذا؟ فقال: في باب الفاعل والمفعول به، فقال: هذا بابي وباب الوالدة ـ حفظها الله ـ فغضب الفضل وانصرف.

* ومن نوادره ونكته العجيبة أن ابن مكرم قال له: يا عديوط، فقال له: نعم يا ابن النمامة؛ وذلك أن العديوط هو الذي يحدث عند الجماع، فلما دعاه بهذا الاسم أجابه بقوله: «يا ابن النمامة» تعريضًا بأمه؛ أي: ما أخبرك بذلك إلا أمك إذ جامعتها.

* وكان أبو يوسف يكتب كتابًا وإلى جانبه رجل يتطلع عليه، ففطن له أبو يوسف، فلما فرغ من الكتاب التفت إلى الرجل فقال له: هل أبصرت فيه خطأ؟ فقال له: لا، قال أبو يوسف: جزيت عن الخساسة خيرًا.

* واشترى رجل كبشًا في العيد، فلما دخل به على زوجته ورأته ضعيفًا قالت له: هذا الكبش يشبهني وإياك، قال: وكيف ذلك؟ قالت: يشبهني في الشحم وإياك في القرون.

* وكانت لابن أبي عتيق جارية تخدمه وكان يتبعها جار له، فبينما هي ذات يوم توضئه؛ إذ وقع حجر بين يديه فتغافل، فلما كان بعد ساعة وقع حجر آخر، فقال بأعلى صوته: إنها مشغولة، فانقطع الرجم.

* وكتب عبد الله بن الزبير إلى بعض عماله: عمدت إلى مال الله فأكلته؟ فكتب إليه: إذا لم آكل مال الله فمال من آكل؟ لقد طلبت من السلطان ماله مرة فما فرج عني كربة.

---

(١) هو من علماء البصرة وزهادها المشهورين، وكان ينسخ المصاحف، صدوق، وثقه النسائي وغيره، وقال بعضهم: صالح الحديث، وقال الأزدي: يعرف وينكر، وقال ابن المديني: له نحو من أربعين حديثًا، قلت: استشهد به البخاري، واحتج به النسائي، وذكره ابن حبان في الثقات، يكنى أبا يحيى. ميزان الاعتدال (٣ / ٤٢٦).

* وغصب بعض عمال عيسى بن صبيح امرأة موضعًا، فجاءت إليه ومجلسه قد غُصَّ بأهله فقالت له: بالذي أعز النصرانية بسيماء غلامك وأعز اليهود بها دون كاتبك وأذل المسلمين بك إلا أنصفتني، فخجل عيسى وقال: ردوا عليها موضعها.

* وقال الرشيد لابنه المعتصم: ما فعل وصيفك فلان؟ قال: مات واستراح من المكتب، قال: وبلغ بك المكتب هذا المبلغ؟ والله، لا تحضره أبدًا ووجهه إلى البادية، فتعلم الفصاحة وكان أميًا.

* وكان بعض الكتاب يكتب كتابًا وإنسان يتطلع عليه، فشق ذلك عليه فكتب: ولولا ابن ألف كذا وكذا كان يقرأ كتابي حرفًا حرفًا لأعلمتك، فقال الرجل: ما كنت أنظر في كتابك، قال: فمن أين لك معرفة ما أنكرت؟!.

* ويُروى أن يزيد بن معاوية لما أراد توجيه مسلم بن عقبة إلى المدينة اعترض الناس، فمر به رجل معه ترس قبيح فقال له: يا أخا أهل الشام، مِجَنُّ ابن أبي ربيعة كان أحسن من مجنك.

يريد قوله:

فَكانَ مِجَنِّي دونَ مَا كُنتُ أَتَّقِي ... ثَلاثُ شُخوصٍ كاعِبانِ وَمُعصِرُ

* وقال الشعبي: سمعت المغيرة بن شعبة يقول: ما غلبني أحد قط إلا غلام بني الحارث بن كعب؛ وذلك أني خطبت امرأة من بني الحارث وكان عندي شاب منهم، فأصغى إليّ فقال: أيها الأمير، لا خير لك فيها، فقلت: يا ابن أخي، وما لها؟ قال: إني رأيت رجلاً يقبلها، قال: فتركتها، قال: فبلغني أن الفتى تزوجها، فأرسلت فيه فقلت: ألم تخبرني أنك رأيت رجلاً يقبلها؟ قال: نعم، رأيت أباها يقبلها.

* وحكى الأصمعي قال: كان رجل من ألأم الناس وأبخلهم وكان عنده لبن كثير، فسمع به رجل ظريف فقال: أموت أو أشرب من لبنه، فأقبل ومعه صاحب له حتى إذا كان بباب صاحب اللبن غشي عليه وتماوت، فقعد صاحبه عند رأسه يسترجع، فخرج إليه صاحب اللبن فقال له: ما باله؟ فقال: هذا سيد بني تميم أتاه أمر الله ها هنا وكان قال: اسقني لبنًا، قال صاحب اللبن: هذا هيّن موجود، يا غلام ائتني بقدح من لبن، فأتاه

فأسنده صاحبه إلى صدره وسقاه حتى أتى عليه وتجشأ، فقال صاحبه لصاحب اللبن: أتقول هذه راحة الموت؟ ففطن لهما وقال: أماتك الله وإياه.

* وقال الأصمعي: مر رجل بأبي الأسود وهو يقول: من يعشي هذا الجائع؟ قال: عليّ به، فأتاه بعشاء كثير، فأكل حتى شبع ثم ذهب السائل ليخرج، فقال: أين تريد؟ قال: أريد أهلي، قال: لا أدعك تؤذي المسلمين الليلة بسؤالك، اطرحوه في الأدهم، فبات مكبولاً حتى الصباح.

* ووقع درهم بيد سليمان بن مزاحم فجعل يقبله ويقول في شق: «لا إله إلا الله» وفي شق: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإِخلاص:١] ما ينبغي لهذا أن يكون إلا تعويذًا أو رقية ورمى به في الصندوق.

* وكان ابن عيسى بخيلاً وكان إذا وقع الدرهم بيده ظننه بظفره وقال: كم من مهائية دخلتها وأيد رجفتها، فالآن استقر بك القرار واطمأنت بك الدار، ثم يرمي به في الصندوق.

* ونظر أشعب إلى رجل قبيح فقال: ألم ينهكم سليمان بن داود عن الخروج بالنهار؟.

* وحكى المدائني قال: أتت ليلة الشك من رمضان، فكثر الناس على الأعمش يسألونه عن الصوم، فضجر ثم أرسل إلى بيته في رمانة، فشقها ووضعها بين يديه، فكان إذا نظر إلى رجل قد أقبل يريد أن يسأله أخذ حبة فأكلها وكفى الرجل السؤال ونفسه الرد.

* وقال رجل لمحمد بن مطروح الأعرج: رحمك الله، ما تقول في رجل مات يوم الجمعة، أيعذب عذاب القبر؟ قال: يعذب يوم السبت.

* وقال آخر: أتجد في بعض الكتب أن جهنم تخرب؟ قال: ما أشقاك إن اتكلت على خرابها.

* وكان يجلس إليه خصي لزرياب قد حج وتنسك ولزم الجامع، يتحدث في مجلسه بأخبار زرياب[1] ويقول: كان أبو الحسن ـ رحمه الله ـ يقول كذا وكذا، فقال له الأعرج: من

---

(١) هو علي بن نافع، أبو الحسن، الملقب بزرياب، مولى المهدي العباسي، (نحو ٢٣٠ هـ) نابغة الموسيقى

أبو الحسن هذا؟ قال: زرياب، قال: بلغني أنه كان أخرق الناس لاست خصي.

* وسأله مرة: ماذا تقول في الكبش الأعرج، أيجوز للذبيحة؟ قال: نعم والخصي مثل ذلك(١).

هذا وقد تم بحمد الله تعالى وتوفيقه



=

في زمنه، كان شاعرًا مطبوعًا، عالمًا ببعض الفنون من الطبيعي وغيره، عارفًا بأحوال الملوك وسير الخلفاء، ونوادر العلماء، اجتمعت فيه صفات الندماء، وكان حسن الصوت.

وهو الذي جعل العود في خمسة أوتار، وكانت أوتاره أربعة، أخذ الغناء ببغداد عن إسحاق الموصلي وغيره وغنى في صباه بين يدي هارون الرشيد، وسافر إلى الشام، ومنها إلى الأندلس، وقد سبقته إليها شهرته، فركب عبد الرحمن ابن الحكم الأموي، بنفسه، لتلقيه، وجعل له في كل شهر مائتي دينار، واستغنى به عمن عداه من الندماء والمغنين، فأقام بقرطبة، وبها اخترع مضراب العود من قوادم النسر، وكانوا يصنعونه من الخشب، وتوفي بها. الأعلام للزركلي (٥ / ٢٨).

(١) انظر القصة هكذا في العقد الفريد لابن عبد ربه (٣/ ٥٣).


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس المصادر والمراجع

- كتاب الكليات ـ لأبى البقاء الكفومى، لأبي البقاء أيه ب بن موسى الحسيني الكفومي، مؤسسة الرسالة - بيروت - تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان، تحقيق د. مصطفى أحمد النماس، ط: القاهرة: مطبعة المدني ط ١، ١٤٠٩هـ.
- طوق الحمامة في الألفة لابن حزم الظاهري، عدة صبعات.
- الأعلام، لخير الدين الزركلي، ط: الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت.
- الأمالي الشجرية، لابن الشجري، تحقيق: د. محمود الطناحي، القاهرة: مطبعة المدني، ط:١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، دار الفكر.
- تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق جماعة من العلماء. ط الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- الجمل في النحو، للزجاجي، تحقيق د. علي توفيق الحمد، بيروت، ط مؤسسة الرسالة ط:١، ١٤٠٤هـ. وطبعة الأردن: دار الأمل، ط: ٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد الكافية لعبد القادر البغدادي، بيروت، دار صادر، ط: ١.
- شرح أبيات سيبويه، لابن السيرافي، تحقيق: د. محمد علي سلطاني، دمشق، بيروت: ط دار المأمون للتراث ١٩٧٩م.
- الشعر (شرح الأبيات المشكلة الإعراب)، للفارسي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، القاهرة: مكتبة الخانجي ط: ١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨.
- شعر المتوكل الليثي، د. يحيى الجبوري، بغداد، مكنبة الاندلس.
- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين ط: ٤، ١٤٠٧هـ.
عبدالمعطي أمين قلعجي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤٠٤هـ.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعة البهية ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م.
- لسان العرب، لابن منظور، بيروت: دار صادر.
- المقتضب، للمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت: عالم الكتب.

- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل البغدادي، بيروت: ط مكتبة المثنى واستانبول: طبعة وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، ١٩٥٥م.

- همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، د. عبد العال سالم مكرم: الكويت: دار البحوث العلمية، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٥م، وط: بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، للبطليوسي، تحقيق مصطفى السقا، وحامد عبد المجيد، الهيئة العامة للكتاب، مصر، سنة ١٩٨١م.

- الألفاظ لابن السكيت، تحقيق لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، سنة ١٨٩٥م.

- جواهر الألفاظ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٧٩م.

- الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، ط دار الكتب العلمية بيروت.

- نهاية الأرب للنويري، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

- الزهرة في العشق والهوى، لأبي بكر بن أبي داود الظاهري، ط دار الكتب العلمية- تحقيق المزيدي.

- مجمع الأمثال للميداني، نشر دار الجيل - بيروت.

- العقد الفريد لابن عبد ربه- نشر دار الفكر- بيروت.

- كليلة ودمنة لابن المقفع، عدة طبعات.

- الفلاكة والمفلوكون للدلجى، ط مصر ١٣٢٣.

- المعارف لابن قتيبة ، مصر، ١٩٥٤.

- مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة، دار الكتب الحديثة بالقاهرة.

- حدائق الأزاهر لابن عاصم الغرناطى، ط بيروت.

فهرس